

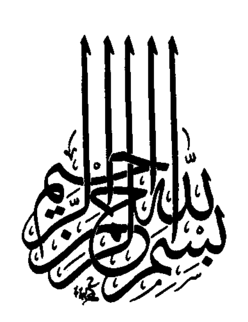
دراسة نقدية موثقة للعقائد والأفكار
التي اشتملت عليها النصرانية

تأليف

المستشار محمد عزت الطهطاوي

دار القلم
دمشق

الدار الشامية
بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم


النصرانية في الميزان

مقدّمة



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير هادي الإنسانية ورسول العالمية وعلى آله وصحبه، ومن دعا إلى هديه، وحمل مشعل دعوته إلى يوم الدين، وبعد: فإن الصراط المستقيم هو طريق الله الذي نصبه لعباده على ألسن رسله، وجعله موصلاً لعباده إليه، وسبيلاً إلى رضوانه وجنته، ولا طريق لهم إليه سواه، بل الطرق كلها مسدودة إلاّ هذا الطريق المستقيم، وهو إفراده بالعبودية، فلا يُشرَك به أحد في عبوديته والإقرار لرسوله محمد ﷺ بالطاعة والمتابعة، وهذا كله مضمون شهادة أن لا إلّه إلاّ الله وأن محمداً رسول الله.

وهذا هو الهدى ودين الحق، وهو معرفة الحق والعمل به، ولا دين له سواه.. قال تعالى:

﴿قُلْ آمنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا، وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إبْراهيمَ وَإسْماعِيلَ وَإسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْباطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسى وَعِيسى وَالنَّبِيُّون مِنْ رَبّهم لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُم وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون﴾(١).

فذلك هو الصراط المستقيم من الله والسبيل المطروق الذي مرَّ عليه الأنبياء والمرسلون، ذلك هو الإسلام.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٤.

وهو الدين عند الله، ومن يتبع غيره ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين.

قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهوَ في ٱلآخِرَةِ مِنَ الخاسِرين﴾[1].

وهذا هو العهد الذي حفظه المسيح عيسى عليه السلام، وتوفي عليه وسيُجيب به ربه يوم القيامة.

قال تعالى:

﴿وَإذْ قَالَ اللَّهُ يا عيسى بنُ مَريم ءَأَنْتَ قُلْتَ لَلنَّاسِ اتَّخِذُوني وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ منْ دُونَ الله؟ قالَ: سُبْحانَكَ مَا يَكُونُ لي أَنْ أَقولَ مَا لَيْسَ لي بِحَق، إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي، وَلا أَعْلَم مَا فِي نَفْسكَ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوب. مَا قُلْتُ لَهُمْ إلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ ٱعْبُدوا اللَّهَ رَبِّـي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِم شَهِيداً مَا دُمْتُ فيهم. فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيد. إنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيْزُ ٱلْحَكِيْم﴾[2].

واستجلاء هذا الطريق المستقيم وتبيانه، وكشف طرق الضلال التي يسلك فيها غير المسلمين خصوصاً من نعتهم القرآن بالضلال كان من أوجب الواجبات على علماء المسلمين.

قال تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاء السبِيل﴾[3].

ففي هذه الآية خطاب من الله سبحانه وتعالى إلى النصارى عموماً في مشارق الأرض ومغاربها ألا يتبعوا قول أسلافهم الذين هم لهم تبع، وقد وصفهم بثلاث صفات:

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٢) سورة المائدة: الآيات ١١٦، ١١٧، ١١٨.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٧.

إحداها: أَنهم قد ضلُّوا مِنْ قَبلهم.

والثانية: أَنهم أَضلُّوا أتباعهم.

والثالثة: أَنهم ضلُّوا عن سواء السبيل.

والسر في هذه الآية أنها اقتضت تكرار الضلال في النصارى ضلالاً بعد ضلال، لفرط جهلهم بالحق فعبدوا من لا ينبغي أن يُعبد.

فأسلاف النصارى اجتمعت لهم الأنواع الثلاثة في الضلال.

فضلُّوا في الغاية:

إذ ضلُّوا عن مقصودهم حيث لم يصيبوه، وزعموا أن إلَهَهم بشر يأكل، ويشرب، ويبكي، وينام، وأنه قُتل، وصلب، وصُفع.. فهذا ضلال في نفس المقصود حيث لم يظفروا به.

وضلُّوا في الوسيلة:

إذ ضلُّوا عن السبيل الموصلة إليه فلا اهتدوا إلى المطلوب ولا إلى الطريق الموصل إليه.

وضلُّوا في دعوة غيرهم إلى معتقداتهم:

وبذلك ضل أتباعهم عن الحق وعن طريقه الواضح المستقيم.

لذلك كان كفر النصارى ناشئاً من جهلهم بالحق، وضلالهم فيه، فإذا تبين لهم الحق ومع ذلك آثروا الباطل الذي هم عليه، أشبهوا الأمة المغضوب عليها، وهي أمة اليهود إذ كانوا يعرفون أن محمداً رسول الله ﷺ كما يعرفون أبناءهم لكن بإرادتهم الفاسدة من الكبر والحسد وإيثار السحت والبغي، كفروا بدعوة الإسلام ولم يقبلوها.. فإذا أشبههم النصارى في ذلك صاروا مغضوباً عليهم فوق بقائهم ضالين.. وهذا الكتاب دعوة إلى الحق وإلى الصراط المستقيم، وتبيان إلى السبيل القويم، وتحليل لمفاهيم النصرانية المغلقة الكثيفة التي رانت على الحقيقة وعلى العقول السليمة، وَرَدٌّ لتلك المفاهيم إلى أصلها الواضح السليم.. فالله أسأل أن ينفع به من يقرؤه من العالمين، وأن يهدي به إلى طريق الإسلام من غفل عنه من غير المسلمين.. قال تعالى:

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ من رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ... بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾(١).

المؤلف
محمد عزت الطهطاوي

(١) سورة الكهف: الآية ٢٩.

آيات من القرآن الكريم

* قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[1].

* وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَاده العلماءُ﴾[2].

* وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[3].

* وقال جلَّت كلماته: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إلى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِين. وَلا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ، إدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإذا ٱلَّذِي بَيْنكَ وَبَيْنه عَداوَةٌ كَأَنَّه وَلِيٌّ حَمِيم﴾[4].

* وقال جلَّ مِن قائل: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إلاَّ ٱلْعَالِمُون﴾[5].

* وقال سبحانه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَق * خَلَقَ الإِنْسانَ منْ عَلَق * اقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَم * الَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَم * عَلَّمَ ٱلإِنْسان مَا لَمْ يَعْلَم﴾[6].

• • •

(١) سورة الزمر: الآية ٩.

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٨.

(٣) سورة طه: الآية ١١٤.

(٤) سورة فصلت: الآيتان ٣٣، ٣٤.

(٥) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

(٦) سورة العلق: الآيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥.

حِكَم هامّة من الكتاب المقدَّس
يجب مـراعـاتهـا والعـمل بهـا

* (فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية)[1].
* (طوبـى للذي يقرأ . . وللذين يسمعون أقوال النبوة ويحفظون ما هو مكتوب فيها لأن الوقت قريب)[2].
* (فتشوا في سفر الرب واقرؤوا)[3].
* (ألعلك تفهم ما أنت تقرأ)[4].

* * *

* وها نحن نفتش في الأسفار المختلفة بالكتاب المقدس في عهديه القـديـم والجـديـد . . أي التـوراة ومـا ألحـق بهـا مـن أسفـار . . والأناجيل وما ألحق بها من رسائل، ونقرأ ونسمع بغيةَ المعرفة والفهم والوصول إلى الحق والاهتداء إلى الطريق المستقيم.

• • •

---

(١) إنجيل يوحنا إصحاح ٥ عدد ٣٩.
(٢) رؤيا يوحنا ص ١ عدد ٣.
(٣) سفر أشعيا ص ٣٤ عدد ٣٦.
(٤) سفر أعمال الرسل ص ٨ عدد ٣٠.

الباب الأول
رجعة إلى التاريخ

في:

(١) عقيدة التوحيد في الكتب العبرانية.

(٢) تفسير الكنيسة النصرانية للفظ الله (الآب) مما أدى إلى نشوء فكرة التثليث.

(٣) آراء الأب عبد الأحد داوود الآشوري.. وما يؤيدها في قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست الأميركي.

(٤) كيف دخل التثليث في عقيدة النصرانية عند انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية.

(٥) ما تقوله دائرة معارف لاروس الفرنسية في موضوع التوحيد والتثليث.

(٦) ما يقوله الأستاذ عوض سمعان الباحث القبطي المصري في أبحاثه.

(١)

١ ـ من الحقائق المُسَلَّم بها عند أهل الرأي والنظر من معتنقي الأديان السماوية، أن الأنبياء الذين بلغوا العهد القديم ـ أي التوراة والزبور وكل الكتب العبرانية من الله للناس ـ لم يكن لهم علم ولا خبر عن التثليث ألبتة.. أي أن موسى عليه السلام الذي أنزلت عليه التوراة من الله، ومن جاء بعده من الأنبياء الكرام المأمورين بتأييد شريعته، كانوا مكلفين بالدعوة إلى التوحيد، ولم يعرفوا التثليث إطلاقاً...

٢ ـ والمسيح عليه السلام من واقع ما هو وارد عنه في إنجيل متى ص ٦ عدد ٩ ـ ١٣ يقول:

(فصَلُّوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض.. خبزنا كفافنا أعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير، لأن لك الملك والقوة إلى الأبد آمين).

فالتفحص لكلام السيد المسيح عليه السلام سالف الذكر يتبين أنه يؤيد التفسير الوارد عن الوحدانية في التوراة، وهو الوارد في سفر التثنية إصحاح ٦ عدد ٤ ونصه:

(إسمع يا إسرائيل: الرب إلٰهنا رب واحد).

٣ ـ بل إن أوضح مدلول للحياة الأبدية في الأناجيل، هو ما ورد بإنجيل يوحنا إصحاح ١٧ عدد ٣ من قول المسيح ونصه:

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته)[١].

---

(١) الكتاب المقدس، العهد الجديد.

٤ ـ فالمسيح يقرر الوحدانية لله سبحانه وتعالى.. وأن ما له فقط هو الرسالة لا أكثر ولا أقل.

٥ ـ ولما كانت شريعة الله إلى الناس واحدة ورسالاته إلى الأنبياء خالدة، تمتد جذورها إلى الإنسان الأول وهو آدم أبو البشر، وتنتهي فروعها بانتهاء هذا الجنس البشري، وقيام الناس لرب العالمين، لذلك كان الدين الذي شرعه الله للإنسانية ديناً واحداً في جوهره وأصوله، لم يتغير بتغير الأنبياء، ولم يتبدل باختلاف الأزمنة والعصور، بل كان أساسه توحيد الله والإخلاص في عبادته، وتوزيع العدالة بين الناس، وهكذا كان الأنبياء جميعاً منذ أبيهم آدم عليه السلام إلى خاتمهم (النبي محمد ﷺ).

٦ ـ وإلى هذا المعنى الخاص باتحاد الديانات السماوية جميعاً في جوهرها وأصولها، يشير القرآن الكريم في مثل قوله تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ، كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾[١].

وقوله تعالى:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مَنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْراهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوودَ زَبُوراً، وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ، وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً، رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[٢].

(٢)

٧ ـ وقد وصف الله في كتب التوراة تكراراً بلفظ (الله الآب) ومثاله ما ورد في سفر أشعيا إصحاح ٦٤ عدد ٨:

---

(١) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٢) سورة النساء: الآيات ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥.

(والآن يا رب أنت أبونا نحن الطين وأنت عاملنا وكلنا عمل يديك) ولفظ (الآب) يعني (الله) باللغة السريانية، وهي اللغة الآرامية التي كان يتكلم بها المسيح عليه السلام.

٨ ــ والمعنى اللغوي الدقيق للفظ آب هو إعطاء الشيء ويعني لفظ آب بهذا المعنى أنه مُوْجِد الموجودات كافة ومكون كل الكائنات، أي فاطرها، أي خالقها وصانعها من غير مثال سابق، قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿رَبِّ قَدْ اتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَواتِ والأَرْضِ أنتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمَاً وأَلحِقْنِي بالصَّالِحِينَ﴾[١].

٩ ــ وهذا المعنى ورد في إنجيل يوحنا إصحاح ٨ عدد ٤١ في قول اليهود للمسيح:

(لنا أب واحد وهو الله)[٢] أي هو الذي أوجدنا وخلقنا وصنعنا.

١٠ ــ كما ورد هذا المعنى فيما ذُكر بإنجيل لوقا إصحاح ١٢ عدد ٣٠ من قول المسيح:

(وأما أنتم فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه)[٣].

١١ ــ والمسيح كان يطلق على (الله) لفظ (الآب)، وهو الله باللغة الآرامية أي السريانية كما قدَّمنا ولم يطلق عليه أبداً لفظ الوالد.

١٢ ــ لكن الكنيسة في مفهومها عن المسيح عليه السلام عموماً فسرت لفظ (الآب) على اعتبار أن الله ابناً وحيداً، أي أن الكنيسة أطلقت لفظ (والد) محل لفظ (آب) والآب هو الله باللغة الآرامية أو السريانية كما قدمنا، وهو مكون كل الكائنات وهناك فرق كبير بين التكوين والتوليد.

فالتكوين فعل قديم وعمل أول، وهو خلق الخلق وصنعه.

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠١.

(٢) الكتاب المقدس، العهد الجديد.

(٣) الكتاب المقدس، العهد الجديد.

أما التوليد فهو عبارة عن اشتراك عمل فاعلين اثنين.

وبناء على ما سبق إيراده.. فالله سبحانه وتعالى لم يوجد من العدم، وهو يُكَوِّن ويَخْلُق، أما الموجودات الكائنة فتتوالد فيما بينها، أي تثمر وتتناتج.

١٣ ــ ومن العجب أن الذي دس في فكر الكنيسة فكرة الأبوة والبُنوة بين الله والمسيح بالمعنى المفهوم عندها ــ أي بمعنى التواليد ــ هو الراهب المصري الأعزب (أوريغنوس) وكان خصياً خدم الرهبان بعد أن تأثر بالأفكار السيئة للفلسفة اليونانية، فقد ذكر ذلك الراهب خطأ عن المسيح الآتي:

(أ) أنه باعتبار أن مريم أمه فهو من عين جنس الإنسان أو مساوٍ لجنس الإنسان.

(ب) وباعتبار أن الله أبوه بمفهوم أنه والده فهو من عينِ جنس الله أو مساوٍ لجنس الله[١].

وهذا التفسير الذي ذكره الراهب المصري أوريغنوس لا يتفق حتى مع أصول الفلسفة للأسباب الآتية:

(أ) إن الفرد من نوع البشر لا يمكن أن يكون متجانساً مع الوجود المطلق وهو الله.

(ب) وبناء على ذلك فإن الخالق يخالف المخلوق في الذات والصفات.

(ج) وتطبيقاً على ما سبق فإن اعتبار المسيح مساوياً لله تعالى مستحيل.. والقول بغير ذلك اعتداء على العقل، بل واعتداء على الفلسفة أيضاً، لأنها مبنية على قضايا العقل.

١٤ ــ إذا كان ذلك كذلك كان الطريق السليم هو الرجوع إلى التعريف الذي ذكره المسيح عليه السلام عن الله سبحانه وتعالى، وهذا التعريف مذكور بوضوح في إنجيل مرقص إصحاح ١٢ عدد ٢٩ ونصه:

(اسمع يا إسرائيل الرب إلٰهنا رب واحد)[٢].

---

(١) كتاب الإنجيل والصليب للأب عبد الأحد داوود الآشوري العراقي.

(٢) الكتاب المقدس، العهد الجديد.

١٥ ــ وهذا التعريف الذي ذكره السيد المسيح، وتقيد وقيد به أتباعه من الحَواريين والتلاميذ وقتئذ مذكور بنصه وأصله في سفر التثنية من أسفار العهد القديم، وهي التوراة إصحاح ٦ عدد ٤ كما قدمنا وهو بلغة التوراة العبرانية يكون النص كالآتي:

(اسمع يا إسرائيل إلٰهنا يهوه ــ يهوه واحد) ويهوه هو العلم الذاتي لله، الواجب الوجود باللغة العبرانية، وهو باللغة العربية (الله جل جلاله) كما ورد عن المسيح أيضاً في إنجيل لوقا ص ٤ عدد ٨ قوله:

(أنه مكتوب: للرب إلٰهك تسجد.. وإياه وحده تعبد).

١٦ ــ والكتاب الذي أنزل على السيد المسيح هو الإنجيل.. ولفظةُ (إنجيل) **تعني فكرة دينية وعقيدة معنوية، موضوعها التبشير بالسعادة الحقيقية**.. وهذه السعادة الحقيقية موجودة في ملكوت الله الذي سيتقررتأسيسه في المستقبل.

(٣)

١٧ ــ ويقول الأب عبد الأحد داوود الآشوري العراقي فيما يقرره في أبحاثه: إن المسيح عليه السلام لم يكن مكلفاً بتأسيس دين جديد، ولهذا السبب فإنه لم يكن لجماعة النصرانية إلى حين انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م من كتاب ملهم رسمي غير كتب اليهود المقدسة العبرانية، وهي التوراة وماألحق بها من أسفار الأنبياء، والذين تعاقبوا على الشعب اليهودي من بعد موسى عليه السلام.. وذلك انتظاراً لكلام ملكوت الله الذي بشر عنه المسيح عليه السلام، بأنه سيأتي بعده، وأنه جاء مبشراً بمجيئه، ألا وهو الإسلام وكتابه الخالد القرآن الكريم[١].

١٨ ــ ويبدي الأب عبد الأحد داوود الملاحظات الآتية على كلام السيد المسيح نفسه والمسمى بالإنجيل:

أولاً: من المحقق أنه لم تكتب آية واحدة من الآيات النازلة على المسيح في حياته سواء فيما يختص بملكوت الله، أو كلامه الذي خاطب به بني إسرائيل.

---

(١) كتاب الإنجيل والصليب للأب عبد الأحد داوود الآشوري العراقي.

ثانياً: تلك الآيات بَلَّغها المسيح بصورة المشافهة.. كما تنوقلت عنه كذلك بالشفاه.

ثالثاً: والحواريُّون وتلاميذ المسيح بَلَّغوا مضمون ذلك الكلام، ومعانيه إلى أخلافهم مشافهة دون أن يكتبوا شيئاً من ذلك.

رابعاً: إن العالَمَ النصراني بقي حتى نهاية الربع الأول من القرن الرابع الميلادي بغير ما كتاب مسيحي مقدس معتمد.. أي حتى انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية.. بل كان هناك شتات من الكتب والرسائل المختلفة مع فئات النصرانية الكثيرة، وهناك في نيقية بعد طرد أنصار التوحيد من المؤتمر وعلى رأسهم آريوس، وقد كانوا أغلبيته، تم انتخاب أربعة كتب خلعوا على كل منها اسم (إنجيل)، كما تم انتخاب الرسائل المعتمدة حالياً وضموها إلى الكتب الأربعة الأخرى.

خامساً: إن النسخ الموجودة باللسان اليوناني للكتب الأربعة السابقة تحمل اسم إنجيل بصورة العنوان فقط.. أما نسختها المكتوبة باللسان السرياني، وهي المعتمدة جداً لدى كل عالم النصرانية المسماة (بشبطتا) أي البسيطة، فقد وضع عليها اسم (كاروزونا) أي موعظة أي أنها تحمل اسم موعظة في عنوانها، فتكون أسماؤها موعظة متى.. وموعظة مرقص.. وموعظة لوقا.. وموعظة يوحنا.

سادساً: وإذا كان الأمر كذلك لم يكن هناك برهان قوي على وجود إنجيل بهيئة كتاب مصدق من قبل المسيح عليه السلام.. وإن كان من المُسَلَّم به نزول هذا الإنجيل على المسيح.. ولكن ماذا كان ذلك الإنجيل؟.. وماذا صار إليه أمره؟

لا أحد الآن يعرف الإجابة على هذا السؤال.. خصوصاً وأنه من المُسَلَّم به أن المسيح لم يترك سطراً واحداً بهيئة كتاب.

سابعاً: وينتهي الأب عبد الأحد داوود من تحقيقاته الدينية إلى اقتناعه وتيقنه أن قصة قتل المسيح وصلبه ثم قيامه من بين الأموات قصة خرافية، وأن الأناجيل الأربعة مع كونها ليست تأليف المسيح ذاته لم توجد في زمانه، بل وجدت بعد وفاة تلاميذه بزمن طويل، ووصلت محرَّفة بعد أن لعبت بها أقلام كثيرة.

ثامناً: مما يؤيد هذا النظر الذي رآه الأب عبد الأحد داوود، ما ورد في قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست الأميركي، بأن ما جاء في إصحاح ١٦ من إنجيل مرقص من عدد ٩ إلى عدد ٢٠ لم يكن في النسخ الأصلية القديمة، بل أضيفت إليه فيما بعد، وتلك الفقرات هي الآتي:

(وبعد ما قام باكراً في أول الأسبوع، ظهر أولاً لمريم المجدلية التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين.. فذهبت هذه، وأخبرت الذين كانوا معه، وهم ينوحون ويبكون.. فلما سمع أولئك أنه حي، وقد نظرته لم يصدقوا.. وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم، وهما يمشيان منطلقين إلى البرية.. وذهب هذان وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين.. أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام.. وقال لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها.. من آمن وتَعَمَّد خَلَص.. ومن لم يؤمن يُدَنْ.. وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي، ويتكلمون بألسنة جديدة ويقبضون على الحيَّات، وإنْ شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرؤون، وإن الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله.. وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان، والرب يعمل معهم ويثبت كلامهم بالآيات التابعة.. آمين).

١٩ ــ وما دمنا قد تعرضنا لإنجيل أو عظة أو كتاب مرقص فلا بد من ذكر هذه الملاحظات عليه:

أولاً: هو أقدم العظات الأربع متّى ومرقص ولوقا ويوحنا كما يقرر الباحثون.

ثانياً: إن المتأمل فيه يتبين منه أن المسيح لم يسعى إطلاقاً لتأسيس كنيسة أو دين جديد.

ثالثاً: إن المسيح كان يكتفي فقط بتفسير كل أقسام الشريعة بمعانيها الحقيقة.

رابعاً: إن مقصود التعاليم التي بثها المسيح هو إعداد كل شيء لمجيء ملكوت الله الذي سيأتي فيما بعد، والذي أُرسل المسيح بصورة خاصة لأجل البشارة عنه.

٢٠ ــ أما الأناجيل الأربعة أو العظات الأربع فيُلاحَظ عليها عموماً تياران مختلفان:

أحدهما: يصور المسيح بسيرته الحقيقة، وواضح ذلك في **متى ومرقص ولوقا**، وظاهر ذلك في الطبعات الأولى لها.. لكنه تغير في الطبعات الثانية والثالثة وما بعد ذلك.. إذ قلبوا المعلم وجعلوه رباً وإلٰهاً نازلاً من السماء إلى الأرض.

ثانيهما: تيار يصور المسيح بأنه كلمة الله.. وابن الله تجسد وصار إنساناً، وهذا ما سطرته العظة الرابعة المسماة بإنجيل يوحنا.

٢١ ـ إذاً ما هي المهمة التي أرسل اللّهُ بها المسيح عليه السلام؟

إن المهمة الخاصة التي أرسل الله بها المسيح عليه السلام هي الآتي:

أولاً: إصلاح بني إسرائيل.

ثانياً: شرح الشريعة الموسوية.

ثالثاً: بث النشاط والروح الجديدة فيها.

وكل ما يخالف المعاني السابقة ليس بصحيح وإن ألحق بالمواعظ الأربعة التي يخلعون عليها لفظ أناجيل. **ومثال ذلك**:

فإن من يقول: (**لم أرسل إلا لخراف بني إسرائيل الضالة**). لا يقول: (**أنا نور العالم**) أو يقول: (**اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم**). فالعبارة الأولى هي الأحرى بالاعتماد عليها والاعتقاد بصدقها.. أما العبارات المخالفة فيجب طيها وعدم الالتفات إليها.

٢٢ ـ انتقد الأناجيل الأربعة السالف الإشارة إليها جماعة من المتقدمين بل وقاوموها مثل سلسول سنة ١٨٠ م وباسيليوس نحو سنة ١٢٥ م ومارسيون في نحو سنة ١٥٠ م وقالوا إنها كتبت باللغة اليونانية ما عدا إنجيل متى فكتب باللغة العبرانية، ثم ترجم إلى اليونانية وبالبحث عن الأصل العبراني تبين فقده.

٢٣ ـ وقد ذكر الدكتور جورج بوست الأميركي أن تلك الأناجيل الحالية تختلف عن نسخ الأناجيل القديمة[١].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، للدكتور جورج بوست.

(٤)

٢٤ ـ كيف دخل التثليث في عقيدة النصرانية؟

أولاً: الحقيقة الواقعة والتي لا جدال فيها أن التوحيد الخالص المجرد هو أساس الديانة النصرانية وأصلها، والذي عليه أتباع المسيح ومن جاء بعدهم، وذلك حتى انقضاء القرون الثلاثة الأولى التي تلت وجود المسيح، (كما هو أصل وأساس جميع الأديان السماوية)، ولم تحدث عقيدة التثليث إلا حينما دخل الوثنيّون من الرومان، والمصريين واليونانيين في النصرانية، فنقلوا معهم عقيدة التثليث المتأصلة في نفوسهم، وعقولهم من قديم، وأدخلوها ديانة النصرانية منذ تلك الأيام.

ثانياً: فلقد دعا الأمبراطور الروماني قسطنطين أغوصطنيوس لعقد مجمع لتقرير عقيدة للنصرانية في المسيح والدين، وقد انعقد ذلك المجمع سنة ٣٢٥ ميلادية وحضره ٢٠٤٨ من الأساقفة من جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وكان فارسا هذا المؤتمر اثنين هما آريوس رئيس الموحدين، وكان أسقفاً في نيقوميديا، وفي رواية أخرى كان أسقفاً بالإسكندرية، والفارس الآخر هو أثاناسيوس الراهب الشاب من نصارى الإسكندرية، وكان يتزعم فكرة التثليث وألوهية المسيح.

ثالثاً: قرر الموحدون وعلى رأسهم آريوس أن كل الكتابات والمحررات القديمة التي تتضمن التثليث وتجسيد المسيح محرفة وزائفة، ولذلك طلبوا بكل شدة طيها، لأنها محررات وكتابات كاذبة، وأن المسيح مخلوق، وأنه عبد الله، واستندوا في ذلك إلى ما لديهم من الآيات الإنجيلية، وكذا بتفاسير الآباء السابقين في النصرانية. . وقد اعترف بحقيقة التوحيد الثلثان في مؤتمر نيقية حيث ناصروا آريوس وهم أكثرية المجتمعين في المؤتمر.

رابعاً: لكن أثاناسيوس راهب الإسكندرية رفض الموافقة على رأي الموحدين وذكر أن المسيح إله تام، وأنه متحد الجوهر مع الله، واستند على فقرات وكتابات منسوبة إلى بعض آباء الكنيسة الآخرين، وقد أيد ثلث أعضاء المؤتمر تلك الفكرة التي نادى بها أثاناسيوس راهب الإسكندرية، واشتد النزاع والنقاش بين الفريقين حتى وصل الأمر إلى حد السباب والمشاتمة، ثم إلى المجادلة والمضاربة.

خامساً: وكان المأمول وقتئذٍ تدخل السلطة للتوسط بين الفريقين، والتمسك برأي أغلبية المؤتمر، وهم أنصار التوحيد لكنّ ما حدث كان عكس ذلك، فقد تبطن الإمبراطور قسطنطين رأي صديقه وابن وطنه بابا روما، والذي توافقت ميوله مع ميول بابا الإسكندرية على تقرير عقيدة الثالوث أو التثليث، وألوهية المسيح. وبناء على ذلك أمر الإمبراطور بأن يطرد من المؤتمر أكثر من سبعمائة من الرؤساء الروحانيين أنصار التوحيد، حيث نفي بعضاً منهم وقتل البعض الآخر، وعلى رأسهم آريوس زعيم الموحدين.

سادساً: إنه يمكن القول بأن المسيح عليه السلام أنبأ بهذا الحادث العظيم بقوله الوارد عنه في إنجيل يوحنا إصحاح ١٦ عدد ٢، ٣ ونصه:

(سيخرجونكم من المجامع، بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله.. وسيعملون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفوني)[١].

سابعاً: ولقد كوّن الإمبراطور قسطنطين مجمعاً محدوداً من ٣١٨ أسقفاً ممن يؤيدون فكرة ألوهية المسيح، وتحت الترغيب والترهيب وضعوا توقيعاتهم على الوثيقة المشهورة بعنوان عقيدة نيقية، أو عقيدة الأمانة مشتركين في ذلك مع نواب بابا روما، وفرقة أثاناسيوس راهب الإسكندرية.

ثامناً: وفي ذلك المجمع المحدود قد تقرر رفض كتب النصرانية الكثيرة خصوصاً تلك التي تضمنت وحدانية الإله، وعبودية المسيح لله، بوصفها مشتملة على تعاليم لا تتوافق مع عقيدة نيقية الجديدة، بل قرر المؤتمر المذكور إحراق تلك الكتب وإعدامها وإبادتها.

٢٥ ــ وأركان عقيدة التثليث لدى النصرانية أو عقيدة نيقية هي الآتي:

(أ) الآب.. وهو الأقنوم الأول من الذوات الإلهية الثلاثة مع كونه والد الأقنوم الثاني وأنهما من جوهر واحد.

---

(١) الكتاب المقدس، العهد الجديد.

(ب) الابن.. وهو الأقنوم الثاني مع كونه ولد الأقنوم الأول وابنه الوحيد.. فإنه خلَّص العالم من الخطيئة بقتله على الصليب.

(ج) الروح القدس.. وهو الأقنوم الثالث وقد صدر عن ركني التثليث الآخرين بصورة دائمة أبدية ومهمته إعطاء الحياة.

٢٦ ــ ويقرر الكاردينال منبتع الإنجليزي أنه إذا لم تكن وفاة المسيح صلباً حقيقيةً فحينئذٍ يكون بناء عقيدة الكنيسة قد هدم من الأساس، لأنه إذا لم يمت المسيح على الصليب لا توجد الذبيحة ولا النجاة ولا التثليث(١).

إن الكنيسة التي تعلن الحرب على الأصنام كما تدَّعي، هي بذاتها تعبد صليباً مصنوعاً من معدن أو خشب بدعوىٰ أنه كشف سر التثليث، وفي اعتقادهم أن النصراني الذي لا يرسم الصليب على وجهه، أو لا يقبل الصليب المصنوع من المعدن أو الخشب لا تقبل عبادته.

٢٨ ــ مما تقدم يتبين أن عقيدة التثليث أصبحت بسلطة إمبراطور الرومان قسطنطين وقوته، وخصوصاً في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م وما بعده، هي عقيدة النصرانية الرسمية، ومما تجدر الإشارة إليه في مجامع النصارى الكَنَسِيَّة أنه كان أكثر الحاضرين فيها من **الرومان واليونان والمصريين** (ممن تنتشر بينهم عقيدة الثالوث في دياناتهم السابقة على النصرانية) فكانت لهم السيطرة والنفوذ على تلك المجامع، فأجمعوا على تثبيت عقيدة الثالوث في النصرانية مع أن جميع الكتب السماوية تأباها حتى الأناجيل المتداولة بينهم تأباها.

٢٩ ــ والعجيب في الأمر أن الإمبراطور قسطنطين والذي يعتبر هو المؤسس لعقيدة نيقية، هو ذلك الملك الوثني الروماني لما ثبت بشهادة (أبوسيبوس أسقف قيصرية، والذي تقدسه الكنيسة وتمنحه لقب سلطان المؤرخين، وكان صديقاً للإمبراطور.. قرر صراحةً أن الإمبراطور المذكور اعتمد منه حين كان مريضاً وأسير الفراش، أي بمعنى آخر أنه لم يدخل في النصرانية حال حياته، وحال انعقاد مؤتمر نيقية بل دخل النصرانية واعتمد فيها وهو على فراش الموت).

---

(١) كتاب كهنوت الأبدية، للكاردينال منبتع الإنجليزي.

٣٠ ـ يقول بعض النصارى إن تمسكهم بالتثليث راجع إلى ما ورد في إنجيل متى ص ٢٨ عدد ١٩ من أن المسيح ظهر لتلاميذه بعد صلبه، وموته، وقال لهم:

(فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس).

لكن هل هذه العبارة تفيد الانسلاخ من التوحيد إلى التثليث؟

والجواب على ذلك: أن هذه العبارة (على فرض ورودها حقيقة من المسيح) فإنها لا تفيد أدنى دلالة على فهم النصارى من أن الله الواحد الأحد الفرد هو ثلاثة أقانيم ـ أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم الروح القدس ـ بل هي صريحة في أن كل واحد من هذه الثلاثة هو غير الآخر تماماً لأن العطف يقتضي المغايرة، والمعنى السليم للنص هو:

(عمدوهم باسم كل واحد من هذه الثلاثة المتغايرة:

(أ) فالآب ـ هو الله تعالى ـ وهو أب لكل الأنبياء والأولياء والمرسلين والقديسين، بل ولعموم المؤمنين، كما هو مصرح في الإنجيل أيضاً.

(ب) والابن ـ الذي يراد به المسيح ـ أطلق أيضاً على إسرائيل وداوود وسليمان، بل وأطلق على آدم في العهد القديم ـ كما أطلق على كل صالح، كما هو مصرح به أيضاً في الإنجيل، وهو ـ العهد الجديد إذ ليس هو خاص بالمسيح.

(ج) وأما الروح القدس فهو ذلك الوحي أو الوحي نفسه الذي ينزل على المسيح وعلى أمثاله من الأنبياء ـ وليس خصوصية للمسيح فقط.

والمعنى المستفاد من النص المذكور والذي لا يصح أن يفهم سواه هو الآتي:

عمدوا الأمم وعلموا أبناءها:

* **باسم الآب**: أي الله الواحد الأحد الفرد الذي لا شريك له.

* **باسم الابن**: أي المسيح بمعناه الذي حدده هو عن نفسه بكلامه ـ بالرسالة ـ أي أنه رسول من الله.

* **وباسم الروح القدس**: أي الوحي الذي نزل على المسيح عليه السلام وعلى من قبله من الأنبياء والمرسلين وبعبارة مختصرة علموا الأمم:

* وحدانية الإله الأحد، الذي وحده يستحق العبادة والتقديس.
* ورسالة المسيح وغيره من الأنبياء الذين سبقوه.
* والوحي الذي أنزل عليه لهداية المنذر إليهم ــ والوحي الذي أنزل على من كان قبله من الأنبياء.

٣١ ــ وهناك بعض النصارى يقولون: إن بعض الأناجيل المتداولة بينهم ورد بها إطلاق لفظ (إله) على المسيح، مما يؤيد سلامة معتقداتهم، لكن يرد على ذلك بأن لفظ (إله) أطلق ليس على المسيح وحده بل أطلق على الملك، وعلى كل نبـي وعلى كل متسلط:

(أ) ففي سفر الخروج إصحاح ٧ عدد ١:
(فقال الرب لموسى: انظر أنا جعلتك إلٰهاً لفرعون، وهارون أخاك يكون نبيك).

(ب) وجاء بالسفر المذكور أيضاً ص ٤ عدد ١٦:
(وهو ــ أي هارون ــ يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فماً وأنت تكون له إلٰهاً).

فإذا كان إطلاق اسم الإلٰه في الإنجيل على المسيح يلزم أن يكون هو الله بذاته وعينه كما يفهم رجال الدين النصراني، فإن موسى يلزم أن يكون هو الله بذاته وعينه أيضاً بحكم هذا المنطق غير أنه لم يقل أحد بذلك مطلقاً.

وحيث إن إطلاق اسم (الإله) في الكتب المقدسة ليس مخصوصاً بالمسيح، ولا يوجد وجه بتخصيص المسيح بالألوهية الحقيقة دون غيره من الأنبياء والملائكة.

(٥)

٣٢ ــ ولقد كتبت دائرة معارف لاروس الفرنسية (أنسكلوبيديه) للقرن التاسع عشر في موضوع التوحيد والتثليث مايلي:[١]

(عقيدة التثليث وإن لم تكن موجودة في كتب العهد الجديد (الإنجيل)، ولا في أعمال الآباء الرسوليين، ولا عند تلاميذهم الأقربين ــ إلا أن الكنيسة الكاثوليكية، والمذهب البروتستانتي التقليدي، يدّعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيِّين

(١) دائرة معارف لاروس الفرنسية، للقرن التاسع عشر.

في كل زمان، رغماً عن أدلة التاريخ الذي يرينا كيف ظهرت هذه العقيدة، وكيف تمت وكيف علقت بها الكنيسة بعد ذلك.

نعم إن العادة في التعميد كانت أن يذكر على الشخص المعمد اسم الآب والابن والروح القدس، ولكن لهذه الكلمات مدلولات غير ما يفهم منها نصارى اليوم، وأن تلاميذ المسيح الأولين الذين عرفوا شخصه وسمعوا قوله، كانوا أبعد الناس عن الاعتقاد بأنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لذات الخلق.

وما كان بطرس تلميذ المسيح يعتبر المسيح أكثر من رجل يوحى إليه من عند الله.

أما بولس فإنه خالف عقيدة التلاميذ الأقربين لعيسى، وقال: إن المسيح أرقى من إنسان وهو نموذج إنسان جديد ــ أي عقل سام متولد من الله.

(وكان الشأن في تلك العصور أن عقيدة إنسانية عيسى كانت غالبة طيلة مدة تكون الكنيسة الأولى من اليهود المتنصرين، فإن الناصريين سكان مدينة الناصرة وجميع الفرق النصرانية التي تكونت من اليهودية، اعتقدت بأن عيسى إنسان بحت، مؤيد بالروح القدس. وما كان أحدهم يتهمهم إذ ذاك بأنهم مبتدعون وملحدون، فكان في القرن الثاني في الكنيسة مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح، ويعتبرونه إنساناً بحتاً، وإن كان أرقى من غيره من الناس، وحدث بعد ذلك أنه كلما نما عدد من تنصر من الوثنيين ظهرت عقائد جديدة لم تكن من قبل).

(انتهى كلام دائرة المعارف الفرنسية).

(٦)

٣٣ ــ ويقول الأستاذ عوض سمعان الباحث القبطي في أحد كتبه مشيراً لنفس ما أشارت به دائرة المعارف السابقة:

(إن المتفحص لعلاقة الرسل، والحواريين بالمسيح، يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنسان، ولم يتصوروا على الإطلاق أنه إله. ولكن لماذا؟؟.

(أ) لأنهم أي الرسل والحواريين كيهود، كانوا يعلمون تمام العلم أن الاعتراف بأن إنساناً هو الله يعتبر تجديفاً يستحق الرجم في الحال.

(ب) ولأنهم كيهود أيضاً كانوا يستبعدون أن يظهر الله في هيئة إنسان. نعم كانوا ينتظرون (المسيا) لكن المسيا بالنسبة إلى أفكارهم التي توارثوها عن أجدادهم، لم يكن سوى رسول ممتاز، يأتيهم من عند الله وليس هو ذات الله)[١].

٣٤ ــ ومما تقدم يتبين أن الأصل في ديانة النصرانية، هو التوحيد، والمسيح لم يأتِ لينقض هذا الأساس بل جاء ليقرره ويؤكده، فهو لم يأتِ لينقض الناموس الذي جاء به موسى عليه السلام، بل جاء ليتمم كما قال بما هو وارد عنه في الأناجيل، ولكن طرأ على عقيدة النصرانية عاملان نقضا الناموس حجراً حجراً، ولبنة لبنة، ومسخا عقيدة التوحيد النقية إلى عقيدة التثليث وهذان العاملان هما:

أولاً: بولس الذي كان عدواً للنصارى والنصرانية، وهو لم يرَ المسيح ولم يجتمع به بالمرة وزعم أنه دخل النصرانية وجعل يكرز في المجامع بأن المسيح هو ابن الله[٢].

ثانياً: مجمع نيقية الذي انعقد سنة ٣٢٥ ميلادية بأمر الإمبراطور قسطنطين كما أشرنا إلى ذلك آنفاً.

الأقانيم وما تشير إليه

الأقانيم جمع أقنوم هي كلمة يونانية، تعني الأصل أو المبدأ، وكان فلاسفة الإغريق يرجعون وجود العالم إلى أصول ثلاثة، وقد أثرت هذه الفلسفة الإغريقية في تفلسف النصرانية بعقيدة التثليث، إذ أوَّلوا نصوص العقيدة النصرانية على نمط الفلسفة الإغريقية في الأقانيم الثلاثة عندهم، وهي:

الوجود ــ والعلم ــ والحياة.

والألفاظ الدالة عليها في المصدر النصي للنصرانية هي:

الله ــ كلمة الله ــ الروح القدس:

---

(١) كتاب (الله . . . طرق إعلانه عن ذاته)، للأستاذ عوض سمعان.

(٢) يُرجع في هذا إلى الباب الخامس من كتاب النصرانية والإسلام للمؤلف تحت عنوان (بولس الرسول) وأثره في النصرانية.

فالله ـــ في مقابل أقنوم الوجود.

وكلمة الله ـــ في مقابل أقنوم العلم.

والروح القدس ـــ في مقابل أقنوم الحياة.

رأي النساطرة:

وهم أتباع نسطور، يرون أنها ترجع إلى شيء واحد هو (الوجود).

فالوجود: هو الجوهر، وهو الذات الواحدة.

والعلم والحياة صفتان أو اعتباران له[١].

● ● ●

(١) الإسلام والمدنية الحديثة للعلامة أبو الأعلى المودودي ـــ نشر بمجلة الأزهر الجزء الثالث السنة الخمسون رجب سنة ١٣٩٨هـ يونيه سنة ١٩٧٨م.

الباب الثاني

مناقشة ألفاظ (ابن ـ آب ـ ولادة)

أولًا: لفظ ابن

إطلاقات . . لفظ ابن الله :

يدعي النصارى بأن المسيح عيسى بن مريم هو ابن الله، وبذلك حل فيه الأقنوم الثاني.

ويرد على ذلك بأن لفظ ابن الله لم يقتصر في الكتب المقدسة على المسيح عيسى بن مريم أو يسوع بن مريم كما يطلق عليه في العهد الجديد من الكتاب المقدس، بل أطلق ابن الله على كثيرين غيره طبقاً للآتي:

١ ــ آدم عليه السلام:

ورد في إنجيل لوقا ص ٣ عدد ٢٣ ــ ٣٨ الآتي عنه:

(ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي . . . إلخ ابن أنوش بن شيث بن آدم بن الله.

والمعنى عن آدم:

يعني أن الله خلقه بدءاً لا بالولادة كسائر البشر . . . ويجوز أن يكون المعنى نفسه بالنسبة للمسيح، أن الله خلقه بدءاً بدون زواج أمه برجل.

وعن الأقنوم:

أنه كما لم تقتضِ بنوّة آدم لله حلول الأقنوم الثاني فيه لا يلزم ذلك في المسيح أيضاً.

* * *

٢ ـ سليمان عليه السلام:

(أ) ورد في سفر صموئيل الثاني، يقول الله خطاباً لداوود عليه السلام:

(متى كملت أيامك، واضطجعت مع آبائك.. أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك.. وأثبت مملكته وهو يبني بيتاً لاسمي. وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد.. أنا أكون له أباً.. وهو يكون لي ابناً).

(انظر سفر صموئيل ص ١٧ عدد ١٢ ـ ١٣).

(ب) وورد في سفر الأيام الأول عن الله خطاباً لداوود:

(ويكون متى كملت أيامك لتذهب مع آبائك أني أقيم بعدك من نسلك الذي يكون مني بينك، وأثبت مملكته وهو يبني لي بيتاً.. وأنا أثبت كرسيه إلى الأبد.. أنا أكون له أباً.. وهو يكون لي ابناً.. ولا أنزع رحمتي عنه).

(انظر سفر الأيام الأول ص ١٧ عدد ١١ ـ ١٣).

* * *

٣ ـ الشرفاء أو الأقوياء:

(أ) ورد في سفر التكوين ص ٦ عدد ٢:

(وحدث أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات... إلخ).

(ب) وورد في السفر السابق ص ٦ عدد ٤:

(وبعد ذلك أيضاً.. إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً).. قيل إنهم أبناء شيث الأقوياء وأن بنات الناس هن بنات قابين.

(ج) وورد في المزامير.. انظر مزمور ٢٩ عدد ١:

(قَدِّموا للرب يا أبناء الله.. قدموا للرب مجداً وعزاً) وفسرت بالأقوياء الأشداء.

(د) وجاء في سفر أيوب ص ١ عدد ٦):

(وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب) وفسروه بالشرفاء.

* * *

٤ ــ أطلقت الأسفار ابن الله على كل إسرائيلي طاهر، أم غير طاهر، طبقاً للآتي:

(أ) (لما كان إسرائيل غلاماً أحببته.. ومن مصر دعوت ابني).

(انظر سفر هوشع ص ١١ عدد ١).

(ب) (ويكون عوضاً عن أن يقال لهم: لستم شعبي، يقال لهم: أبناء الله الحي).

(انظر سفر هوشع إصحاح ١ عدد ١٠).

(ج) وورد في سفر أشعيا ص ٣٠ عدد ١ عن بني إسرائيل:

(ويل للبنين المتمردين يقول الرب).

(د) وفي السفر السابق أيضاً عن بني إسرائيل ص ٤٣ عدد ٦:

(أقول للشمال أعط.. وللجنوب لا تمنع.. أنت بنيّ من بعيد.. وبناتي من أقصى الأرض).

(هـ) وفيه أيضاً ص ٤٥ عدد ١١:

(اسألوني عن الآتيات من جهة بنيّ).

(و) وفي سفر أرميا ص ١٠ عدد ٢٠:

(بنيّ خرجوا عني).

(ز) وفي حزقيال ص ١٦ عدد ٢٠ عن أورشليم:

(أهو قليل من زِناك أنك ذبحت بنيّ).

(ح) وفي سفر أشعيا ص ١ عدد ٢:

(اسمعي أيتها السموات وأصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلم بين ربَّيتُ ونشأتهم.. أما هم فعصوا علي).

(ط) وفي مزمور ٨٠ عدد ١٤:

(يا إلّه الجنود ــ إرْجِعْ، تطَلَّع من السماء وانظر، وتعهد هذه الكرمة والغرس الذي غرسته يمينك والابن الذي اخترته لنفسك).

(ي) وفي سفر أشعيا ص ٦٣ عدد ٨):
(أنهم شعبي بنون لا يخونون).

(ك) وفي سفر التثنية ص ٣٢ عدد ١٩ :
(فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته).

* * *

٥ ـ أطلقت الرسائل المسيحية والأناجيل لفظ (ابن الله) على كل نصراني طبقاً للآتي:

(أ) قال بولس في ص ٤ عدد ٦ من رسالته لأهالي غلاطية:
(ثم بما أنكم أبناء؛ أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم).

(ب) ورد بإنجيل لوقا ص ٢٠ عدد ٣٦ القول المنسوب للمسيح عليه السلام:
(إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله).

(ج) ورد في سفر أعمال الرسل ص ١٧ عدد٢٨ ـ ٢٩ قول بولس:
(فإذ نحن ذرية الله).

(د) ورد في إنجيل متى ص ١٢ عدد ٥٠ على لسان المسيح:
(لأن كل من يعمل بإرادة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي).

* * *

٦ ـ أطلقت الأسفار ابن الله على كل عبد بار سواء كان نصرانياً أو غير ذلك، فمثلاً:

(أ) قال داوود في مزموره (٨٩ عدد ٦):
(من يشبه الرب بين أبناء الله).

(ب) ورد بإنجيل متى ص ٥ عدد ٤٤ ، ٤٥ على لسان المسيح:
(وصَلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم، ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات).

(ج) ويقول بولس في رسالته إلى مؤمني روما ص ٨ عدد ١٤ :
(لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله).

(د) وفي رؤيا يوحنا اللاهوتي ص ٢١ عدد ٧ :
(من يغلب يرث كل شيء ـ وأنا أكون له إلَهاً وهو يكون لي ابناً).
(والغلبة تعني الإيمان ـ انظر في ذلك رسالة يوحنا الأولى ص ٥ عدد ٤).
(وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا).

(هـ) ويقول بولس في رسالته الثانية إلى أهل كولوسّي ص ٦ عدد ١٨ :
(وأنتم تكونون لي بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء).

(ز) وورد في إنجيل متى ص ٥ عدد ٩ قول المسيح :
(طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون).

والخلاصة لما تقدم:

يتبين من أسفار النصارى أن المسيح عليه السلام فسر البنوة لله بمن يتشبه بالله في مقابلة الإساءة بالإحسان، وتعميم رحمته للأشرار والأبرار، كما في قوله لتلاميذه وهو يعلمهم:

(سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ـ وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم ـ أحسنوا إلى مبغضيكم ـ وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم؛ لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين).

(انظر إنجيل متى ص ٥ عدد ٤٣، ٤٤، ٤٥).

* * *

٧ ـ ولقد أطلقت الأسفار ابن إبليس على العبد الشرير:

فكل عبد شرير وكل من يخالف مشيئة الله دعته الأسفار ابن إبليس ومن أمثلة ذلك:

(أ) قال بولس في أعمال الرسل ص ١٣ عدد ١٠ في (عليم الساحر) الذي كان يدَّعي النبوة كذباً وهو يهودي اسمه (باريشوع):

(أيها الممتلىء كل غش وكل خبث يا (ابن إبليس).

(ب) وقال يوحنا في رسالته الأولى ص ٣ عدد ٨:

(من يفعل الخطيئة فهو من إبليس ـ لأن إبليس من البدء يخطىء).

(ج) وقال المسيح كما هو وارد في إنجيل متى ص ١٢ عدد ٣٤ عن أعدائه من اليهود:

(يا أولاد الأفاعي ـ كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار).

والأفاعي في اصطلاح الأسفار تعني الشياطين ـ كما قال علماء النصرانية المدققون أن حية التكوين الواردة في الإصحاح الثالث من ذلك السفر هي الشيطان.

* * *

٨ ـ أطلقت الأسفار بنوة الخاطىء في بعض منها للصنم، ومن أمثلة ذلك ما ورد في سفر ملاخي ص ٥ عدد ١١:

(لأن يهوذا قد نجس قدس الرب الذي أحبه وتزوج بنت إلّه غريب).

يريد أن يقول أن اليهود صاهروا الأمم الوثنية.

* * *

٩ ـ أطلقت بعض الأسفار (ابن الشيء) على من كان ملازماً لذلك الشيء، ومحباً له والأمثلة على ذلك الآتي:

(أ) (أولاد اللعنة) ورد ذلك في رسالة بطرس الثانية ص ٢ عدد ١٤.

(ب) و (بنو الملكوت) ورد هذا بإنجيل متى ص ١٣ عدد ٣٨.

(ج) و (بنو العرس) ورد هذا بإنجيل مرقص ص ٢ عدد ١٩.

(د) و (الحرب على بني الإثم) ورد هذا بسفر هوشع ص ١٠ عدد ٩.

(هـ) (لأن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور في جبلهم) ورد هذا بإنجيل لوقا ص ١٦ ـ عدد ٨.

(و) (هم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة) ورد هذا بإنجيل لوقا ص ٢٠ عدد ٢٦.

(ز) (آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور) ورد هذا بإنجيل يوحنا ص ١٢ عدد ٣٦.

(ح) (يأتي غضب الله على أبناء المعصية) ورد هذا برسالة بولس إلى أهل كولوسِّي ص ٣ عدد ٦.

(ط) (ولم يهلك منهم أحد إلاَّ ابن الهلاك) ورد هذا بإنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ١٢.

(ي) (وابن الإثم لا يُذلُّه) ورد هذا بمزمور ٨٩ عدد ٢٢.

* * *

١٠ ــ أطلقت الأسفار في بعضها ابن البلد كابن صهيون على الشخص الذي نشأ فيها أو المحل الذي يسكن فيه، ومن أمثلة ذلك:

(أ) (ليبتهج بنو صهيون بملكهم).

ورد هذا بمزمور ١٤٩ عدد ٢.

(ب) (أخذت بنيك وبناتك الذين ولدتهم لي وذبحتهم لها).

ورد هذا في سفر حزقيال ص ١٦ عدد ٢٠.

(ج) ورد بإنجيل متى قول المسيح مخاطباً الكتبة الفرِّيسيُّون، وذلك في ص ٢٣ عدد ١٥:

(تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً ــ ومتى حصل تضعونه ابناً لجهنم).

وورد في سفر نشيد الإنشاد ص ٣ عدد ٧:

(أُحَلِّفُكُنَّ يا بنات أورشليم).

* * *

وخلاصـة البحـث:

إن لفظة (ابن الله) أطلقت على كل من له صلة بالله من الأنبياء، والشرفاء، والأقوياء، وشعب إسرائيل الطاهرين، وتابعي المسيح المؤمنين، بل وعلى كل مطلق مستقيم بار كامل في الله.

والقـاعـدة:

١ ــ إن كل الذين ينقادون بروح الله هم (أبناء الله) انظر رسالة رومية ص ٨

عدد ١٤، أما كل جاحد شرير، وكل من يعمل الخطايا، فقد أطلق عليه (ابن إبليس)، والسبب في ذلك القربى والصلة المعنوية.

فمن كان قريباً من الله قرباً معنوياً، وله به صلة بسبب أنه يعمل بمشيئته، ويمتثل أمره فهو ابنه، ومن كان قريباً من إبليس وله به صلة بسبب أنه يعمل الآثام والمعاصي فهو ابن له.

٢ ــ لا يلزم من ذلك الإطلاق حلول أقنوم الابن ــ الأقنوم الثاني ــ في أجساد من ذكروا ــ وبالتالي فلا حجة، ولا يلزم من إطلاق لفظ ابن الله على المسيح أن يحل عليه أقنوم كما يزعم النصارى، إنما غاية ما يرمي إليه ذلك الإطلاق أن المسيح عبد بار لله، يفعل مشيئته ويتقيه ويعبده بإخلاص.

علَّة تسمية بعض الناس بلفظ ابن الله:

العلَّة في ذلك هو صلاح هؤلاء الناس، وبرهم وتقاهم، وفعلهم مشيئة ربهم طبقاً للآتي:

١ ــ إذا نظرنا في سفر صموئيل الثاني ص ٧ عدد ١٣ نجده يقول في وصف سليمان عليه السلام:

(هو يبني بيتاً لاسمي).

ثم يقول في عدد ١٤:

(وهو يكون لي ابناً). .

وفي سفر الأيام الأول ص ١٧ عدد ١٢ يقول:

(هو يبني لي بيتاً).

ثم يقول في عدد ١٣:

(وهو يكون لي ابناً).

ومن هنا تتبين علة تسمية سليمان (بالابن لله) هذه العلة هي كما سبق في علم الله (أنه يبني بيتاً لله) فيكون باراً بذلك.

ومن أجل هذا قال في الموضعين ــ يكون ــ ولم يقل كان ــ إشارة إلى أنه لا يستحق شرف التسمية (بالابن) إلاَّ بعد البناء السابق في علم الله أن يصير، ولا شك أن بناء بيت لله هو من أعظم أنواع البر.

٢ ــ إذا دقَّقنا النظر في قول المسيح عليه السلام، الذي يحكيه عنه إنجيل متى في إصحاح ٥ عدد ١٤، ٤٥ وهو الآتي:

(وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ــ لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات).

فنتبين علة صيرورتهم أبناء الله، ألا وهي برّهم بصلاتهم للذين يسيئون إليهم ويطردونهم.

٣ ــ والملاحظ في قول بولس في رسالته إلى رومية إصحاح ٨ عدد ١٤ ونصه:

(لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله).

فاهتداء هؤلاء القوم بإرشاد الوحي إلى البر هو علة تسميتهم أبناء الله.

٤ ــ والمتأمل فيما هو منسوب إلى الله في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي إصحاح ٢١ عدد ٧:

(من يغلب يرث كل شيء ــ وأنا أكون له إلّهاً ــ وهو يكون لي ابناً).

مع قول يوحنا في رسالته الأولى إصحاح ٥ عدد ٤:

(وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا).

فمن ذلك يتبين أن صاحب سفر الرؤيا اعتبر الإيمان بالله علة للتسمية بالابن لله.

٥ ــ وورد في رسالة بولس لأهالي كورنثوس الثانية إصحاح ٦ من عدد ١٤ ــ ١٨:

(لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين، لأنه أية خلطة للبر والإثم؟! وأية شركة للنور مع الظلمة؟ وأي اتفاق للمسيح مع إبليس؟ وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟ وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان؟ فإنكم أنتم هيكل الله الحي، كما قال الله: إني سأسكن في وسطهم وأسير بينهم، وأكون لهم إلّهاً، وهم يكونون لي شعباً، لذلك اخرجوا من

وسطهم، واعتزلوا بقول الرب، ولا تمسوا نجساً! فأقبلكم، وأكون لكم أباً، وأنتم تكونون لي بنين وبنات، يقول الرب القادر على كل شيء).

فيفهم من الكلام السابق أن كونهم بنين وبنات للرب معلول لعلة برّهم السابقة بانفصالهم عن عالم الإثم والمعصية.

٦ ــ إن من يمعن النظر في القول المنسوب للمسيح عليه السلام الوارد بإنجيل لوقا إصحاح ٦ عدد ٣٥ ونصه:

(أحبوا أعداءكم ــ وأحسنوا وأقرضوا، وأنتم لا ترجون شيئاً، فيكون أجركم عظيماً، وتكونوا بني العلي؛ فإنه ينعم على غير الشاكرين والأشرار).

فيظهر من أن إعطاء تلاميذ المسيح لقب بني العلي، يترتب على إحسانهم وإقراضهم بلا رجاء.

٧ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ٨ من عدد ٣٠ ــ ٣٦ منسوباً إلى المسيح عليه السلام:

(فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به: إنكم إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي، وتعرفون الحق والحق يحرركم، أجابوه إننا ذرية إبراهيم، ولم نستعبد لأحد قط، كيف تقول أنت: إنكم تصيرون أحراراً؟ أجابهم يسوع: الحق الحق أقول لكم؛ إن كل من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة، والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد؛ فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً).

فهنا نجد أن المسيح عليه السلام قصد بالابن: الشخص الحر بمعرفة الحق والعمل به، بدليل أنه يقابله بالعبد عبد الخطيئة، وهو من يعمل الخطيئة.

فالابن هو الذي تحرر من الخطيئة، أي لم يعملها مثابراً عليها.

ومن ذلك يتبين العلة في إطلاق لفظ (ابن) على الإنسان البار التقي، هذه العلة هي **تحرره من عمل الخطيئة.**

فكل من تحرر بالحق علماً وعملاً، هو ابن الله، ويظهر ذلك في بره وتقاه وفعله مشيئة الرب.

علّة إطلاق ابن الله على المسيح عليه السلام:

وقد أطلق على المسيح ابن الله وعلة ذلك كما سبق تفصيله هي: أنه يعمل الأعمال التي يرضاها الله، ويفعل مشيئته، ويتخلّق بصفاته طبقاً للآتي:

١ ــ ورد في موعظة متّى التي يسميها النصارى بإنجيل متّى ص ٣ من عدد ١٣ ــ ١٧:

(حينئذٍ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن ليتعمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلاً: أنا محتاج أن أتعمَّد منك، وأنت تأتي إليَّ، فأجاب يسوع وقال له: اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل برّ، حينئذٍ سمح له، فلما تعمَّد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السموات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه، وصوت من السموات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت).

٢ ــ ونظير ذلك في بشارة مرقص ص ١ من عدد ٩ ــ ١١:

فكل من متى ومرقص جعل من انفتاح السموات ونزول الروح وإعطاء لقب الابن معلولاً للتعمّد الذي هو أفضل أنواع البر.

٣ ــ ويؤكد هذا النظر قول بولس في رسالته إلى غلاطيه ص ٤ عدد ٦:

(ثم بما أنكم أبناء الله أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم).

فجعل كونهم أبناء الله، علة لإرسال الروح القدس إلى قلوبهم.

٤ ــ ويظهر هذا التأكيد بجلاء منْ أن المسيح هو ابن تشبيهي من قول بولس في رسالته للعبرانيين ص ٣ عدد ٦:

(وأما المسيح فكابن على بيته)، إذ الكاف حرف تشبيه، أي أنه من هذه الجملة يظهر حرف التشبيه، وبذلك تظهر الحقيقة بهذه الجملة التشبيهية على ما سبق وروده خالياً من حروف التشبيه أو أداة التشبيه.

موقف آريوس على ضوء ما سبق شرحه:

إن آريوس كان أسقفاً في نيقوميدية وهي مدينة قديمة في آسيا الصغرى وتسمّى

اليوم (إزميت)، وقيل كان أسقفاً في الإسكندرية، وفي سنة ٣١٢ نادى برأيه بأن المسيح ليس بإلّه بل هو عبد الله ورسوله ومسيحه، وإن معنى كونه ابناً لله تعالى، أنه بار وتقي يعمل مشيئة الله تعالى.

فهو ابن بالمعنى العام المتحقق في كل من أطلق عليه لفظ ابن ممن تقدم ذكرهم.

هـل أُطلق لفظ (ابن العلي) على المسيح فقط أم شاركه فيه غيره؟

لقد شارك غير المسيح في هذا اللقب طبقاً للآتي:

١ ــ ورد بسفر المزامير مزمور ٨٢ عدد ٦:
(وبنو العلي كلكم).

٢ ــ وأطلق على تلاميذ المسيح كما ورد بإنجيل لوقا ص ٦ عدد ٣٥:
(أحبوا أعداءكم، وأحسنوا وأقرضوا، وأنتم لا ترون شيئاً، فيكون أجركم عظيماً، وتكونوا بني العلي)، فلو كان هذا اللفظ يدل على وجود طبيعة لاهوتية في المسيح عليه السلام لشاركه في ذلك هؤلاء الحكام وهؤلاء التلاميذ.

هل أُطلق (الابن الحبيب) على المسيح وحده؟

لقد شارك كثيرون المسيح في هذا اللقب طبقاً للآتي:

١ ــ ورد في سفر التثنية ص ٣٣ عدد ١٢ استكمالاً للبركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته وذلك عن بنيامين:
(ولبنيامين قال: حبيب الرب يسكن لديه آمناً، يستره طول النهار وبين مسكنه يسكن).

٢ ــ ورد في سفر دانيال ص ٩ عدد ٢٣ من قول جبريل لدانيال:
(في ابتداء تضرعاتك خرج الأمر، وأنا جئت لأخبرك لأنك أنت محبوب).

٣ ــ ورد في سفر دانيال ص ١٠ عدد ٩ من قوله أيضاً:
(يا دانيال أيها الرجل المحبوب).

٤ ــ كما ورد في سفر دانيال ص ١٠ عدد ١٩ من قوله أيضاً:
(وقال لي لا تخف أيها الرجل المحبوب سلام لك).

٥ ــ ورد في سفر نحميا ص ١٣ عدد ٢٦ في وصف سليمان:
(وكان محبوباً إلى إلّهه).

٦ ــ ورد في سفر صموئيل الثاني ص ١٢ عدد ٢٤، ٢٥:
(فولدت ابناً فدعا اسمه سليمان، والرب أحبه وأرسل بيد ناثان النبـي، ودعا اسمه ــ يديديا ــ من أجل الرب).
ويديديا معناه حبيب الله.

٧ ــ ورد في سفر هوشع ص ١١ عدد ١:
(لما كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوت ابني).

٨ ــ ورد في سفر أشعيا ص ٦٣ عدد ٩ عن بني إسرائيل:
(بمحبته ورأفته فهو افتداهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة).

٩ ــ ورد في سفر الأيام الثاني ص ٩ عدد ٨:
(لأن إلّهك أحب إسرائيل).

١٠ ــ ورد في سفر ملاخي ص ١ عدد ١، ٢:
(وهي كلمة الرب لإسرائيل عن يد ملاخي، أحببتكم، قال الرب: وقلتم بمَ أحببتنا؟ أليس عيسو أخاً ليعقوب، يقول الرب: وأحببت يعقوب وأبغضت عيسو).

١١ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٢٣ عن المسيح نفسه لتلاميذه:
(لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم أحببتموني).

١٢ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٢٥، ٢٦ عن المسيح أيضاً لتلاميذه:
(أما أنا فعرفتك، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني ــ وعرفتهم اسمك، وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به).

١٣ ــ ورد في رسالة بولس إلى رومية ص ٥ عدد ٨:
(ولكن الله بيَّن محبته لنا).

١٤ ــ ويقول بولس في رسالته لأفسس ص ٢ عدد ٤ :

(الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها).

١٥ ــ ورد في رسالة بولس الثانية إلى تسالونيكي ص ٢ عدد ١٦ :

(والله أبونا الذي أحبنا).

١٦ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ١٩ :

(نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً).

خلاصة ما تقدَّم :

إن بنيامين حبيب الرب، ودانيال وسليمان محبوبان له، وإن الله تعالى أحب إسرائيل، والإسرائيليين الطاهرين والتلاميذ والنصارى المؤمنين الإيمان الحق، وعليه فليست محبة الله قاصرة على المسيح عليه السلام فقط، بل إن كل الأنبياء والأطهار والبارّين الأخيار محبوبون للرب.

الأسفار أطلقت الابن البكر على إسرائيل وداوود دون المسيح :

يقول النصارى إن مما تميز به المسيح عليه السلام أن أُطلق عليه لفظ الابن الوحيد، كما هو وارد في إنجيل يوحنا ص ٢ عدد ١٨ ، ص ٣ عدد ١٦ ، وفي إنجيل مرقص ص ١٢ عدد ٦ .

ولكن غيره أيضاً امتاز بوصف آخر ليس أقل منه في الأهمية وهو وصف (الابن البكر)، فقد أطلق على إسرائيل عامة ثم على داوود خاصة طبقاً للآتي :

١ ــ ورد في سفر الخروج ص ٤ عدد ٢٢ ، ٢٣ :

(هكذا يقول الرب : إسرائيل ابني البكر، فقلت لك أطلق ابني ليعبدني).

٢ ــ ورد في سفر أرميا ص ٢١ عدد ٩ عن الرب أيضاً :

(لأني صرت لإسرائيل أباً وأفرايم هو بكري).

وأفرايم هو ثاني أولاد يوسف عليه السلام، كما أنه يطلق على سبط من أسباط بني إسرائيل.

٣ ــ ورد في مزمور ٨٩ عدد ٢٦، ٢٧ عن داوود:

(هو يدعوني: أنت أبـي وإلٰهي وصخرة خلاصي. وأنا أيضاً أجعله بكراً فوق ملوك الأرض علياً).

هل سُرَّ الربُّ بالمسيح فقط أم شاركه في السرور غيره؟

كما سُرَّ الربُّ بالمسيح كما ورد في إنجيل متى ص ٣ عدد ١٧ ــ وكما ورد في إنجيل مرقص ص ١ عدد ١١ وإنجيل لوقا ص ٣ عدد ٢٢؛ سر بسليمان عليه السلام طبقاً للآتي:

١ ــ ورد في سفر الأيام الثاني ص ٩ عدد ٨:

(ليكن مباركاً الرب إلٰهك الذي سُر بك، وجعلك على كرسيه ملكاً).

٢ ــ ورد في مزمور ١٨ عدد ١٨، ١٩:

(وكان الرب سندي، أخرجني إلى الرحب خلصني، لأنه سرَّ بـي).

٣ ــ ورد في سفر الأيام الأولى ص ٢٨ عدد ٤:

(اختار الرب يهوذا رئيساً، ومن بني يهوذا بيت أبـي، ومن بني أبـي سُرَّ بـي فملّكني على إسرائيل)، ويهوذا هو أحد أسباط يعقوب عليه السلام.

هل وصف المسيح وحده بكونه في حضن الآب (أي الله) كما ورد في إنجيل يوحنا ص١ عدد١٨؟

شارك المسيح كثيرون في هذا الوصف طبقاً للآتي:

١ ــ ورد في سفر مراثي أرميا ص ٢ عدد ٢٢ قوله عن الإسرائيليين عندما وقعوا في الأسر والقتل:

(الذين حضنتهم وربيتهم أفناهم عدوي).

٢ ــ ورد في سفر التثنية عن يعقوب قوله لبنيامين:

(حبيب الرب يسكن لديه آمناً، يستره طول النهار، وبين منكبيه يسكن).

ولا جدال في أن الساكن بين المنكبين أقوى وأعلى من الجالس في الحضن، ومع هذا فكل من الوضعين ليس على حقيقته المادية بل هو كناية عن القرب الشديد.

وهذا له نظير في اعتقاد اليهود من أن حظ كل يهودي مؤمن هو الحلول في (حضن إبراهيم) في الآخرة، أي القرب من إبراهيم والحلول في الفردوس.

وهذا التعبير المجازي قريب منه، ورد عن المسيح في إنجيل لوقا ص ١٦ عدد ٢٣ وهو:

(ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه).

هل كان المسيح عليه السلام مساوياً لله، كما يزعم النصارى؟

يزعم النصارى بأن المسيح ابن مساوٍ للآب (أي الله)، ويستدلون على ذلك بما ورد في إنجيل يوحنا ص ٥ عدد ١٦، ١٧، ١٨ ونصه:

(ولهذا كان اليهود يطردون يسوع، ويطلبون أن يقتلوه، لأنه عمل هذا في سبت فأجابهم يسوع: **أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل**، فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه، لأنه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضاً: **إن الله أبوه مُعادِلاً نَفْسَهُ بالله**).

والجواب على ذلك:

إنه ليس في هذا النص ما يصرح أو يرمز أن المسيح (ابن الله) بمعنى لا يصدق على غيره، لأن المعنى للنص السابق هو: أن الله يعمل أعمال الرحمة ــ كغيرها ــ في يوم السبت، فأنا لا مانع لي من أن أعمل فيه بعض أعمال الرحمة تخلقاً بصفة أبي الطاهرة الكريمة، فهل من شرط أبناء الله غير المسيح أن لا يعملوا أعمال الرحمة يوم السبت؟

وأما فهم اليهود من عبارة المسيح أنه يدَّعي المساواة للآب فليس هذا بصواب، إذ العبارة لا يفهم منها دعوى المساواة لله، بل يفهم منها خطأ فهم اليهود. والمسيح ما دام غلَّطهم في فهمهم ووبخهم عليه.

* * *

وهناك نصوص توضح ذلك بجلاء:

١ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ٥ عدد ١٩ على لسان المسيح عليه السلام:

(فأجاب يسوع وقال لهم: الحق الحق أقول لكم، لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلاَّ ما ينظر الآب يعمل، لأنه مهما عمل ذلك فهذا يعمله الابن كذلك).

٢ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ١٥ على لسان المسيح:

(الأعمال التي أنا أعملها باسم أبـي هي تشهد لي)، (فالأعمال التي يقوم بها هي باسم الآب أي باسم الله، فلا مساواة حينئذٍ، لأن كلمة أبـي تعتبر قيداً في كل أعمال المسيح العجيبة).

وقوله: (تشهد لي) يريد بها أنها تشهد له على الرسالة من الله فقط.

٣ ــ ويؤكد ذلك ما ورد في إنجيل يوحنا ص ٥ عدد ٣٦ قول المسيح:

(هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني).

أي تشهد له بالرسالة فقط.

٤ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ٥ عدد ٣٠ وصفاً للمسيح:

(أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً، كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني).

٥ ــ وقد ورد في إنجيل مرقص ص ٦ عدد ٥ وصفاً للمسيح:

(ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة).

وهذا يثبت عجز المسيح في وطنه أن يفعل شيئاً مما استطاعه في غير وطنه.

٦ ــ ورد في إنجيل مرقص ص ٧ عدد ٢٤ وصفاً للمسيح:

(ودخل بيتاً وهو يريد أن لا يعلم أحد فلم يقدر أن يختفي).

ففي الفقرة السابقة يتضح نسبة العجز للمسيح، الأمر الذي ينفي عنه الإرادة والقدرة الإلّهيتين.

٧ ــ وورد في إنجيل متى ص ٢٣ عدد ٣٧ وإنجيل لوقا ص ١٣ عدد ٢٤:

(يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا).

ففي هذا النص: المسيح عليه السلام أراد، ولكن قومه من اليهود لم يريدوا، ومن المسلَّم به أن من تغلبُ أرادةُ المخلوقين إرادَتَه ليس بإلّه لأنه يتصف بالعجز.

ثانياً: لـفـظ آب

ادعاء النصارى بأنَّ الله آب للمسيح فقط:

إن لفظ آب أطلق في الأسفار بمعانٍ شتى:

١ ــ فقد أطلق لقب آب على الوزير الأعظم:

ففي سفرالتكوين ص ٤٥ عدد ٨ على لسان يوسف عليه السلام:

(وهو قد جعلني أباً لفرعون).

فعند الملوك الشرقيين كان يكنّى الصدر الأعظم أو وزير الملك الأول بأبي الملك.

* * *

٢ ــ أطلق لفظ آب على الرئيس الديني والعالمي:

ففي سفر القضاة ص ١٧ عدد ١٠:

(فقال بيخا أقم عندي، وكن لي أباً وكاهناً وأنا أعطيك عشرة شواقل)[١].

وهو ما عليه اصطلاح النصارى الشائع من قديم حتى الآن، فيقال لكل رئيس ديني (أبونا).

* * *

٣ ــ وقد يطلق لفظ آب ويراد به الرئيس العسكري:

ورد في سفر الملوك الثاني ص ٥ عدد ١٣:

(فتقدم عبيده وكلموه، وقالوا يا أبانا لو قال لك النبي أمراً عظيماً أما كنت تعمله، فكم بالحَرِيِّ إذا قال لك اغتسل واطهر).

وهذا من كلام عبيد نعمان قائد جيش ملك آرام[٢] لذلك القائد، وكان مصاباً بالبرص.

---

(١) شواقل: جمع شاقل وهو وحدة الأوزان عند اليهود ويعادل ١٥ جراماً، وكان يستعمل لوزن الذهب والفضة.

(٢) آرام: هي مدينة دمشق.

٤ ــ ولقد أطلق على الله أنه أب لكل إسرائيلي:

(أ) فقد ورد في سفر أشعيا ص ٦٤ عدد ٨ حيث قال أشعيا:

(وأنت يا رب أنت أبونا نحن الطين وأنت جابلنا، وكلنا عمل يديك).

(ب) كما ورد في سفر التثنية ص ٣٢ عدد ٦ على لسان موسى عليه السلام خطاباً لإسرائيل:

(أليس هو أباك ومقتنيك؟ عملك وأنشأك).

(ج) كما ورد في سفر أشعيا ص ٦٣ عدد ١٦ على لسان أشعيا:

(فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم، وإن لم يَعْلم بنا إسرائيل، أنت يا رب أبونا وليّنا منذ الأبد اسمك).

(د) جاء في سفر أرميا ص ٣١ عدد ٩ على لسان الله:

(لأني صرت لإسرائيل أباً).

(هـ) وجاء في سفر الملوك الأول عدد ٦ على لسان الرب:

(الابن يكرم أباه، والعبد يكرم سيده، فإن كنت أنا أباً فأين كرامتي، وإن كنت سيداً فأين هيبتي؟ قال لكم رب الجنود).

* * *

٥ ــ وقد أطلق على الله في الأسفار أنه آب لداوود وسليمان:

(أ) فقد ورد في مزمور ٨٩ عدد ٢٦ قول الله لداوود:

(هو يدعوني أبـي، أنت إلٓهي وصخرة خلاصي).

(ب) وورد في سفر صموئيل الثاني ص ٧ عدد ١٢، ١٣، ١٤:

(أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت مملكته، هو يبني بيتاً لاسمي، وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد، أنا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً).

(ج) ورد في سفر الأيام الأول ص ١٧ عدد ١٣ في وصف سليمان عليه السلام:

(أنا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً).

(د) ورد في سفر الأيام الأول ص ٢٢ عدد ١٠ عن سليمان أيضاً:
(هو يبني بيتاً لاسمي وهو يكون لي ابناً وأنا له أباً).

* * *

٦ ــ أطلق على الله في أسفار النصارى أنه أب للمؤمنين منهم:

(أ) ورد في إنجيل متى ص ٢٣ عدد ٩، ١٠ عن المسيح عليه السلام:
(ولا تدعو لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السموات، ولا تدعو معلمين لأن معلمكم واحد: المسيح).

(ب) ورد في إنجيل لوقا ص ٦ عدد ٣٦ عن المسيح عليه السلام:
(فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضاً رحيم) ويقصد الله.

(ج) ورد في إنجيل لوقا ص ١٢ عدد ٢٩ ــ ٣٢ عن المسيح أيضاً:
(فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون، ولا تقلقوا، فإن هذه كلها تطلبها أمم العالم، وأما أنتم فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه، بل اطلبوا ملكوت الله، وهذه كلها تراد لكم، لا تخف أيها القطيع الصغير، لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت).

(د) ورد في إنجيل متى ص ٦ عدد ١:
(احترزوا من أن تضعوا صدقاتكم قدّام الناس لكي ينظروكم، وإلاَّ فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات).

(هـ) ويقول في إنجيل متى ص ٦ عدد ٣، ٤:
(وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك، ما تفعل يمينك، لكي تكون صدقتك في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية).

(و) وورد في إنجيل متى ص ٥ عدد ١٦:
(فليضيء نوركم هكذا قدّام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذي في السموات).

(ز) وورد في إنجيل متى ص ٥ عدد ٤٨:
(فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات كامل).

(ح) ورد في إنجيل متى ص ٦ عدد ٧ ــ ٩:

(وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلاً، كالأمم فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم فلا تتشبَّهوا بهم، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه، قبل أن تسألوا فصلّوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك. . .) إلخ ما جاء في هذه الصلاة.

(ط) ورد في إنجيل متى ص ٦ عدد ١٤، ١٥:

(فأنّىٰ غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم).

(ي) ورد في إنجيل متى ص ٦ عدد ١٧، ١٨:

(وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك، واغسل وجهك لكي لا تظهر للناس صائماً، بل لأبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية).

والنتيجة:

من ذلك نتبيَّن أن المسيح عليه السلام قد سمّى الله سبحانه وتعالى أباً للنصارى الذين كانوا معاصرين له وبمعيته.

وقد تبع بولس المسيح في رسائله فقال:

(أ) في رسالة بولس الأولى إلى تسالونيكي ص ٣ عدد ١١ يقول:

(والله نفسه أبونا).

(ب) في رسالة بولس الثانية إلى تسالونيكي ص ٢ عدد ١٦ يقول:

(والله أبونا الذي أحيانا).

* * *

٧ ــ أطلقت بعض الأسفار على الله أنه أب اليتامى:

فقد ورد في مزمور ٦٨ عدد ٥ على لسان داوود عليه السلام:

(أبو اليتامى وقاضي الأرامل الله في مسكن قدسه).

* * *

٨ ــ وأطلقت الأسفار على الله أنه أب لكل عبد بارّ يفعل مشيئة الله:

(أ) يقول بولس في رسالته إلى أفسس ص ٤ عدد ٦:

(إلّه وأب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم).

(ب) جاء في إنجيل متى ص ٥ عدد ٤٤، ٤٥ على لسان المسيح عليه السلام:

(أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات).

(ج) ورد في إنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٤١، ٤٢ على لسان المسيح لليهود:

(أنتم تعملون أعمال أبيكم، فقالوا له: إننا لم نولد من زنى، لنا آب واحد، وهو الله. فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني).

* * *

٩ ــ والمسيح عليه السلام يسوي بينه وبين أتباعه النصارى وقتئذٍ في أبوّة الله له ولهم، وفي كونه وإياهم عباداً لله تعالى.

فقد ورد في إنجيل يوحنا ص ٢٠ عدد ١٧ على لسان المسيح عند آخر وجود له على الأرض قوله:

(إني أصعد إلى أبـي وأبيكم وإلّهي وإلّهكم).

فقد سوى بين نفسه وبين أتباعه في شيئين هما: في أبوة الله له ولهم على السواء، وفي كونه وإياهم مألوهين لله عز وجل.

والقول بغير ذلك هو الانحراف الذي طرأ على النصرانية بما يخالف قول المسيح عليه السلام وتعاليمه.

* * *

١٠ ــ ورد في أسفار النصارى إطلاق إبليس على أنه آب لكل شرير.

(أ) فقد ورد في إنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٤٤ عن المسيح عليه السلام وهو يخاطب اليهود:

(أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا).

(ب) كما ورد في إنجيل متى ص ١٣ عدد ٣٨ :
(الزرع الجيد هو بنو الملكوت، والزَوّان هم بنو الشرير).

ثالثاً: لـفـظ ولادة

ادعاء النصارى بامتياز المسيح بولادته من الله :

إن هذا الادعاء ليس له أساس، لأن الأسفار اصطلحت على أن كل مؤمن تقي هو مولود من الله، أو من الروح القدس، أو من فوق، أو من السماء بالمعنى اللائق بذلك.. ولندلل على ذلك بالأمثلة الآتية:

(أ) عـن اللّـه :

١ ــ ورد في سفر التثنية إصحاح ١٤ عدد ١ على لسان موسى عليه السلام:
(أنتم أولاد الرب إلّهكم).

٢ ــ ورد في مزمور ٢ عدد ٧ قوله عن الله لداوود عليه السلام:
(أنا اليوم ولدتك).

٣ ــ ورد في رسالة يعقوب ص ١ عدد ١٧، ١٨ :
(الذي ليس عنده تغيير، ولا ظل لأنه لا يدور، وهو قد شاء بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه).

٤ ــ ورد برسالة بطرس الأول ص ١ عدد ٣:
(مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي حسب رحمته الكثيرة **ولدنا** ثانية لرجاء حي).

٥ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ٧:
(أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هي من الله، وكل من يحب فقد **وُلِد** من الله).

٦ ــ ورد في رسالة يوحنا الأولى ص ٥ عدد ١ :
(كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد **وُلِدَ** من الله).

٧ ــ ورد في رسالة يوحنا الأولى ص ٥ عدد ٤ :

(لأن كل من وُلِدَ من الله يغلب العالم، وهذه الغلبة التي تغلب العالم إيماننا).

٨ ــ ورد في رسالة يوحنا الأولى ص ٥ عدد ١٨ :

(نعم إن كل من ولد من الله لا يخطىء، بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه).

٩ ــ ورد في رسالة يوحنا الأولى ص ٣ عدد ٨ ــ ١٠ :

(من يفعل الخطية فهو من إبليس، لأن إبليس من البدء يخطىء، لأجل هذا أظهر ابن الله لينقض أعمال إبليس، كل من هو **مولود** من الله لا يفعل خطية، لأن زرعه يثبت فيه، ولا يستطيع أن يخطىء لأنه **مولود** من الله، بهذا **أولاد الله** ظاهرون).

١٠ ــ ورد بإنجيل يوحنا ص ١ عدد ١٢، ١٣ :

(وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا **أولاد الله**، أي المؤمنين به الذين **وُلِدوا** ليس من دم ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل بل من الله).

والخلاصة:

من كل ما تقدم يتبين أن التولد من الله مجازيّ وعام، يشترك فيه المسيح عليه السلام وغيره بالمعنى اللائق بعظمة الله سبحانه.

(ب) التولُّد عن الروح القدس :

ورد في إنجيل يوحنا ص ٣ عدد ٤ ــ ٦ على لسان المسيح عليه السلام:

(إن كل أحد لا يولد من السماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله، المولود من الجسد جَسَدٌ هو، والمولود من الروح هو روح، لا تتعجب أني قلت لك ينبغي أن تولدوا من فوق، الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها، ولكن لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هكذا كل من ولد من الروح)، أي من الروح القدس.

(ج) المتولِّد من فوق :

اصطلحت الأسفار على أن كل مؤمن بار هو مولود من فوق كالمسيح بلا أي فرق،

فهذا ليس قاصراً على المسيح، بل هو متحقق في كل أتباعه المؤمنين، وسائر عباد الله البارين الكاملين طبقاً للآتي:

١ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ٣ عدد ٣:
(الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله).

٢ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ٣ عدد ٧:
(لا تتعجب أني قلت ينبغي أن تولدوا من فوق).

والخلاصة:
فالولادة من فوق هي الولادة الجديدة الروحية بحيث يتغير قلب الإنسان الخاطىء تغيراً عظيماً كاملاً مستمراً، كأنه ولد ثانية ويحدث ذلك عند توبته وإيمانه، وهذه الولادة ليست خصوصية للمسيح فقط، وهذا المعنى هو عمومي، وقد حصل لكل أتباع المسيح المؤمنين الحقيقيين، كما حصل لأتباع غيره من الأنبياء الكرام.

(د) الإتيان من السماء:

(الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع).
(الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع).

هل المسيح أتى حقيقة من السماء بخلاف غيره من الأنبياء وأصحاب الشرائع؟

والحقيقة: أن المقصود بما ورد في إنجيل يوحنا ص ٣ عدد ٣١ أن المسيح ذو شريعة إلّهية، أي شريعة سماوية ولندلّل على ذلك بالآتي:

١ ــ ورد بإنجيل متى ص ١٦ عدد ١:
(فسألوه أن يريهم آية من السماء).

٢ ــ ورد بإنجيل متى ص ٢١ عدد ٢٥، ٢٦:
(معمودية يوحنا من أين كانت من السماء أم من الناس؟ ففكروا في أنفسهم قائلين إن قلنا من السماء، يقول لنا: فلماذا لم تؤمنوا به؟ وإن قلنا: من الناس، نخاف من الشعب، لأن يوحنا عند الجميع مثل نبي).

٣ ــ ورد بإنجيل يوحنا ص ٣ عدد ٢٧ على لسان يوحنا المعمدان:

(لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أعطي من السماء)، وقد ذكره يوحنا عن المسيح عليه السلام، وهو ما يوضح المعنى جلياً بأن الإتيان من السماء: هو الإعطاء من السماء، ويفسر جميع ما تقدم بأن الإتيان من السماء هو إتيان المواهب لا إتيان الذات.

٤ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٤٢:

(إني خرجت من قبل الله، وأتيت لأني لم آت من نفسي بل ذلك الذي أرسلني).

فالمعنى كما فسره السيد المسيح نفسه في هذه الفقرة أن الله هو الذي أرسله بمواهب من السماء.

* * *

الولادة من السماء:

المقصود بها في الأسفار هي هبة الإيمان وتجديد القلب من الله بعيداً عن الخطيئة والأمثلة الآتية توضح ذلك:

١ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ١ عدد ١٢:

(وأما كل الذين قبلوه ــ أي قبلوا المسيح ــ فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا **أولاد الله**، أي المؤمنين باسمه).

* * *

٢ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ١ عدد ١٣ موضحاً ذلك التفسير بقوله:

(الذين ولدوا ليس من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، **بل من الله**).

* * *

٣ ــ ورد برسالة بطرس الأولى ص ١ عدد ٢٣:

(**مولودين ثانيَة** لا من زرع يفنى، بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد).

* * *

٤ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٢ عدد ٢٩ في وصف المسيح عليه السلام:

(إن علمتم أنه بارّ فاعلموا أن كل من يصنع البر **مولود منه**).

أي أنَّ من يعمل الخير فهو متجدد بالقداسة بواسطة المسيح.

* * *

٥ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٢ عدد ٩، ١٠:

(كل من هو **مولود من الله** لا يفعل الخطيئة لأن زرعه يثبت فيه، ولا يستطيع أن يخطىء لأنه **مولود من الله**، بهذا أولاد الله طاهرون.

* * *

٦ ــ ورد برؤيا يوحنا ص ٢١ عدد ٧:

(من يغلب يرث كل شيء، وأكون له إلّهاً، وهو يكون لي ابناً).

والغلبة هي الإيمان كما يقول يوحنا نفسه في رسالته الأولى ص ٥ عدد ١ ــ ٤:

(كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله، وكل من يحب الوالد يحب **المولود منه أيضاً**، بهذا نعرف أننا نحب أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه، فإن هذه هي محبة الله، أن يحفظ وصاياه، ووصاياه ليست ثقيلة، لأن **كل من ولد من الله** يغلب العالم، وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: **إيماننا**).

وغني عن البيان ومما لا جدال فيه أن الألفاظ الواردة في الأسفار المقدسة يفسر بعضها بعضاً، وهو أحسن التفسير كما قيل: (وخير ما فسرته بالوارد) وعليه فقد ورد في سفر مرقص: أنه قال عن المسيح ص ١٥ عدد ٣٩:

(ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح، قال: حقاً كان هذا الإنسان ابن الله).

فهو يريد بلفظ ابن الله أنه بارّ كما قال لوقا في إنجيله ص ٢٣ عدد ٤٧:

(فلما رأى قائد المائة ما كان، مجَّد الله قائلاً: بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً).

والخلاصة:

من كل ما تقدم يتبين أن معنى ابن الله ــ أو **ولد من الله** ــ أنهما وصفان لكل إنسان يقبل المسيح عليه السلام ويؤمن به.

فلفظ الابن الوارد في الأسفار وصفاً للمسيح هو من هذا القبيل، فليس معنى بنوته لله سوى أنه متحرر من الخطيئة، وأنه بارّ لا يفعل إلاّ مشيئة الله تعالى، وأنه متخلق بأخلاق الله محب لعباده محوط بعناية الله وعطفه ومحبته اللائقة بذات الله وجلاله.

* * *

٧ ــ ولقد ورد لفظ ابن في نسب المسيح عدة مرات في الأناجيل، ولا بد من حمله على المجاز عصمة لنسبه وبراءة لوالدته طبقاً للآتي:

(أ) ورد في إنجيل لوقا ص ٢ عدد ٢٧:

(عندما دخل بالصبـي يسوع **أبواه** ليصنعا له حسب عادة الناموس).

(ب) ورد بإنجيل لوقا ص ٢ عدد ٤١:

(وكان **أبواه** يذهبان كل سنة إلى أورشليم).

مع أن الحقيقة هو أن المسيح ابن مريم فقط، ولم يكن ابن يوسف رجل مريم، وهذا هو ما ورد بإنجيل متى ص ١ عدد ١٦:

(ويعقوب ولد يوسف رجل مريم الذي ولد منها يسوع يدعى المسيح).

(ج) ورد بإنجيل لوقا ص ٣ عدد ٢٣:

(ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي ... إلخ، والحقيقة أنه لم يكن ولد يوسف طبقاً لما ورد بإنجيل متى ص ١ عدد ١٦ السالف ذكره.

(د) ورد بإنجيل لوقا ص ٣ عدد ٣٨ عن آدم في نسب المسيح:

(ابن أنوش بن شيث بن آدم ابن الله).

إذ الحقيقة أن آدم ابن التراب كما ورد في سفر التكوين ص ٢ عدد ٧:

(وجبل الرب آدم تراباً من الأرض).

* * *

٨ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٥ عدد ١ :

(أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هي من الله، وكل من يحب فقد وُلِد من الله).

فقد فسر يوحنا هنا الولادة من الله بأنها محبة الناس بعضهم بعضاً.

* * *

٩ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٥ عدد ١ :

(كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد وُلِد من الله).

وهنا فسر الولادة من الله بأنها الإيمان بالمسيح.

* * *

١٠ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٣ عدد ٩ :

(كل من هو مولود من الله لا يفعل الخطيئة لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطىء، لأنه مولود من الله).

وهنا فسر الولادة من الله بأنها عدم فعل الخطيئة.

هذه الولادة يسميها النصارى بأنها الميلاد الثاني، وتجديد الروح القدس.

(أ) فقد ورد في رسالة بولس إلى تيطس ص ٣ عدد ٤، ٥ :

(ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه، لا بأعمال في برّ عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني، وتجديد الروح القدس).

(ب) ورد برسالة يعقوب ص ١ عدد ١٨ :

(شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكوِّنَ باكورةً من خلائِقِه).

(ج) ورد برسالة يوحنا الأولى ص ١ عدد ١٨ :

(نعلم أن كل من وُلِد من الله لا يخطىء، بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه).

فهنا سماها يوحنا الولادة من الله.

(د) ورد برسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ص ٥ عدد ١٧ :

(إذا كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة).

فهنا سماها بولس بالخليقة الجديدة.

ونـظــيـره:

مما ورد برسالة بولس إلى أهل غلاطية ص ٦ عدد ١٥ :

(لأنه في المسيح يسوع، ليس الخِتان ينفع شيئاً، ولا الغرلة، بل الخليقة الجديدة).

(هـ) ورد بإنجيل يوحنا ص ٣ عدد ٣:

(أجاب يسوع وقال له: الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله).

فهنا سمّاها يوحنا بالولادة من فوق.

رابعاً: كون الله أب للأطهار في الكتاب المقدَّس

معنى هذا هو تخلق هؤلاء الأطهار بصفاته مثال ذلك:

١ ــ ما ورد بإنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٣٨ ــ ٤٤ من قول المسيح عليه السلام لليهود:

(أنا أتكلم بما رأيت عند أبـي، وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم، أجابوا وقالوا له: أبونا هو إبراهيم، قال لهم يسوع: لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله، هـذا لم يعمله إبراهيم أنتم تعملون أعمال أبيكم، فقالوا له: إننا لم نولد من زنى، لنا أب واحد هو الله، فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني، لأني خرجت من قبل الله وأتيت، لأني لم آت من نفسي بل ذاك أرسلني لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي، أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعلموا).

٢ ــ ورد بإنجيل متى ص ٥ عدد ٤٤، ٤٥:

(أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات).

والـنـتـيـجـة:

من كل ما تقدم يتبين أن هذه الأخلاق الحسنة المشار إليها فيما سبق، وهي الحب والمباركة والإحسان والصلاة هي علة الأبوة لله، لأنه ما لم تتحقق الأبوة لا تتحقق البنوَّة، وكل ذلك بالمعنى المجازي الذي يليق بجلال الله سبحانه وتعالى.

خامساً: معنى كون إبليس أباً للأشرار

معنى ذلك هو فعل هؤلاء الأشرار للخطيئة والشهوات.

١ ــ فقد ورد في إنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٤٤ خطاباً من المسيح لليهود:

(أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا).

٢ ــ ورد في رسالة يوحنا الأولى ص ٣ عدد ٨:

(من يفعل الخطية فهو من إبليس، لأن إبليس من البدء يخطىء).

والـنـتـيـجـة:

من كل ما تقدم يتبين أن الأخلاق السيئة وهي فعل الشهوات، وفعل الخطايا، وهي علّة أبوة إبليس لهؤلاء الأشرار.

من تشبيهات واستعارات الكتاب المقدَّس:

اشتمل الكتاب المقدس على تشبيهات واستعارات غريبة للإعراب عن النسبة التي بين الله وبين شعبه، وتقريب الحقائق الإلّهية للعقول بالصور المحسوسة المشاهدة طبقاً للآتي:

١ ــ فمثلاً سمّى ذاته الكريمة بعْلاً، وتارةً زوجاً.

٢ ــ وسمّى أورشليم زوجة.

٣ ــ وسمّى الشعب الإسرائيلي الناشىء فيها أولاداً.

٤ ــ ثم إذا كان هؤلاء الأولاد موحدين لا يشركون معه غيره سماهم أولاده.

٥ ــ وإذا كانوا مشركين سمّاهم أولاد زنى، ويريد من الزنى الإشراك، كما يسمي أورشليم زانية لأنها نكحت بعلاً غير بعلها، وربما غضب على تلك الزوجة فطلقها، والأمثلة على ذلك الآتي:

١ ــ ورد في سفر أشعيا ص ٥٤ عدد ١ ــ ٦:

(ترنَّمي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل، قال الرب: فإنك تنسين خزي صباك، وعار ترمّلك لا تذكرينه بعد، لأن بعلك هو صانعك، رب الجنود اسمه، ووليك قدوس إسرائيل، إلّه كل الأرض يدعى، لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب، وكزوجة الصبا إذا رذلت قال إلّهك).

٢ ــ ورد بسفر حزقيال ص ١٦ عدد ١ ــ ٢٣:

(وكانت إليّ كلمة الرب قائلة يا ابن آدم، عرِّف أورشليم برجاستها، وقل هكذا. . . جعلتك ربوة كنبات الحقل، فربوت وكبرت وبلغت زينة الأزيان، فنهد ثدياك ونبت شعرك، وقد كنت عريانة وعارية فمررت بك ورأيتك، وإذا زمنك زمن الحب، فبسطت ذيلي عليك وسترت عورتك، وحلفت لك ودخلت معك في عهد، يقول السيد الرب فصرت لي. . .

فاتكلت على جمالك وزنيت على اسمك، وسكبت زناك على كل عابر، فكان له، وأخذت من ثيابك وصنعت لنفسك مرتفعات موشاة وزنيت عليها أمر لم يأت ولم يكن، وأخذت أمتعة زينتك من ذهبي ومن فضتي التي أعطيتك، وصنعت لنفسك صور ذكور وزنيت بها. .

أخذت بنيك وبناتك الذين ولدتهم، وذبحتهم لها طعاماً، أهو قليل من زناك أنك ذبحت بني وجعلتهم يجوزون في النار لها، وفي كل رجاستك وزناك لم تذكري أيام صباك إذ كنت عريانة وعارية وكنت مدوسة بدمك وكان بعد كل شرّك، ويل ويل لك يقول السيد الرب).

* * *

٣ ــ ورد بسفر ملاخي ص ٢ عدد ١١:
(لأن يهوذا قد نجس قدس الرب الذي أحبه ــ وتزوَّج بنت إلـه غريب).

* * *

٤ ــ ورد بسفر أشعيا ص ٥٠ عدد ١ قول الرب:
(ومن أجل ذنوبكم طلقت أمكم).

الـخـلاصـة:

١ ــ إنه لا يمكن حمل مجمل تلك الأقوال السابقة على ظاهرها، بل هي على طريق التشبيه كما قال مفسرو اليهودية والنصرانية.

٢ ــ لذلك كانت تعبيرات الكتاب المقدس بالآب والابن والولادة لا تحمل على ظاهرها.

سادساً: تفسير الأبوَّة والبنوَّة عند النصارى حالياً

خرج رؤساء الملة النصرانية بتفسير جديد لهذه الألفاظ، فقد فسر آباء الكنيسة معنى الأبوة والبنوة بمعنى خصوصي للمسيح بعيد كل البعد عن المعاني المجازية السابق شرحها وإيضاحها طبقاً لما قررته الأسفار المقدسة حسب الآتي:

(أ) فقد فسروا بنوة المسيح بأنه الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، وهو أقنوم الابن الأزلي قد حلَّ في جسد بشري فصار مسيحاً.

(ب) وفسروا أبوة الله للمسيح بأنه أصل لأقنوم الابن بمعنى أن أقنوم الابن انبثق منه.

(ج) وفسروا الولادة بالانبثاق، أي انبثاق أقنوم الابن من أقنوم الأب.

وكل هذه التفاسير لرجال النصرانية هي من اجتهاد أسلافهم لا تستند ألبتة على أي شيء من أسفار العهدين القديم والجديد، وإلى الآن تلقى القبول من أفهام رجال النصرانية الحاليين دون أي مناقشة أو فهم.

موقف الإسلام من فكرة الألوهية بالنسبة لمفاهيم اليهود والنصارى في ألفاظ الأبوَّة والبنوَّة والولادة

يقف الإسلام في عقيدته بالنسبة للألوهية موقف النقاء والوضوح الكامل، فهو يرفض فكرة البنوة والأبوة والولادة للإلّه بجميع أشكالها وصورها طبقاً للآتي:

١ ــ فالله في عقيدة الإسلام إلّه واحد أحد لا شريك له، وأن كل شيء محتاج إليه وحده وأنه ليس والداً ولا مولوداً وأنه لا يماثله أحد.

٢ ــ وهو سبحانه وتعالى تام القدرة، تام الإرادة، تام العلم، وأنه حي لا يموت، لذا لزم أنه غير محتاج إلى اتخاذ ولد، وإلاَّ كان اتخاذه عبثاً، والعبث محالٌ على الله، وحيث كان الأمر كذلك بطلت دعوى الولدية لله لأي سبب من الأسباب.

قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ: عُزَيرٌ ٱبْنُ اللَّهِ، وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَى: ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ اللَّهِ، ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفِكُون﴾[١].

٣ ــ إن الإلّه لا حاجة له أن يلبس جسد البشر فحسبه أن يقوم رسله بتبليغ رسالته، لذلك وجب تنزيهه عن صفات البشر، وأخصها التجسد والتعرض للأذى.

٤ ــ وإن الإلّه لا يصح في العقول أن يسعه رحم امرأة، وأن يترك هذا الملك والملكوت ليعيش في رقعة من الأرض، ثم تنتهي مهمته بالموت، وإلى أدنى ما ا نتهت إليه رسالة أي نبـي من أنبياء البشر.

٥ ــ وإن الولادة تقتضي الحدوث، والحدوث على الله محال، لاقتضائه المماثلة للحوادث، والدور والتسلسل وكان ذلك مستحيل.

٦ ــ ولم يكن لله أحد مكافئاً ومماثلاً له سبحانه في شيء من صفاته.

قال تعالى:

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٠.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

٧ ــ ولهذه الأسباب ولخير البشرية وإنقاذ العقول والأرواح من هاوية الضلال أنزل الله سبحانه وتعالى سورة الإخلاص، والتي تسمى سورة التوحيد تنبيهاً على فساد عقائد من يزعم أن لله ولداً، وإرشاداً إلى ما يجب لله من كريم الصفات، وما يجب تنزيهه عنها من أضدادها، فهو الكامل في جميع صفاته وأفعاله، وإنه تعالى ليس فوقه أحد فكل من عداه دونه، ومن كان كذلك فلا يصح أن يعبد سواه[2].

قال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَد، ٱللَّهُ ٱلصَّمَد، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفواً أَحَد﴾[3].

ولله در الإمام علي بن أبـي طالب كرَّم الله وجهه، حين يقول عن الله سبحانه:

(لم يولد سبحانه وتعالى فيكون في العز مُشاركاً، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم يتقدمه وقت ولا زمان، ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان، لا يشغله شأن، ولا يغيّره زمان، ولا يحويه مكان، ولا يعزب عنه عدد قطر الماء، ولا نجوم السماء، ولا سواقي الريح في الهواء، ولا دبيب النمل على الصفا، ولا مقيل الذر في الليلة الظلماء، يعلم مساقط الأوراق وخفي طرف الأحداث)[4].

• • •

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

(٢) تفسير سورة الإخلاص لفضيلة الأستاذ مصطفى الطير بمجلة الأزهر ذو القعدة وذو الحجة ٩٢، المحرم ١٣٩٣.

(٣) سورة الإخلاص.

(٤) كتاب نهج البلاغة، للإمام علي بن أبـي طالب كرَّم الله وجهه.

الباب الثالث

مناقشة ألفاظ (الله ــ إلّه ــ رب)

أولًا: لفظ الله

يقول النصارى إن الأسفار المقدسة أطلقت لفظ الله على المسيح فقط، لكن الحقيقة أنها أطلقت هذا اللفظ على المسيح وغيره، والأمثلة الآتية توضح ذلك.

(أ) أطلقت الأسفار لفظ الله على المَلَك:

١ ــ فقد ورد في سفر القضاة ص ١٣ عدد ٢١، ٢٢:

(ولم يعد ملاك الرب يتراءى لمنوح وامرأته، حينئذ عرف منوح أنه ملاك الرب فقال منوح لامرأته، نموت موتاً لأننا قد رأينا الله).

وواضح أن الذي تراءى لمنوح وامرأته كان المَلَك[1].

٢ ــ ورد في سفر التكوين ص ٣٢ عدد ٢٨ عن يعقوب عليه السلام:

(فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل ــ لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت).

ولا شك أن مراده من المجاهدة كان مع المَلَك الذي صارعه، لكن أطلق عليه لفظ الله.

٣ ــ ورد بسفر التكوين ص ٣٢ عدد ٣٠ عن يعقوب عليه السلام:

(فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه).

فمقصد يعقوب أنه رأى المَلَك، وهو الذي صارعه[2].

٤ ــ ورد بسفر التكوين ص ٣٥ عدد ٩ ــ ١٣ عن يعقوب عليه السلام أيضاً:

(وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان أرام، وباركه وقال له الله: اسمك

---

(١) منوح هو والد شمشون الجبار.

(٢) فنيئيل معناها وجه الله.

يعقوب، لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل، فدعا اسمه إسرائيل، وقال له الله: أنا الله القدير أثمر وأكثر أمَّة، وجماعة أمم تكون منك وملوك سيخرجون من صلبك، والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها، ولِنَسْلِكَ من بعدك أعطي الأرض، ثم صعد الله عنه في المكان الذي فيه تكلم معه).

فقد أطلق على المَلَك الذي ظهر ليعقوب لفظ الله خمس مرات.

٥ ــ ورد بسفر التكوين ص ١٧ عدد ١٥، ١٨، ١٩، ٢٢:

(وقال الله لإبراهيم: ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة).

وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابناً، وتدعو اسمه إسحاق).

فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم.

٦ ــ ورد بسفر هوشع ص ١٢ عدد ٣، ٤ ما يفيد أن لفظ الله يعني المَلَك أيضاً فيقول هوشع النبـي:

(في البطن قبض بعقب أخيه، وبقوته جاهد مع الله، جاهد مع الملاك وغلب).

فكل ألفاظ الله التي مر ذكرها تعني المَلَك.

(ب) أطلقت الأسفار لفظ الله على القاضي الشرعي الذي ينوب عن الله في حكمه، طبقاً للآتي:

١ ــ ورد في سفر الخروج ص ٢١ عدد ٥، ٦.

(ولكن إن قال العبد أحب سيدي وامرأتي وأولادي لا أخرج حراً، يقدمه سيده إلى الله، ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة، ويثقب سيده أذنه بالمثقب فيخدمه إلى الأبد).

فقوله: يقدمه سيده إلى الله، أي: إلى القاضي كما اتفق عليه مفسرو النصرانية.

٢ ــ ورد في سفر الخروج ص ٢٢ عدد ٨:

(وإن لم يوجد السارق يقدم صاحب البيت إلى الله ليحكم، هل يمد يده إلى ملك صاحبه).

فقوله: إلى الله، أي: إلى القاضي نائب الله.

٣ ــ ورد في سفر الخروج ص ٢٢ عدد ٩:

(في كل دعوى جناية من جهة ثور أو حمار أو شاة أو ثوب أو مفقود ما، يقال: إنَّ هذا هو، تقدم إلى الله دعواها، فالذي يحكم الله بذنبه يُعوّض صاحبه باثنين).

فقوله: إلى الله، أي: إلى القاضي نائب الله.

٤ ــ ومثال ذلك أيضاً ما ورد في سفر صموئيل الأول ص ٢ عدد ٢٥:

(إذا أخطأ الإنسان إلى إنسان يدينه الله، فإن أخطأ إنسان إلى الرب فمن يصلي من أجله).

وفسر لفظ الله هنا بالقاضي لأنه يقضي بشريعة الله وسلطانه.

(ج) أطلقت الأسفار لفظ الله على الشريف أو القوي:

١ ــ فقد ورد في سفر التكوين ص ٦ عدد ٢:

(وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على وجه الأرض، وولد لهم بنات أي أبناء الله، رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا).

٢ ــ ورد في سفر التكوين ص ٦ عدد ٤:

(إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً، هؤلاء الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم).

فالتفاسير اليهودية فسرت أبناء الله بالشرفاء، أو أرباب الرتب العالية وبعضهم فسره بالأقوياء.

(د) أطلقت الأسفار لفظ الله على النبـي:

فقد ورد في سفر صموئيل الأول ص ٩ عدد ٩:

(سابقاً في إسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله: هلم نذهب إلى الرائي، لأن النبـي اليوم كان يدعى سابقاً الرائي).

فذهابه ليسأل الله، أي يذهب ليسأل النبـي:

والخلاصة:

على ضوء عقيدة النصرانية وفيه نتائج مهمة، خصوصاً فيما يتعلق بالمسيح:

(أ) لو كان إطلاق كلمة الله على المخلوق يقتضي أن فيه طبيعة لاهوتية للزم بالنقول السابقة أن المَلَك والقضاة والأشراف أو الأقوياء يكونون آلهة، وهذا ما لم يقل به أحد.

(ب) ولكن بالنظر لكون الملائكة والقضاة نواباً عن الله أطلق عليهم كلمة (الله)، وبالنظر إلى أن أولئك الشرفاء أو الأقوياء فيهم صفة القوة أو المجد اللتين يوصف بهما الله، أطلق عليهم لفظ الله مجازاً بالقدر الذي يليق أمام جلال الله.

(ج) إذا كان النصارى يفسرون ما ورد بمزمور ٤٥ عدد ٦ ونصه:

(كرسيك يا الله إلى دهر الدهور) بأنه إطلاق لفظ الله على المسيح، وأن فيه إشارة إلى لاهوت المسيح، ففضلاً عما سبق ذكره من أدلة على نقض ذلك من إطلاق لفظ الله على عدة ذوات كالملك والقاضي والشريف والقوي والنبي، مما يفهم أن المقصود بها هنا إلى نبي دون تحديده بذاته فقد يكون المسيح، وقد يكون سليمان، وقد يكون غيرهما مما يهدم اعتقاد النصارى بتخصيص لفظ الله على المسيح.

(د) فضلاً عن ذلك فإن المسيح أطلق على نفسه في الأناجيل الأربعة (ابن الإنسان) أكثر من ١٠٠ مرة، فقد ورد في سفر العدد وهو مهم جداً:

(ليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم).

فالمسيح حيث سمّى نفسه مراراً ابن الإنسان لا يكون هو الله بمقتضى هذا النص.

انظر سفر العدد ص ٢٣ عدد ١٩.

(هـ) مما يؤكد ذلك: أن المسيح لم يرض أن يوصف بالصلاح، طبقاً لما ورد في إنجيل متى ص ١٩ عدد ٦، ٧ ــ وطبقاً لإنجيل مرقص ص ١٠ عدد ١٧، ١٨ ــ وإنجيل لوقا ص ١٨ عدد ١٨، ١٩ ونصه:

(وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية، فقال له لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلاّ واحد وهو الله).

فإذا كان المسيح لم يرض بأن يوصف بالصلاح، فكيف يرضى بأن يوصف بالألوهية؟

وإذا كان قد نفي الصلاح عن كل ما سوى الله، وحصره في واحد وهو الله، فهل يكون بعد هذا الواحد وهو الله إلّه آخر؟ اللهم كلا.

ثانياً: لفظ إلّه

يقول النصارى إنه جاء في الأسفار لفظ الله مشاراً به إلى لاهوت المسيح طبقاً لما يرونه ويفسرونه لأنفسهم وطبقاً لما يأتي:

١ ــ ما ورد في سفر أشعيا ويدعون ذلك على المسيح ص ٩ عدد ٦:

(ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلّهاً قديراً).

٢ ــ ما ورد برسالة بولس إلى أهل روميه ص ٩ عدد ٥:

(ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل ــ إلّهاً مباركاً إلى الأبد).

٣ ــ ما ورد بإنجيل يوحنا ص ٢٠ عدد ٢٨ عن توما تلميذ المسيح:

(أجاب توما وقال له ربي وإلّهي).

ولذلك فالنصارى طبقاً لما سبق يعتبرون المسيح إلّهاً.

الــرد:

والرد على ذلك جد يسير: فإن الأسفار أطلقت لفظ إلّه على غير المسيح كما أطلقته على المسيح تماماً، ولنَدلل بالأمثلة، وقبل أن نسردها نقول:

بادىء ذي بدء فإن ما ورد في أشعيا ص ٩ عدد ٦ من بشارة، لا تتعلق بالمسيح إطلاقاً، بل تتعلق بحزقيا بن آحاز ملك يهوذا، كما حققه المحققون في اليهودية.

(أ) يطلق إلَه على القـاضي في بني إسرائيل، كما جاء بالأسفار :

١ ــ ورد بإنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ٣٣ ــ ٣٦ خطاباً من اليهود للمسيح عليه السلام:

(أجابه اليهود قائلين: لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف[1]، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلَهاً، أجابهم يسوع: أليس مكتوباً في ناموسكم: أنا قلت إنكم آلهة، فإذا كانت الشريعة تدعو أولئك الذين صارت إليهم كلمة الله[2] آلهة ــ ولا يمكن أن يُنقض المكتوب ــ فالذي قدسه الله وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأني قلت إني ابن الله).

ويريد المسيح أن يقول لهم: إن الله تعالى نسب الألوهية إلى هؤلاء القضاة من بني إسرائيل، وقد دعاهم الله آلهة لأنهم رؤساء الشعب، ومكانتهم أرفع من مكانة غيرهم من الناس، لأن الله نفسه عيَّنهم لوظيفتهم، وهم أخذوا سلطانهم منه، وقضوا بالنيابة عنه.

ويقول المسيح: إن هؤلاء القضاة هم دونه في الفضل والقداسة، وإذا جاز لله أن ينسب إليهم الألوهية لما تقدم بالتأويل، فكم بالحري أن يجوز للمسيح أيضاً أن ينسب لفظ الألوهية لنفسه بالتأويل أيضاً، لكونه مقدساً ومرسلاً من الله لهداية العالم.

٢ ــ ورد في مزمور ٨٢ عدد ١ :

(الله قائم في مجمع الله، في وسط الآلهة يقضي).

٣ ــ ورد في مزمور ٨٢ عدد ٦ :

(أنا قلت إنكم آلهة، وبنو العلي كلكم).

وهذا هو ما أشار إليه المسيح بكلامه السابق، ومنه يتبين أن كلمة ــ إلَه ــ تطلق على الرئيس الديني رفيع المنزلة عند الله تعالى، مثل قضاة بني إسرائيل.

---

(١) التجديف يعني الكفر بالنعمة.

(٢) ومن صارت إليهم كلمة الله هم القضاة من بني إسرائيل.

(ب) أطلقت الأسفار لفظ إلَه على المَلَك:

١ ــ فقد ورد في سفر التكوين ص ١٦ عدد ١٣ عن هاجر:

(فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت إيل رئي).

أي إلَه الرؤية، مع أن الذي تكلم معها ليس هو الرب الحقيقي، بل هو المَلَك، كما قال قبله في نفس سفر التكوين ص ١٦ عدد ٧ ونصه:

(فوجدها ملاك الرب على عين الماء التي في البريّة).

٢ ــ ورد في سفر التكوين ص ٣١ عدد ١١ ــ ١٣:

(وقال لي ملاك الله في الحلم: يا يعقوب فقلت: ها أنذا، فقال: ارفع عينيك وانظر جميع الفحول الصاعدة على الغنم مخطَّطة ورقطاء ومنمرة، لأني قد رأيت ما يصنع بك لابان، أنا إلَه بيت إيل حيث مسحت عموداً حيث نذرت لي نذراً).

فالمتكلم مع يعقوب عليه السلام هو ملاك الله، ولكنه قال أنا إلَه بيت إيل لأنه كان يتكلم بالنيابة عن الله.

ومما تقدم يتبين بجلاء أنه أطلق لفظ إلَه على الملاك.

(ج) أطلقت الأسفار لفظ إلَه على موسى:

فقد ورد في سفر الخروج ص ١٧ عدد ١:

(فقال الرب لموسى: انظر أنا جعلتك إلَهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك).

فهل يجوز أن يفهم من إطلاق هذه الكلمة على موسى أن فيه طبيعة لاهوتية؟ لم يقل أحد بذلك، فيكون المعنى أن موسى بمنزلة إلَه في القوة والمعجزات مما لا يمكن لأحد أن يقاومه.

ومعنى كون هارون نبيه أنه مبلغ كلامه لفرعون، وموضح له، ويفسر ذلك بوضوح ما ورد بسفر الخروج ص ٤ عدد ١٦:

(وهو يكون لك فماً وأنت تكون له إلَهاً).

فهارون عليه السلام ينوب عن موسى عليه السلام في الكلام أمام فرعون.

فالله تعالى يبلغ موسى ما يريد، وموسى يأمر أخاه هارون بالتكلم بما أنبأه الله به، فيكون موسى نائباً عن الله، ويكون هارون نائباً عن موسى.

(د) أطلقت الأسفار لفظ الآلهة على الأشراف:

فقد ورد في مزمور ١٣٨ عدد ١ قول داوود عليه السلام:

(أحمدك من كل قلبـي، قدّام الآلهة أعزف لك).

فقد فسَّر علماء اليهود عبارة الآلهة هنا بالأشراف أصحاب الرتب العالية.

والـنـتـيـجـة:

من كل ما تقدم يتضح أن كلمة إلّه تطلق في الأسفار؛ إما:

١ ـ على الله المعبود بحق سبحانه وتعالى.

٢ ـ وقد تطلق بالمعنى المجازي أو التشبيهي على غيره ممن صارت إليهم كلمة الله من القضاة الشرعيين النائبين عن الله في الحكم، وعلى المَلَك والأشراف وعلى النبـي مثل النبـي موسى عليه السلام.

٣ ـ ولأجل الاحتراز بين لفظ الإلّه بالمعنى التشبيهي أو المجازي، أعلن المسيح عليه السلام ذلك في إنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٣ بقوله:

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإلّه الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته).

(أ) فقول المسيح: **(الحقيقي)** كلمة مهمة وضرورية حيث إن جماعة اليهود والنصارى اصطلحوا على سهولة إطلاقها على غير الله كالمَلَك والقاضي والشريف والنبـي.

(ب) وهذا الإلّه الحقيقي هو الذي ناداه المسيح بقوله الوارد في إنجيل متى ص ٢٧ عدد ٤٦:

(إيلي إيلي لما شبقتني) أي إلّهي إلّهي لماذا تركتني.

(ج) وهو المراد في قول بطرس في رسالته إلى أفسس ص ١ عدد ١٧:

(كي يعطيكم إلّه ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته).

ثالثاً: لـفـظ ربّ

يقول النصارى: إنه ورد إطلاق كلمة رب على المسيح في مواضع كثيرة منها:

١ ــ ما ورد في إنجيل يوحنا ص ٢٠ عدد ٢٨ قال توما موجهاً كلامه للمسيح: (أجاب توما وقال له ربـي وإلّهي).

٢ ــ كما ورد في سفر أعمال الرسل ص ١٠ عدد ٣٦ وقيل عنه وصفاً للمسيح: (هذا هو رب الكل).

والجواب على ذلك جد يسير: فلقد أطلقت الأسفار المقدسة كلمة رب على غير المسيح طبقاً للآتي:

(أ) أطلقت الأسفار لفظ رب على الكاهن والقاضي:

فقد ورد في سفر التثنية ص ١٩ عدد ١٧ ونصه:

(يقف الرجلان اللذان بينهما خصومة أمام الرب).

وقد فسَّر علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى الرب بالكاهن والقاضي الذي ينوب عنه في الحكم الشرعي.

(ب) أطلقت الأسفار لفظ رب بمعنى المعلِّم:

١ ــ فقد ورد في إنجيل يوحنا ص ١ عدد ٣٨ عن اثنين من تلاميذ المسيح:

(فقالا: ربـي. الذي تفسيره: يا معلم).

٢ ــ كما ورد في إنجيل يوحنا ص ٢٠ عدد ١٦:

(قال لها يسوع: يا مريم، فالتفتت تلك وقالت: ربوني[1]. الذي تفسيره: يا معلم).

٣ ــ وعلى هذا المعنى يكون مقصود اللفظ الوارد بسفر أعمال الرسل ص ١٠ عدد ٣٦ عندما قال بطرس: (هذا هو رب الكل).

---

(١) ربوني كلمة عبرانية معناها يا معلم كما ورد في إنجيل يوحنا.

فإنه يريد به معلم الكل، أي أنه معلم لليهود وغيرهم، أي أن المسيح رسول ومعلم للجميع وليس لفئة معينة.

(ج) أطلقت الأسفار لفظ رب بمعنى السيد:

١ ــ فقد ورد في مزمور ١٠ عدد ٥١: (فقال له الأعمى: يا سيدي).

فإن كلمة سيدي في الأصل العبراني: (ربوئي).

٢ ــ ورد بإنجيل متى ص ٢٣ عدد ٧:

(والتحيات في الأسواق وأن يدعوهم الناس: سيدي سيدي).

فإن سيدي سيدي ترجمة لفظ ربـي ربـي في اليونانية.

ومعناها في الأصل رئيس ثم أطلقت على المعلم الديني.

وكان عند اليهود ثلاثة ألقاب شرف يلقبون بها المعلمين ورجال الدين اليهود على قدر علمهم وقداستهم وهي:

لقب راب.

لقب رابـي.. وهو أعظم من اللقب السابق.

لقب رابوني.. وهو أعظم من كليهما.

(د) أطلقت الأسفار لفظ رب على المَلَك:

١ ــ فقد ورد في سفر القضاة ص ٦ عدد ١١ ــ ٢٤:

(وأتى ملاك الرب وجلس تحت البطمة التي في عفره التي ليوآش الأبيَعزَري، وكان جدعون ابنه يخبط حنطة في المعصرة، لكي يهربها من المديانيين، فظهر له ملاك الرب، وقال له الرب: معك يا أيها المحارب الباسل، فقال له جدعون: أسألك يا سيدي إذا كان الرب معنا فلماذا[1] أصابنا كل هذه، وأين كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا قائلين: ألم يصعدنا الرب من مصر والآن قد رفضنا الرب، وجعلنا في كف مديان، فالتفت إليه الرب، وقال: اذهب بقوتك هذه، وخلص إسرائيل من كف مديان، أما أرسلتك، فقال

(١) جدعون هذا هو أحد قضاة بني إسرائيل.

له: أسألك ياسيدي بماذا أخلص إسرائيل؟ هذه عشيرتي أضعف عشيرة في مَنَّى وأنا الأصغر في بيت أبي، فقال له الرب: إني أكون معك وستضرب المديانيين[1] كرجل واحد، فقال له: إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فاصنع لي علامة أنك أنت تكلمني، لا تبرح من ههنا حتى آتي إليك، وأخرج تقدمتي، وأضعها أمامك فقال: إني أبقى حتى ترجع، فدخل جدعون وعمل جدي معزى وأيفه[2] دقيق فطيراً، أما اللحم فوضعه في سل، وأما المرق فوضعه في قدر، وخرج بها إليه إلى تحت البطمة وقدمها. فقال له ملاك الله: خذ اللحم والفطير وضعهما على تلك الصخرة، واسكب المرق، ففعل كذلك، فمد ملاك الرب طرف العكاز الذي بيده ومس اللحم والفطير، فصعدت نار من الصخرة، وأكلت اللحم والفطير، وذهب ملاك الرب عن عينيه، فرأى جدعون أنه ملاك الرب، فقال جدعون: آه يا سيدي الرب، لأني قد رأيت ملاك الرب وجهاً لوجه، فقال له الرب: السلام لك لا تخف، لا تموت، فبنى جدعون هناك مذبحاً للرب ودعاه يهوه شالوم).

فقد سمَّى المَلَك رباً في نص سفر القضاة السابق أربع مرات.

٢ ــ ورد في سفر حزقيال ص ٤ عدد ٢٤:

(وحدث في الطريق في المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله).

فهذا الرب الذي لقي موسى في الطريق، هو المَلَك أراد أن يقتل موسى من أجل أنه لم يختن ولده أليعازر.

٣ ــ ورد في سفر التكوين عن هاجر ص ١٦ عدد ١٣:

(فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت إيل رئي).

مع أن الذي تكلم معها ليس هو الرب الحقيقي، بل هو الملاك كما قال قبله في نفس سفر التكوين عدد ٧ ــ ١٣:

(فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية...).

---

(١) المديانيُّون: هم نسل مديان أحد أولاد إبراهيم عليه السلام، وكانوا يقطنون أرض مديان الممتدة من خليج العقبة إلى موآب وقيل من شبه جزيرة سيناء حتى نهر الفرات.

(٢) أيفه: هو مكيال خاص كان عند اليهود للأشياء الجافة.

(فقال لها ملاك الرب: ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها...).

(وقال لها ملاك الرب: تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة...).

(وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك وأنه يكون إنساناً وحشياً يده على كل واحد ويد كل واحد عليه...).

(فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت إيل رئي).

٤ ـ ورد في سفر التكوين ص ١٨ عدد ١٧ عن إبراهيم عليه السلام:

(فقال الرب: هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله).

فقد فسروا الرب بالملاك النائب عن الرب ونظيره في ص ١٨ عدد ٢٣:

(وأما إبراهيم فكان لم يزل قائماً أمام الرب) أي الملك النائب عن الرب.

وأيضاً في نفس سفر التكوين ص ١٨ عدد ٣٣:

(وذهب الرب عندما فرغ من الكلام عن إبراهيم).

وفي السفر المذكور ص ١٨ عدد ١:

(وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار).

فالذي ظهر هنا كان ملاك الرب.

٥ ـ ورد في سفر الخروج ص ١٢ عدد ٢٢، ٢٣:

(وخذوا باقة زوفا[1] واغمسوها في الدم الذي في الطست، ومسّوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذي في الطست، وأنتم لا يخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح، فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين، فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب، ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب).

فلا يمكن أن يحتاج الإلّه إلى علامة تفرق بينهما حتى لا يغلط بإهلاكه أحد اليهود بدلاً من المصريين، إنما فلا بد من حمله على الملاك وقد فسره علماؤهم بذلك.

٦ ـ ورد في سفر الخروج ص ١٣ عدد ٢١:

(وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود السحاب ليهديهم في الطريق).

كما ورد في السفر المذكور ص ١٤عدد ١٩:

---

(١) الزوفا: قيل إنه نبات الزعتر.

(فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل، وسار وراءهم وانتقل عمود السحاب من أمامهم، ووقف وراءهم).

فهنا الرب هو ملاك الله كما فسره في النص الثاني نفسه، وهذا من قبيل المجاز وشبيه ذلك:

ما ورد في القرآن الكريم فقد ورد به استعمال لفظ رب مجازاً على المَلَك إذ ورد في سورة آل عمران قول السيدة مريم للمَلك جبريل عليه السلام عندما ظهر لها وبشرها بالمسيح عليه السلام.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَر، قَالَ كَذٰلِكَ الله يَخْلِقُ مَا يَشَاء إذا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُول لَهُ كُنْ فَيَكُون﴾[1].

فيبدو أن لفظ رب، ومقصوده الملَك كان مشهوراً لدى اليهود وقتئذ، واستعمل عندهم لأن السيدة مريم خاطبت الملاك جبريل بقولها: ﴿رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر﴾، فمعنى ربِّ هنا معلمي[2] أو سيدي، وهذا يطابق معناها لغة في اللغة العربية، وغيرها من اللغات، لذلك أجابها الملاك إجابة واضحة، لا لبس فيها ليميز لها بين الحقيقة والمجاز: ﴿قال كذلك الله يخلق ما يشاء﴾، فأسند الخلق لله سبحانه وحده ولم يقل كذلك أنا أخلق ما أشاء.

ونظيره ما ورد في سورة مريم أيضاً عن الملاك جبريل أيضاً.

﴿قَالَ كَذٰلِكَ قَالَ رَبك هُوَ عَلَي هين﴾[3].

فأسند القول لربها أي الله، ولم يقل: كذلك أقول لك هو علي هين.

(هـ) أطلقت الأسفار لفظ الرب على قايين بن آدم:

فقد جاء في سفر التكوين في الأصل العبراني ص ٤ عدد ١ ما نصه:

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٧.

(٢) والملاك جبريل هو المعلم الكبير القوي لأنه سفير الوحي وقد أسند له القرآن الكريم تعليم الأنبياء كما يبين ذلك في سورة النجم تعليمه للنبي محمد ﷺ ﴿علمه شديد القُوى﴾.

(٣) سورة مريم: الآية ٢١.

(وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قابين، وقالت اقتنيت رجلاً الذي هو الرب).

وهذه العبارة توجد في التوراة الأصلية المطبوعة الآن باللغة العبرية خلافاً للنسخة العربية المطبوعة في أكسفورد.

(و) أطلقت الأسفار لفظ الرب بمعنى الصاحب:

(أ) فقد جاء في سفر التكوين ص ٤٩ عدد ٢٣: (واضطهدته أرباب السهام).

(ب) ورد في سفر أيوب ص ٢٩ عدد ٥: (لكل عمل بيد أرباب الصنائع).

(ج) ورد في سفر الجامعة ص ١٢ عدد ١١:

(كلام الحكماء كالمناسيس، وكأوتاد منفرزة، أرباب الجماعات قد أعطيت من راع واحد).

(د) ورد في إنجيل متى ص ١٣ عدد ٢٧:

(فجاء عبيد رب البيت وقالوا له يا سيد أليس زرعاً جيداً زرعت في حقلك).

(ز) إطلاق القرآن الكريم لفظ الرب على السيد أو على سائس القوم أو على الملك:

١ ــ ورد ذلك في قوله تعالى في سورة يوسف عن عزيز مصر على لسان يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ﴾.

ثم قوله: ﴿أما أَحَدكُمَا فَيَسْقِي رَبّه خَمْراً﴾.

ثم قوله: ﴿فَأَنْسَاهُ ٱلشَّيْطَان ذِكْر رَبّه﴾.

فرب هنا بمعنى السيد أو سائس القوم أو الملك.

(ح) إطلاق لفظ الرب على المسيح

ليس مرادفاً للإلّه المعبود بحق:

١ ـ ورد برسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ص ٨ عدد ٥، ٦:

(لأنه إن وجد ما يسمى آلهة، سواء كان في السماء أو على الأرض كما يوجد آلهة كثيرون، وأرباب كثيرون، لكن لنا إلّه واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به).

فالآب هو الله تعالى ومنه جميع الأشياء، أي مصدر كل الموجودات، ونحن له أي مملوكون وعابدون ويقابل ذلك:

الابن الذي هو يسوع المسيح، وعبّر عنه بعبارة الرب، والتي تفيد المعلم، أي أنه معلم للأمور الدينية.

(ب) يؤكد هذا المعنى قول إنجيل متى على لسان المسيح ص ٢٣ عدد ٩:

(ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات).

(ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح).

فبولس عبّر عن المسيح بالرب، والمسيح عبر عن نفسه بالمعلم.

(ج) وقد أكده المسيح مرة أخرى في إنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٣ بقوله:

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإلّه الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته).

فالرب بهذا المعنى يعني المعلم، وقد عبر عنه المسيح أيضاً بذلك المعنى، كما عبر عنه بالرسول لأن الرسول هو المعلم لأمته، ووظيفته لا تخرج عن دائرة التعليم وبيان التعاليم.

(ط) ما هي القرينة التي تمنع إطلاق لفظ رب بمعنى (الله) على المسيح، وبالتالي تعيّن أن المعنى المقصود على المسيح هو: المعلّم، أو: المربّي:

(أ) القرينة الأولى المانعة لإطلاق رب بمعنى الله: هو أن المسيح يُرى والله لم يره أحد وهذه واحدة.

(ب) وقرينة ثانية: أنه رسول الله ومسيحه فقط.

(ج) وقرينة ثالثة: أنه كان يصلي لله من أجل تلاميذه.

(د) وقرينة رابعة: أنه أنكر نفسه بأنه صالح.

هذه قرائن أربع ولنتكلم عنها بشيء من التفصيل.

* * *

(أ) عن القرينة الأولى: فقد ورد برسالة يوحنا الأولى ص ١ عدد ٥:

(والله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر).

(ب) وعن القرينة الثانية، فقد ورد بإنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٣:

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإلّه الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته).

فلقد أخبر المسيح أنه مسيح ورسول، أما الألوهية فقد حصرها في الإلّه الواحد حقيقة.

(ج) وعن القرينة الثالثة، وهي أنه كان يصلي لله، فقد ورد بإنجيل لوقا ص ٢٢ عدد ٣٢ خطاباً لبطرس تلميذه:

(ولكني تضرَّعت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك).

فلو كان المسيح إلّهاً لم يحتج لأن يصلي لغيره، ويدعوه في حصوله الشيء وهو عدم فناء الإيمان لبطرس.

(د) وعن القرينة الرابعة: وهي أنه أنكر أن يدعوه أحد صالحاً، فقد ورد في إنجيل متى ص ١٩ عدد ١٦، ١٧:

(وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلاّ واحد وهو الله).

وقد تأكد هذا المعنى على لسان داوود عليه السلام، فقد ورد في مزمور ١١٨ عدد ١ : (احمدوا الرب لأنه صالح).

فداوود وصف الرب بأنه صالح، والمسيح أنكر على التلميذ وصفه له بكونه صالحاً قائلاً : (ليس أحد صالحاً إلاَّ واحد وهو الله).

فدل ذلك على أن المسيح ليس برب بمعنى إلّه، بل بمعنى آخر هو معنى المعلم أو السيد.

(ي) لفظ الرب بمعنى المعلِّم أو المتمِّم أو المربِّي أو السيد والملك على ضوء أقوال المسيح وتلاميذه :

(أ) هناك قرينة على كون لفظ الرب إذا استعمل في المسيح يكون بمعنى المعلم :

١ ــ وهو ما ورد في إنجيل يوحنا ص ١ عدد ٣٨ على لسان تلميذي المسيح خطاباً للمسيح ونصه :

(فقالا ربي ــ الذي تفسيره يا معلم ــ أين تمكث).

٢ ــ وقد كان هذا الوصف مخصوصاً بين التلاميذ بالمسيح حسبما قال هو نفسه في إنجيل متى ص ٢٣ عدد ١٠ :

(ولا تدعو معلمين لأن معلمكم واحد المسيح).

٣ ــ وكما ورد بإنجيل لوقا ص ٢٢ عدد ١١ ونصه قول المسيح مخاطباً تلميذيه :

(وقولا لرب البيت : يقول لك المعلم أين المنزل).

* * *

(ب) وهنا قرينة ثانية على كون لفظ الرب إذا استعمل في المسيح يكون بمعنى المتمم هي كون التتميم، وظيفة المسيح ومهمته الكبرى التي جاء لأجلها.

١ ــ فقد ورد بإنجيل متى ص ٥ عدد ١٧ على لسان المسيح ما نصه :

(لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل).

وفي ترجمة أخرى : (لأتمم).

٢ ــ وكما قال في إنجيل يوحنا ص ٤ عد ٣٤ على لسان المسيح نفسه:
(طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله).

* * *

(ج) وقرينة ثالثة على كون لفظ الرب إذا أطلق على المسيح يكون بمعنى المربـي:

ما ورد بإنجيل متى ص ٢٣ عدد ٣٧ وإنجيل لوقا ص ١٣ عدد ٣٤ وقوله:
(يا أورشليم ــ يا أورشليم ــ يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها).
فهنا كناية عن محاولة المسيح القيام بتربيتهم فيكون مربياً لهم.

* * *

(د) وقرينة رابعة عـلى كون لفظ الرب إذا أطلق على المسيح يكون بمعنى السيد:

١ ــ فهو قول مريم المجدلية للمَلَكين عندما جاءا عند قبر المسيح وهو الوارد بإنجيل يوحنا ص ٢٠ عدد ١٣:
(قالت لهما: إنهم أخذوا سيدي).

٢ ــ وما هو وارد بإنجيل متى ص ٨ عن قول قائد المئة للمسيح:
(يا سيد لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي).

* * *

(هـ) وقرينة خامسة على كون لفظ الرب إذا أطلق على المسيح كان بمعنى المِلك هو كونه عهد في المسيح إطلاق لفظ المِلك عليه:

١ ــ فقد ورد في إنجيل يوحنا ص ١٩ عدد ٢١ قولهم عن المسيح:
(بل إنَّ في ذاك قال أنا مَلِك اليهود).

٢ ــ وورد في سفر أعمال المرسل ص ١٧ عدد ٧:
(قائلين إنه يوجد مَلِك آخر: يسوع).

٣ ــ ورد بإنجيل متى ص ٢١ عدد ٤، ٥:

(فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل قولاً لابنة صهيون هو ذا ملكك يأتيك وديعاً).

٤ ــ ورد بإنجيل لوقا ص ١٩ عدد ٣٨:

(قائلين مبارك الملِك الآتي باسم الرب).

٥ ــ وما ورد بإنجيل يوحنا ص ١٢ عدد ١٣:

(مبارك الآتي باسم الرب ملِك إسرائيل).

والنتيجة:

أنه لو كان في إطلاق لفظ الرب على المسيح أن يكون فيه طبيعة لاهوتية للزم أن يكون كذلك على غيره ممن أطلق عليه ذلك اللفظ.

(ك) لفظ رب الأرباب وملك الملوك:

فقد أطلقت هذه الألفاظ على المسيح طبقاً للآتي:

(أ) يقول النصارى عن المسيح أنه وصف برب الأرباب وملك الملوك. فقد ورد في رؤيا يوحنا ص ١٧ عدد ١٤ عن المسيح:

(وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب).

(ب) ويقولون إن ما وصف به المسيح فيما سبق وصف به الله الآب. فقد ورد في رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ص ٦ عدد ١٥ عن الله سبحانه:

(الذي سيبيِّنه في أوقاته المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب).

(ج) وقد ورد في سفر التثنية ص ١٠ عدد ١٧ عن الله سبحانه:

(إلَه الآلهة ورب الأرباب).

(د) وقد ورد في مزمور ١٣٦ عدد ٣ عن داود عليه السلام وحمده لله:

(احمدوا ربّ الأرباب).

ويستدل النصارى من ذلك على كون المسيح الابن مساوياً للآب، وعلى أن فيه طبيعة لاهوتية.

والرد على ذلك جد يسير:

(أ) فكما وصف الله بكونه ملك الملوك، وصف بعض سلاطين العالم بأنه ملك الملوك، ومع هذا فلم يقل أحد بمساواة هؤلاء السلاطين لله عز وجل لوجود اختلاف في المعنى وإن اتحدا في اللفظ.

فلذلك لا يلزم في وصف المسيح بأنه ملك الملوك، مساواته لله تعالى، فقد وصف الله بكونه رباً بالمعنى الحقيقي، ثم وصف المسيح بكونه رباً بمعنى المعلِّم، كما فسره يوحنا في إنجيله ص ١ عدد ٣٨ فلم يلزم من هذا مساواته لله نظراً لاختلاف المعنى.

فكذلك إذا قيل عن الله رب الأرباب، بالمعنى الحقيقي، ثم قيل عن المسيح رب الأرباب فالمعنى يكون طبقاً للتفسير السابق من يوحنا أنه معلم المعلمين أو سيد الأسياد، ولا يلزم منه المساواة بينه وبين الله قطعياً.

(ب) قيل عن الله سبحانه وتعالى في الأسفار: إنه رب الجنود أكثر من ٢٠٠ مرة، ولم يقل ذلك ولا مرة واحدة عن المسيح، ويبدو أن السبب في ذلك هو أن عبارة رب الجنود تساوي عبارة رب العالمين، وهذه لم تطلق ولن تطلق إلاَّ على الله تعالى وحده.

ويقصد برب الجنود رب الملائكة والأبرار والمجاهدين.

(ج) ورد نظير ملك الملوك ورب الأرباب على غير المسيح. فقد ورد في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ص ٣ عدد ١٢ عن الغالب الظافر:

(من يغلب فسأجعله عموداً في هيكل إلهي، ولا يعود يخرج إلى خارج، وأكتب عليه اسم إلَهي واسم مدينة إلَهي أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند إلَهي واسمي الجديد).

فهنا يخلع على الغالب اسم الإلَه، وهو رب الأرباب وملك الملوك، وقوله: عليه يصدق بفخذه وثوبه، كما ورد في وصف المسيح، ونظيره ما ورد في سفرالعدد ص ٦ عدد ٢٧ عن بني إسرائيل عموماً قوله:

(فيجعلون اسمي على بني إسرائيل).

والنتيجة من كل ذلك:

أنه لا يقتضي ذلك وجود طبيعة لاهوتية في أحد فيمن ذكر مطلقاً، وإلاَّ للزم أن يكونوا جميعهم آلهة وهذا محال.

(ل) لفظ الرب برنا:

يقول النصارى إنه ورد بسفر أرميا ص ٢٣ عدد ٥، ٦ لفظ الرب برنا وهم أوَّلوه على المسيح ونصه:

(ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم لداوود غصن بر، فيملك ملك وينجح ويجري حقاً وعدلاً في الأرض، في أيامه يخلص يهوذا، ويسكن إسرائيل آمناً، وهذا هو اسمه الذي يدعونه به الرب برنا)، ويقولون:

(أ) إن هذا اللفظ الرب برنا لم يحصل لغير المسيح من جهة.

(ب) ووجود لفظ الرب به يدل على ما فيه من طبيعة لاهوتية.

والرد على ذلك:

باديء ذي بدء إن المسيح عليه السلام ليس من غصن داوود، أي ليس من سلالته، لأنه من نسل السيدة مريم، والسيدة مريم ليست من نسل داوود، بل إن الذي من نسل داوود هو يوسف النجار، ولا ارتباط نسبـي بين المسيح ويوسف النجار خطيب أمه، إلاَّ إذا طُعن في شرف أمه بأنه جاء نتيجة اتصال غير شرعي قبل الزواج بينها وبين يوسف النجار كما تزعم اليهود.

إن هذا اللفظ الرب برنا تسمت به مدينة أورشليم أيضاً.

فقد ورد في سفر أرميا ص ٣٣ عدد ١٤ ــ ١٦ ما نصه:

(ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم الكلمة الصالحة التي تكلمت بها إلى بيت إسرائيل وإلى بيت يهوذا، في تلك الأيام وفي ذلك الزمان أنبت لداود غصن البر فيجري عدلاً وبراً في الأرض في تلك الأيام، يخلص يهوذا وتسكن أورشليم آمنة، وهذا ما تتسمّى به الرب برنا)، ونظيره:

ما ورد بسفر حزقيال ص ٤٨ عدد ٣٥:

(واسم المدينة من ذلك اليوم يهوشمه).

وفي اللغة العبرانية يهوشمه معناها الرب برنا.

فلو كان الرب برنا تقتضي وجود طبيعة لاهوتية فيمن وصف بها، لكانت مدينة أورشليم بها هذه الطبيعة اللاهوتية أيضاً.

ولقد سميت باسم إيلياه، كما في بعض الأخبار، ومعنى هذا الاسم الرب الله، لأن إيل معناها الرب، وياه معناها الله فهل يعني ذلك أن لها طبيعة إلّهية لاهوتية؟ والجواب أنه لم يقل أحد بذلك، ولهذا يبطل احتجاج النصارى بهذه الحجة.

* * *

فصل (١):

يدَّعي النصارى أن في تسمية المسيح عليه السلام الرب برنا بإدخال اسم الرب عليه جعل فيه طبيعة لاهوتية.

ولكن الحقيقة أن الأسفار يوجد بها أسماء كثيرة أدخل فيها اسم الله، وأطلقت على الناس ولم يتصور أحد فيمن أطلقت عليه وجود طبيعة لاهوتية ومثال ذلك الآتي:

١ ــ إسماعيل ومعناه الله يسمع في اللغة العبرانية.

٢ ــ يهوشع ومعناه الرب خلص في اللغة العبرانية أو يهوه عون.

٣ ــ ياسون وهو اسم للرجل التسالونيكي في اللغة اليونانية، وهو من أقارب بولس الذي كان بولس ورفيقه سيلا في بيته أيام وجودهما في تسالونيك وهي مدينة بمقدونيا في بلاد اليونان وتدعى سالانيك.

٤ ــ إيلياه ومعناه الرب الله في العبرانية.

٥ ــ يهوذا ومعناه الله شكور في العبرانية.

٦ ــ يهوياقيم ومعناه الله يرفع في العبرانية.

٧ ــ أرميا ومعناه معظم من الله في العبرانية.

٨ ــ أشعيا ومعناه خلاص الله في العبرانية.

٩ ـ يوحنا ومعناه في العبرانية يوحنا ـ أي ـ الله حنان أو هو مختصر لاسم يهوه حنان، أي الرب الرحيم.

١٠ ـ جبرائيل أي جبار الله أو قوة الله أو رجل الله في العبرانية.

١١ ـ العازر ومعناه الرب عون.

١٢ ـ ياهو ومعناه الله أو الإله.

١٣ ـ عمانوئيل وهو اسم لابن أشعيا الثاني الذي تفسيره الله معنا في العبرانية.

١٤ ـ إسرائيل ومعناه قوي مع الله في العبرانية.

١٥ ـ زكريا الذي معناه الرب يذكر في العبرانية.

١٦ ـ متى وهي كلمة عبرانية مختصرة من مثاثيا ومعناه هبة الله.

١٧ ـ إيل ـ إله إسرائيل سمّى به يعقوب المذبح الذي بناه.

١٨ ـ يهوه ليس أي الرب علمي أو رايتي، سمّى به موسى المذبح الذي بناه.

١٩ ـ حزقياه وهو اسم للملك يهوذا ومعناه شدده الله.

٢٠ ـ يفتحئيل ومعناه يفتح الرب.

٢١ ـ حزقيال وهو اسم للنبي المذكور، وأصله: يحزقيئيل، ومعناه: يشدده الرب.

* * *

فصل آخر:

يقول النصارى إن إتيان المسيح باسم الرب أو اسم أبيه دليل لهم على ربوبيته.

(أ) فيقول في إنجيل يوحنا ص ٥ عدد ٤٣، ٤٤:

(أنا قد أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني!! أن أتى آخر باسم نفسه تقبلونه؟! كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه؟).

(ب) كما ورد في إنجيل متى ص ٢١ عدد ٩ ـ ١١:

(والجموع الذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين: أُوصَنَّا لابن داوود

مبارك الآتي باسم الرب، أُوصَنَّا في الأعالي. ولما دخل أورشليم، ارتجت المدينة كلها قائلة: من هذا؟ فقالت الجموع: هذا **يسوع النبـي الذي من ناصرة الجليل**)[1].

(ج) ورد بإنجيل لوقا ص ١٩ عدد ٣٧، ٣٨:

(ولما قرب عند منحدر جبل الزيتون ابتدأ كل جمهور التلاميذ يفرحون ويسبحون الله بصوت عظيم لأجل جميع القوات التي نظروا قائلين مبارك المِلك الآتي باسم الرب).

والجواب على ذلك:

(أ) أن إتيان المسيح باسم الرب هو إتيانه بمجد الله وسلطانه بدليل العجائب التي أجريت بيده، والتي لا تكون إلاَّ من الله وبمعونته، وهذا ما قاله مفسِّرو النصرانية ولا أكثر من ذلك، فلا دعوى للألوهية يدل عليها ــ وبالمقابلة يقول عن المسحاء الكذبة: **أن أتى آخر باسم نفسه** فذلك تقبلونه دون أن يكونوا مؤيدين بمجد وسلطان.

(ب) وفي إنجيل متى فإن معنى إتيان المسيح باسم الرب هو: إتيانه بسلطان الرب ومجده، وهناك قرينة تشير إلى ذلك واضحة بجلاء عندما أجلبت الجموع بأن هذا يسوع النبـي فقد قررت أنه **نبـي فقط**، وهي نفس **تلك الجموع التي صرخت قبل ذلك بقولها مبارك الآتي باسم الرب**، فكيف يستساغ بعد ذلك وبعد أن فهم من هذا القول الصريح بأنه نبـي أن تكون هناك إشارة خفية لربوبيته.

(انظر إنجيل متى ص ٢١ عدد ٩ ــ ١١).

(ج) ومع هذا فما المانع من تفسير كلمة (الرب) هنا بالمعلِّم حسبما فسره يوحنا في إنجيله ص ١ عدد ٣٨:

(فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال لهما ماذا تطلبان فقالا: ربـي ــ الذي تفسيره **يا معلِّم** ــ أين تمكث؟).

وحسبما ذكره المسيح نفسه فيما هو منسوب إليه بإنجيل متى ص ٢٣ عدد ٨ بقوله:

---

(١) كلمة أوصَنَّا هي كلمة سريانية معناها خلصنا أو أنقذنا، وقد كانوا يقولونها في حالة السرور ابتهاجاً بدخول المسيح عليه السلام مدينة أورشليم.

(لأن معلمكم واحد المسيح)، هذا وقد وصف المسيح في العهد الجديد (الأناجيل) بكونه معلماً أكثر من خمسين مرة.

(د) وفضلاً عما تقدم ذكره جميعه فكما ورد عن المسيح أنه أتى باسم الرب، فقد **ورد إتيان أشخاص آخرين باسم الرب وإتيان أفعال كثيرة باسم الرب أيضاً كالمسيح تماماً طبقاً للآتي:**

١ ــ ورد في مزمور ١١٨ عدد ١٠ عن داوود عليه السلام إذ قال:

(باسم الرب أبيدهم).

٢ ــ ورد في مزمور ٧١ عدد ١٦ عنه أيضاً إذ قال:

(آتي بجبروت السيد الرب).

٣ ــ ورد في سفر صموئيل الأول ص ١٧ عدد ٤٥ عن داوود، وهو يخاطب جليات البطل الفلسطيني الذي حاربه:

(وأنا آتي إليك باسم رب الجنوب).

٤ ــ ورد في مزمور ٤٤ عدد ٥ عن بني قورح أيضاً خطاباً لله سبحانه:

(بك ننطح مضايقينا يقيناً، باسمك ندوس القائمين علينا).

٥ ــ ورد في إنجيل مرقص ص ١١ عدد ١٠ قول تلاميذ المسيح:

(مباركة مملكة أبينا داوود الآتية باسم الرب).

النتيجة:

لو كانت عبارة إتيان المسيح باسم الرب تقتضي ربوبيته ولاهوته، لكان كل من داوود وبني قورح والمملكة أرباباً وآلهة وهذا محال.

وأيضاً إليك الآتي تأييداً لما تقدم:

٦ ــ ورد بسفر التثنية ص ٣٢ عدد ٣ عن موسى عليه السلام قوله:

(آتي باسم الرب أنادي).

٧ ــ كما ورد بسفر الملوك الأول ص ١٨ عدد ٣٢، عن إيليا أنه:

(بنى الحجارة مذبحاً باسم الرب).

٨ ــ كما ورد بسفر الأيام الأول ص ٢١ عدد ١٩ أن جاداً النبـي تكلم:

(تكلم مع داوود باسم الرب).

٩ ــ كما ورد بسفر أرميا ص ١٥ عدد ١٦ أن أرميا قال:

(لأني دعيت باسمك يا رب إلّه الجنود).

١٠ ــ كما ورد بسفر أرميا ص ٢٦ عدد ٢٠ أنه:

(قد كان رجل أيضاً يتنبأ باسم الرب أوريا بن شمعيا من قرية بعاريم).

١١ ــ ورد في سفر أرميا ص ٢٦ عدد ١٦ في شأن أرميا:

(فقالت الرؤوساء وكل الشعب للكهنة والأنبياء ليس على الرجل حق الموت، لأنه كلمنا باسم الرب إلّهنا).

١٢ ــ ورد بسفر عزرا ص ٥ عدد ١:

(فتنبأ النبيان حجي النبـي وزكريا بن عِدوّ لليهود الذين في يهوذا، وأورشليم باسم إلّه إسرائيل عليهم).

١٣ ــ ورد بسفر التكوين ص ١٣ عدد ٨ عن إبراهيم عليه السلام أنه:

(بنى هناك مذبحاً للرب ودعا باسم الرب).

١٤ ــ ورد بسفر التثنية ص ٢١ عدد ٥:

(ثم يتقدم الكهنة بنو لاوي لأنه إياهم اختار الرب إلّهك ليخدموه ويباركوا باسم الرب).

١٥ ــ ورد بسفر الأيام الأول ص ١٦ عدد ٢ عند داود عليه السلام:

(بارك الشعب باسم الرب).

١٦ ــ وورد عنه في مزمور ١٢٩ عدد ٨ قوله:

(باركناكم باسم الرب).

١٧ ــ وورد برسالة يعقوب ص ٥ عدد ١٠ قوله:

(خذوا يا إخوتي مثالاً لاحتمال المشقات والأناة والأنبياء الذين تكلموا باسم الرب).

وخلاصة ما تقدَّم أيضاً:

فعلى هذا لو كانت نسبة الإتيان للمسيح باسم الرب تقتضي ربوبيته ولاهوته لكان كل من موسى وإيليا وجاد وأوريا وحجي وزكريا بن عدو وإبراهيم والكهنة من بني لاوي، وداوود والأنبياء أرباباً وآلهة، إذ قد نسب لكل منهم فعل من الأفعال فعله باسم الرب، كما نسب الإتيان للمسيح باسم الرب، إذ الإتيان أيضاً هو فعل من الأفعال **مما يقتضي أن يكون مراد المسيح من عبارة إتيانه باسم الرب أن إتيانه ليس باسمه، أي ليس بمجده وسلطانه بل باسم الرب، أي بمجد الرب وسلطانه حيث أيده بالقوات أي بالقوة وبالعجائب** التي لا تكون إلَّا من الله سبحانه وتعالى.

وبناء عليه يكون:

١ ــ إن المسيح إذا تكلم لا يتكلم إلَّا باسم الرب أي بكلام الله سبحانه وتعالى.

٢ ــ والأفعال التي قام بها ليس هو فاعلاً لها باسمه بل باسم الرب الإلّه سبحانه، كما قال في إنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ٢٥:

(**الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي**)، ومن هذا النص تُستخلص حقيقتان هما:

الحقيقة الأولى: أن جميع الأعمال العجيبة التي يعملها المسيح ليست على حسابه وليست باسمه بل على حساب الله وباسم الله أي بقوة الله ومجده.

والحقيقة الثانية: أن هذه الأعمال العجيبة هي ليست شهادة للمسيح على ربوبيته بل شهادة على كونه المسيح، وتستخلص هذه الحقيقة الثانية من سؤال اليهود له في ذلك قبل إجابته لهم وذلك في إنجيل يوحنا في ص ١٠ عدد ٢٤:

(إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهراً).

ومن هاتين الحقيقتين يندك الاعتقاد بلاهوت المسيح من أساسه.

فصل أخير:

وهناك نصوص أخرى في معنى الإتيان والتكلم والمناداة باسم الرب طبقاً للآتي:

١ ــ ورد بسفر التثنية ص ١٨ عدد ٢٢ قول الرب خطاباً لموسى:

(أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه، وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي، وإن قلت في قلبك: كيف تعرف الكلام الذي تكلم به الرب؟ فما تكلم به النبي باسم الرب، ولم يحدث ولِم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه).

٢ ــ ورد في سفر الملوك الأول ص ٢٢ عدد ١٦، ١٧ في وصف ميخا النبي:

(فقال له الملك كم مرة استحلفتك أن لا تقول لي إلاَّ الحق باسم الرب فقال: رأيت كل إسرائيل مشتتين).

٣ ــ ورد في سفر أرميا ص ٢٦ عدد ٨، ٩ في حق أرميا:

(وكان لما فرغ أرميا من التكلم بكل ما أوصاه الرب أن يكلم الشعب به أن الكهنة والأنبياء وكل الشعب أمسكوه قائلين: تموت موتاً لماذا تنبأت باسم الرب قائلاً مثل شيلوه[1] يكون هذا البيت وهذه المدينة تكون خربة بلا ساكن).

٤ ــ ورد بسفر أرميا ص ٤٤ عدد ١١:

(قال رب الجنود إلّه إسرائيل ها أنذا أجعل وجهي عليكم للشر).

ثم قول الإسرائيليين له في ص ٤٤ عدد ١٦:

(إننا لا نسمع لك الكلمة التي كلمتنا بها باسم الرب).

٥ ــ ورد بسفر زكريا ص ١٣ عدد ٣:

(ويكون إذا تنبأ أحد بعد، أن أباه وأمه والديه يقولان له: لا نعيش لأنك تكلمت بالكذب باسم الرب).

---

(١) وشيلوه: مدينة على بعد ١٧ ميلاً شمالاً من أورشليم بين بيثين ونابلس، وتسمى الآن سيلون، كانت مقراً لتابوت العهد والخيمة عند اليهود.

٦ ـــ ورد بسفر أرميا ص **٢٩** عدد **٩** :

(لأنهن إنما يتنبَّأون لكم باسمي بالكذب أنا لم أرسلهم يقول الرب).

والنتيجة مما سبق جميعه:

من كل ما تقدم يتبيَّن أن كتبة العهدين العتيق والجديد، اصطلحوا على تسمية كل عمل، وكل قول صدر من الأنبياء والمرسلين من الله، لأن قد عُمل باسم الرب، وقد قيل باسم الرب **الأمر** الذي يفسر ويوضح لكل عاقل المعنى للفظ (إتيان المسيح باسم الرب)، ويوضح بجلاء أنه لا يشير لطبيعة لاهوتية إطلاقاً.

ونظيره الآن: ما إذا قال بعض الوزراء أو السفراء أو المندوبين من حكام الدول المختلفة: إني أتكلم باسم الدستور أو باسم القانون أو باسم الملك أو باسم رئيس الدولة أو باسم الشعب، أي أن ما يتكلمه ليس من عنديات قائله بل هو لحساب الدستور أو القانون أو الملك أو رئيس الدولة أو الشعب.

● ● ●

الباب الرابع

في

تسمية المسيح (كلمة)

يقرِّر النصارى في دعواهم أن المسيح سُمِّي (كلمة الله) أو (كلمة من الله) ويستدلون من ذلك على أنه الأقنوم الثاني من الثالوث طبقاً للآتي:

١ ــ فقد ورد في سفر رؤيا يوحنا ص ١٩ عدد ١٣ عن المسيح:

(ويدعى اسمه كلمة الله).

٢ ــ ورد في رسالة بولس إلى العبرانيين ص ٤ عدد١٢:

(لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين).

٣ ــ ورد في سورة آل عمران في القرآن الكريم عن زكريا عليه السلام:

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلائِكَة وَهوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْراب أنَّ الله يُبَشِّرك بِيَحْيَـى مُصَدّقاً بِكَلِمَة مِنَ الله وَسيداً وحصوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِين﴾.

وهذه الكلمة هي المسيح في تفسير النصرانية.

٤ ــ ورد في القرآن الكريم في سورة آل عمران أيضاً:

﴿إذْ قَالَت ٱلْمَلائِكَة يَا مَرْيَم إنَّ الله يُبَشِّرك بِكَلِمَة مِنْهُ اسْمهُ ٱلْمَسِيح عِيْسَى بْنُ مَرْيَم وَجِيهاً فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَة وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِين﴾.

الـــرد:

ويرد على الدعوى النصرانية بأن تسمية المسيح بكلمة الله لا يعني إطلاقاً أنه الأقنوم الثاني من الثالوث الذي تعبده النصرانية لأنه:

*** أولاً ــ إنما سمي بذلك على معنى أنه الكلمة السابق بها الوعد والبشارة من الله لأنبياء الناموس طبقاً للآتي:**

١ ــ إن تسمية المسيح المنتظر (بالكلمة) عادة معروفة عند اليهود ولا سيما من كان منهم مشتتاً بين الأمم الذين عرفوا الفلسفة اليونانية، كما قال بذلك المفسِّر (وليم أدي) الأمريكي في شرحه (لبشارة) أي (إنجيل) يوحنا في كتابه: شرح الإنجيل.

٢ ــ تطلق الكلمة ويراد بها المعنى، فقد ورد في رسالة بطرس الثانية ص ١ عدد ١٩:

(وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها).

فأشار بالكلمة النبوية إلى شهادة كل الأنبياء بذلك.

٣ ــ ورد في سفر أرميا ص ٣٣ عدد ١٤ ــ ١٦:

(ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم الكلمة الصالحة التي تكلمت بها إلى بيت إسرائيل وإلى بيت يهوذا. في تلك الأيام وفي ذلك الزمان أنبت لداوود غصن البر فيجري عدلاً وبراً في الأرض. في تلك الأيام يخلص يهوذا أو تسكن أورشليم آمنة، وهذا ما تسمّى به الرب برّنا).

فهنا المراد بالكلمة الصالحة كلمة الوعد والبشرى بالمسيح المنتظر.

٤ ــ ورد في مزمور ٦٨ عدد ١١:

(الرب يعطي كلمة المبشرات بها جد كثير).

٥ ــ ورد في سفر أشعيا ص ٢ عدد ٣، ٤:

(لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين).

فهنا الكلمة معناها الوعد والبشرى، ويؤكد ذلك ما يلي:

٦ ــ ما ورد في مزمور ١٠٥ عدد ٤٣ عن الله:

(لأنه ذكر كلمة قدسه مع إبراهيم عبده فأخرج شعبه بابتهاج ومختاريه بترنم).

٧ ــ ورد في سفر الأيام الأولى ص ١٦ عدد١٥، ١٦:

(اذكروا إلى الأبد عهده الكلمة التي أوصي بها إلى ألف جيل الذي قطعه مع إبراهيم).

٨ ــ وقول القرآن الكريم ﴿بكلمة من الله﴾ و ﴿كلمة منه﴾ و ﴿كلمته﴾، يريد بها كلمة الوعد، أي كلمة البشرى السابقة منه المعهودة عند اليهود والنصارى، والمكتوبة في الأسفار، والموصوفة بأنها الكلمة الصالحة. وقد جرى القرآن على ذلك الاصطلاح، لأن اليهود اصطلحوا على تسمية المسيح المنتظر كلمة، وشاع هذا الاصطلاح بين النصارى والعرب وقت نزول الوحي.

*** ثانياً ــ وكما قدَّمنا بأنه أطلقت الكلمة الصالحة بمعنى كلمة الوعد:**

كذلك يطلق الكلام الصالح على كلمة الوعد طبقاً للآتي:

١ ــ ورد في سفر أرميا ص ٢٩ عدد ١٠:

(لأنه هكذا قال الرب: إني عند تمام سبعين سنة لبابل، أتعهدكم، وأقيم بكم كلامي الصالح يزوركم إلى هذا الموضع) فكلامه الصالح هو وعده برجوع بني إسرائيل من السبـي البابلي المذكور في:

(أ) سفر أشعيا ص ٤٠ عدد ١ ــ ٣١.

سفر أشعيا ص ٤٤ عدد ٢٦.

سفر أشعيا ص ٤٥ عدد ١ ــ ٢٥.

سفر أشعيا ص ٦١ عدد ١ ــ ١١.

(ب) وفي سفر أرميا ص ٣٠ عدد ١ ــ ٢٤.

وفي سفر أرميا ص ٣١ عدد ١ ــ ١٤.

٢ ــ ورد في إنجيل متى ص ٢٤ عدد ٣٤ ــ ٣٥ قول المسيح؛

وإنجيل مرقص ص ١٣ عدد ٣٠، ٣١ قول المسيح:

(الحق أقول لكم: لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله، السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول).

فليس مراده بالكلام كلام الشريعة، ولكن كلام الوعد الذي يجب أن يصدق وأن يقع تماماً.

٣ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ٢ عدد ٢٢ قول يوحنا عن المسيح:

(فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع) أي الوعد الذي قاله يسوع.

* **ثالثاً ـ والكلمة قد تطلق على الإنذار طبقاً للآتي:**

١ ـ جاء في سفر حزقيال ص ١٢ عدد ٢٨:

(لذلك قل لهم هكذا قال السيد الرب لا يطول بعدُ شيء من كلامي الكلمة التي تكلمت بها يقول السيد الرب).

٢ ـ وكذلك ما ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[1].

* رابعاً ـ لم يرد في الأسفار عموماً ما يصرح أو يرمز إلى أن (الكلمة) تطلق على الأقنوم الثاني أو المسيح كما أن لفظة (أقنوم) لا توجد في سفر من الأسفار العتيقة، ولا الجديدة مما يقتضي الحال أنه لا يجوز أن يقال إن المراد (بالكلمة) الأقنوم الثاني من الثالوث الذي تقول به النصرانية واستكمالاً للبحث نورد في الفصول الثلاثة الآتية:

الفصل الأوَّل

إنه ـ رغم ما تقدَّم ـ فإن النصرانية تدَّعي أن إضافة الكلمة لله في الكتاب المقدس، وفي القرآن الكريم دليل على أنها أي الكلمة الأقنوم الثاني المتصل بالأقنوم الأول، والمتحد معه ويستدلون على ذلك بالآتي:

١ ـ ما ورد في رؤيا يوحنا ص ١٩ عدد ١٣ عن المسيح:

(وهو متسربل بثوب مغموس بدم يدعى اسمه كلمة الله).

٢ ـ ما ورد في رسالة بطرس إلى العبرانيين ص ٤ عدد ١٢:

(لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين).

٣ ـ ما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى:

---

(١) سورة هود: الآية ١١٩.

(أ) ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلائِكَةُ وَهوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْراب أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بيَحْيَـى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ ٱلصَّالِحِين﴾[1].

(ب) ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَجِيْهاً فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِين﴾[2].

(ج) ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْه﴾[3].

الـــرد:

ويُردّ على ذلك بأن إضافة الكلمة لله هي للاحتراز عن الكلمة التي للشيطان (وهي الكلمة الأرضية التي لا تصدق) طبقاً للأمثلة الآتية:

١ ــ ورد بسفر الأمثال ص ١٤ عدد ١٥:

(الغبـي يصدق كل كلمة).

٢ ــ ورد بسفر الأمثال ص ٣٠ عدد ٥:

(كل كلمة من الله نقية).

مما تقدم يتضح أن كلمة الله نقية وكلمة الشيطان رديئة ولذلك لزم إضافة الكلمة المعبر بها عن المسيح بالوعد والبشرى به لله تعالى.

الفصل الثاني

ومع ذلك فإن النصارى يأخذون من تعبير القرآن الكريم بأن إلقاء الكلمة إلى السيدة مريم يرمي إلى أن هذه الكلمة جوهر مستقل وليس معناها الوعد كما سبق شرحه.

الـــرد:

لكن يرد على ذلك بأن الأسفار عبرت عن الكلمة بأنها ترسل، وتعطي، وتعمل، فكذلك يجوز أن يعبر عنها بأنها تُلقى.

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٥.

(٣) سورة النساء: الآية ١٧١.

١ ــ فقد ورد في مزمور ١٠٧ عدد ١٥:

(يرسل كلمته في الأرض، سريعاً جداً يجري قوله).

٢ ــ ورد في مزمور ١٠٧ عدد ٢٠:

(أرسل كلمته فشفاهم).

٣ ــ ورد في مزمور ١٤٧ عدد ١٦، ١٨:

(يلقي جليده كفتات قدّام برده من يقف؟! يرسل كلمته فيذيبها. يُهِبُّ بريحه فتسيل المياه).

٤ ــ ورد في مزمور ٦٨ عدد ١١:

(الرب يعطي كلمة المبشرات بها جند كثير).

٥ ــ ورد في سفر أشعيا ص ٥٥ عدد ١١:

(هكذا تكون التي تخرج من فمي، لا ترجع إليَّ فارغة بل تعمل ما سررت به تنجح فيما أرسلتها له).

فقد عبر عن الكلمة التي هي معنى من المعاني بأنها:

بأنها ترسل.

وأنها تعطي.

وأنها تعمل.

فكما جاز التعبير عنها بذلك جاز التعبير عن الكلمة، وهي كلمة الوعد بالمسيح بأنها تُلْقَى.

الفصل الثالث

الكلمة ومعناها، على ضوء القرآن الكريم

الكلمة من المنظور الإسلامي لها صفة متميزة تحمل خصائصها الدالة، وملامحها المتميزة طبقاً للآتي:

١ ــ فالكلمة كما يصورها القرآن الكريم، تلخيص لتراسل السماء والأرض في بواكير الوجود، لاستنقاذ أبـي البشرية آدم عليه السلام، قال تعالى:

﴿فَتَلَقَّى آدمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلتَوَّابُ ٱلرَّحِيمِ﴾[١].

٢ ــ وهي إجمال لفلسفة الإسلام كدين شمولي تكاملت حلقاته وتنامت، قال تعالى:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِه﴾[٢].

٣ ــ وهي هتاف للانضواء تحت فهم كلي للحقائق الكبرى، قال تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالَوا إِلَى كَلِمَةٍ سواءٍ بَيْننا وَبَيْنكُمْ أنْ لا نَعْبُدَ إلاّ اللَّهَ، وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُون الله، فَإِنْ تَوَلَّوا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُون﴾[٣].

٤ ــ والكلمة سلاح جمعي ذو حدين مضيء ومعتم، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَاء، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، وَيَضْرِبُ اللَّهُ ٱلأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ ٱلأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرار﴾[٤].

٥ ــ والكلمة بدء لا ينتهي ومداد لا يجف، قال تعالى:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّـي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّـي، وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾[٥].

وقـال تعـالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي ٱلأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ، وَٱلْبَحْرُ يمدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيم﴾[٦].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٧.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١١٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٤) سورة إبراهيم: الآيات ٢٤، ٢٥، ٢٦.

(٥) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

(٦) سورة لقمان: الآية ٢٧.

٦ ــ وهي ميدان الحق وسيف العدالة، قال تعالى:

﴿وَيُحِقُّ الله ٱلْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[١].

٧ ــ وهي طائر أبيض الجناحين قادرٌ أبداً على اختراق الآفاق والسماوات، قال تعالى:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[٢].

٨ ــ والكلمة قد تصل في قدسيتها إلى ذِرْوَةٍ يتسامى للانتماء إليها الأنبياء والمرسلون ومثالها المسيح عيسى بن مريم رسول الله لبني إسرائيل، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾[٣].

٩ ــ والكون كله هو أثر لكلمة واحدة تنتهي إلى الله الواحد الأحد هي كلمة (كن)، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إذا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٤].

١٠ ــ وعند فناء هذا الكون وفناء خلائقه، يكون ذلك أثر كلمة واحدة من الله أيضاً، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى:

﴿وَهوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّموَاتِ وَٱلأَرْضَ بِالْحَقّ، وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ، قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ، وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصّورِ، عَالَمُ ٱلْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[٥]

• • •

(١) سورة يونس: الآية ٨٢.

(٢) سورة فاطر: الآية ١٠.

(٣) سورة النساء: الآية ١٧. انظر مجلة الوعي الإسلامي العدد ١٢٨، ١١ غرة شعبان سنة ١٣٩٥، أغسطس سنة ١٩٧٥، بحث الأستاذ محمد أحمد العزب تحت عنوان (الكلمة من المنظور الإسلامي).

(٤) سورة يٰس: الآيتان ٨٢، ٨٣.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٧٣.

الباب الخامس

في

مناقشة لفظ (الروح)

(الـروح)
ومفهـوم النصـرانية عـنها

يقول النصارى بأن المسيح هو الله ويؤيدون زعمهم بقولهم الآتي:

إن المسيح روح من الله ــ وروح الله هي الله ــ فالمسيح إذا هو الله.

الــــرد:

ويرد على ذلك بالآتي:

إن علماء الأديان وغيرهم قرروا أن الروح الإلهامي ينقسم إلى قسمين:

الأول: روح هو مصدر الخير.

والثاني: روح هو مصدر الشر.

ولهما أسماء كثيرة حسب التقسيم الآتي:

الأول ــ روح الخير وروح الضلال:

فيقال للأول روح الحق أو الخير وللثاني روح الضلال أو الشر، والأدلة على ذلك هي:

١ ــ ورد بإنجيل يوحنا ص ١٤ عدد ١٧:

(روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله).

٢ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ٦:

(من هذا تعرف روح الحق وروح الضلال).

٣ ــ ورد برسالة تيموثاوس الأولى ص ٤ عدد ١ :
(تابعين أرواحاً مضلة).

الثاني ــ الروح الطاهر والروح النجس :

ويسمى الأول روحاً طاهراً وقدوساً، والثاني يسمى روحاً نجساً:

١ ــ فقد ورد في مزمور ٥١ عدد ١١ قوله:
(وروحك القدوس لا تنزعه مني).

٢ ــ ورد في رسالة بولس إلى تسالونيكي الأولى ص ٤ عدد ٨ قوله:
(بل الله الذي أعطانا روحه القدوس).

٣ ــ ورد بإنجيل لوقا ص ١ عدد ١٥ قوله:
(لأنه كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس).

٤ ــ ورد برؤيا يوحنا ص ١٨ عدد ٣:
(ومحرساً لكل روح نجس).

٥ ــ ورد بإنجيل متى ص ١٢ عدد ٤٣ :
(إذا خرج الروح النجس من الإنسان).

٦ ــ ورد بإنجيل مرقص ص ١ عدد ٢٣:
(وكان في مجمعهم رجل به روح نجس).

٧ ــ ورد بإنجيل مرقص ص ١ عدد ٢٦:
(فصرعه الروح النجس).

٨ ــ ورد بإنجيل مرقص ص ٣ عدد ٣٠:
(لأنهم قالوا إن معه روحاً نجساً).

٩ ــ ورد بإنجيل مرقص ص ٥ عدد ٢٨:
(يا أيها الروح النجس).

١٠ ــ ورد بإنجيل لوقا ص ٩ عدد ٤٢ :

(فانتهز يسوع الروح النجس).

١١ ــ ورد برؤيا يوحنا اللاهوتي ص ١٦ عدد ١٣ :

(ثلاثة أرواح نجسة).

والخلاصة:

يتبيَّن من ذلك أنه يوجد طبقاً لما ورد في الأسفار السابقة روح طاهر وروح نجس.

الثالث ــ الروح الرباني والروح الشيطاني :

والأدلة على ذلك الآتي:

١ ــ ورد في سفر العدد ص ١١ عدد ٢٩ :

(يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذاً جعل الرب روحه عليهم).

٢ ــ ورد بسفر أعمال الرسل ص ٥ عدد ٩ :

(ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب).

٣ ــ ورد بسفر أشعيا ص ٦١ عدد ١ :

(روح السيد الرب عليّ).

٤ ــ ورد بسفر أشعيا ص ١١ عدد ١ :

(ويحل عليه روح الرب).

٥ ــ ورد برؤيا يوحنا ص ٣ عدد ١ :

(هذا يقوله الذي له سبعة أرواح الله).

٦ ــ ورد برؤيا يوحنا ص ٤ عدد ٥ :

(أمام العرش سبعة مصابيح نار متقدة هي سبعة أرواح الله).

٧ ــ ورد برؤيا يوحنا ص ٥ عدد ٦ :

(سبع أعين هي سبعة أرواح الله).

٨ ــ ورد بسفر الأيام الثاني ص ٢٤ عدد ٢٠:

(وليس روح الله زكريا).

٩ ــ ورد بسفر رؤيا يوحنا ص ٨ عدد ٩:

(أن كان روح الله ساكناً فيكم).

١٠ ــ ورد بإنجيل لوقا ص ٤ عدد ٣٣:

(وكان في الجمع رجل به روح شيطان).

١١ ــ ورد برؤيا يوحنا ص ١٦ عدد ١٤:

(فإنهم أرواح شياطين).

١٢ ــ ورد بسفر أعمال الرسل ص ١٦ عدد ١٦:

(أن جارية بها روح عرافة) أي كان فيها روح شيطان.

فمما تقدم يتبيَّن أن هناك روح رباني وروح آخر شيطاني.

الرابع ــ الروح السماوي والروح الأرضي:

ويسمى الأول روحاً سماوياً علوياً فوقياً، ويسمى الثاني روحاً أرضياً سفلياً تحتياً. والأدلة هي الآتي:

١ ــ ورد برسالة يعقوب ص ١ عدد ١٧:

(كل عطية صالحة، وكل موهبة تامة، هي من فوق نازلة من عند أبـي الأنوار).

أي روح نازلة من فوق.

٢ ــ ورد بإنجيل لوقا ص ٢٤ عدد ٣٧، ٣٨:

(فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً فقال لهم ما بالكم مضطربين).

والمراد هنا الروح الأرضي، لأنهم جزعوا وخافوا وظهر له أنهم كانوا مضطربين.

٣ ــ ورد بسفر زكريا ص ١٣ عدد ٢:

(والروح النجس من الأرض).

٤ ــ ورد برسالة يعقوب ص ٣ عدد ١٥ :

(ليست هذه الحكمة نازلة من فوق بل هي أرضية).

أي أنها روح أرضية.

الخامس ــ الروح الصَّالح والروح الرديء :

ويعبر عن الروح الصالح بالمستقيم ونحوها ويعبر عن الروح الرديء بالنفساني ونحوها، والأمثلة كالآتي:

١ ــ ورد بمزمور ٥١ عدد ١٠ :

(وروحاً مستقيماً جدد في داخلي).

٢ ــ ورد بمزمور ١٤٣ عدد ١٠ :

(روحك الصالح يهديني).

٣ ــ ورد بسفر نحميا ص ٩ عدد ٢٠ :

(وأعطيتهم روحك الصالح لتعليمهم).

٤ ــ ورد بسفر دانيال ص ٥ عدد ١٢ :

(من حيث أن روحاً فاضلة... وجدت في دانيال).

٥ ــ ورد بمزمور ٥١ عدد ١٢ :

(وبروح منتدبة أعضدني).

٦ ــ ورد بسفر القضاة ص ٩ عدد ٢٣ :

(وأرسل الرب روحاً رديئاً بين أبيمالك وأهل شكيم)[١].

٧ ــ ورد بسفر أخيار الأيام الثاني ص ١٨ عدد ٢٢ :

(والآن هو ذا قد جعل الرب روح كذب في أفواه أنبيائك هؤلاء).

٨ ــ ورد برسالة بولس الأولى لتيموثاوس ص ١ عدد ٧ :

(لأن الله لم يعطنا روح الفشل).

---

(١) وأبيمالك هو ابن جدعون، وكان القاضي الخامس لبني إسرائيل كما أنه كان أحد ملوكهم على شكيم والتي حلت محلها مدينة السامرة حالياً.

السادس ــ الروح الهادي والروح المضل:

١ ــ ورد بمزمور ١٤٣ عدد ١٠:

(روح الصالح يهديني).

٢ ــ ورد برسالة بولس الأولى لتيموثاوس ص ٤ عدد ١:

(تابعين أرواحاً مضلة).

السابع ــ روح الخير وروح الشر:

إن أنبياء الله الصادقين، ومن يلحق بهم من أهل الولاية الربانية، معهم روح الرب، أي:

١ ــ روح الله، انظر سفر العدد ص ١١ عدد ٢٩:

(يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذاً جعل الرب روحه عليهم).

٢ ــ وهي المسماة الروح الخيرية والروح السماوية العلوية، (انظر رسالة يعقوب ص ١ عدد ١٧).

٣ ــ والروح الربانية الإلهية، انظر أشعيا ص ٦١ عدد ١، سفر أخبار الأيام الثاني ص ٢٤ عدد ٢٠.

٤ ــ والروح المستقيمة، انظر مزمور ٥١ عدد ١٠.

٥ ــ والروح القدسية، انظر مزمور ٥١ عدد ١١.

٦ ــ والروح الصالح، انظر مزمور ١٤٣ عدد ١٠.

٧ ــ روح الحق، انظر رسالة يوحنا والأولى ص ٤ عدد ٦.

٨ ــ والروح الفاضلة، انظر سفر دانيال ص ٦ عدد ٣.

وبالعكس:

فمدعو النبوة كذباً، ومن ينخرط في اتجاههم من الدجالين والعرافين والمشعوذين والأفاكين، معهم روح من الشيطان، وتدعى طبقاً لما يأتي:

١ ــ روحاً شريرة ــ انظر سفر أعمال الرسل ص ١٩ عدد ١٥.

٢ ــ روحاً سفلية أرضية ــ انظر سفر زكريا ص ١٣ عدد ٢.

٣ ـ روحاً شيطانية ـ وانظر سفر رؤيا يوحنا ص ١٦ عدد ١٤.

٤ ـ وروحاً نجساً ـ انظر سفر رؤيا يوحنا ص ١٨ عدد ٣.

٥ ـ وروح الضلال ـ انظر رسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ٦.

٦ ـ والروح الرديء ـ انظر سفر القضاة ص ٩ عدد ٢٣.

٧ ـ وروح الكذب ـ انظر سفر أخبار الأيام الثاني ص ١٨ عدد ٢٢.

٨ ـ وقد يطلق على هذه الروح الشريرة لفظ حية كما هو وارد في سفر التكوين ص ٣ عدد ١.

٩ ـ أرواح شر ـ كما هو وارد في إنجيل متى ص ١٢ عدد ٤٥ وإنجيل لوقا ص ١١ عدد ٢٦ ونصه:

(ثم يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح أخر أشر منه).

خلاصة البحث السابق

على ضوء ما ورد بالقرآن الكريم

إن إقرار القرآن الكريم بشأن المسيح عليه السلام بأنه ﴿روح منه﴾، المراد بذلك أن المسيح روح عالية قدسية خيرية علوية، وليس هو من الأرواح الشيطانية النجسة الأرضية الشريرة.

قال تعالى:

﴿يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينكم، وَلا تَقُولُوا عَلَى الله إلاَّ ٱلْحَقَّ، إنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ الله وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ وروحٌ مِنْهُ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ، إنَّمَا الله إلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانه أَنْ يَكُون لَهُ وَلَدٌ، لَهُ مَا فِي ٱلسَّموَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْض، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾[1].

* * *

(١) سورة النساء: الآية ١٧١.

فـصـل أوّل:

هل القرآن الكريم هو فقط الذي اقتصر على تعبير روح منه؟ أم أن الأسفار ورد بها ما يشبه ذلك التعبير؟

والإجابة على ذلك: هو أن الأسفار المقدسة ورد بها ما يشبه ذلك التعبير طبقاً للآتي وهي على المسيح وغيره:

١ ـ فقد ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ١:

(أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم).

فهذا القول ـ **لا تصدقوا كل روح**، **يفيد أن الروح شخص**، **فهو يصدق** إذا قامت البراهين على صدقه، ويكذب إن دلت الأدلة على كذبه.

وقد ذكر القسم الأول من الصادقين في قوله:

(هل هي من الله).

وذكر القسم الثاني من الكاذبين في قوله:

(لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم).

٢ ـ ورد في إنجيل لوقا ص ٩ عدد ٥١ ـ ٥٦ قوله:

(حين تمت الأيام لارتفاعه ـ أي لارتفاع المسيح ـ ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم، وأرسل أمام وجهه رسلاً، فذهبوا ودخلوا قرية للسامريين حتى يعدوا له منزلاً فيها، فلم يقبلوه، لأن وجهه كان متجهاً نحو أورشليم، فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا، قالا: يا رب أتريد أن تأمر بأن تنزل نار من السماء فتفنيهم، كما فعل إيليا أيضاً؟ فالتفت وانتهرهما، وقال: لستما تعلمان من أي روح أنتما، لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص)، فقوله: (لستما تعلمان من أي روح أنتما)، يريد أنهما من روح اللطف والحلم والعفو والمحبة، فيناسب أن لا تقاوما البخل بالشر، وليسا من روح القسوة والانتقام حتى يطلبا خراب قرية لسوء أدب أهلها في أداء آداب الضيافة.

وغني عن البيان أن لا يقال: من أي روح هو إلاَّ إذا كان هو نفس ذلك الروح الخيري أو هو نفس الروح الشري مبالغة.

٣ ــ ويوضح المعنى بجلاء ما ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ٤ ــ ٦:

(أنتم من الله أيها الأولاد، وقد غلبتوهم لأن الذي فيكم أعظم من الذي في العالم، هم من العالم من أجل ذلك يتكلمون من العالم، والعالم يسمع لهم، نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا، ومن ليس من الله لا يسمع لنا).

فقوله: (وأنتم من الله) و (نحن من الله) معناه أننا وإياكم أرواح هادية مرشدة علوية خيرية.

وقوله: (هم من العالم) و (من ليس من الله) معناه أنهم أرواح ضالة مضلة، أرضية شيطانية شريرة.

٤ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ٩ عدد ١٦:

(فقال قوم من الفريسيين: هذا الإنسان ليس من الله، لأنه يخالف السبت، آخرون قالوا: كيف يقدر إنسان خاطىء أن يعمل مثل هذه الأعمال، وكان بينهم انشقاق).

فيُفهم من هذا القول الاصطلاح الذي كان جارياً بين اليهود، وهو أن الرجل البار يقال فيه: إنه من الله بخلاف الرجل الخاطىء، فيقال فيه: إنه ليس من الله.

وعلى ذلك الاصطلاح نزلت الآية القرآنية الشريفة: ﴿وروح منه﴾.

٥ ــ ورد بسفر التكوين ص ٢٣ عدد ٦ قول بني حث لإبراهيم عليه السلام:

(أنت رئيس من الله)[١].

والنتيجة على ضوء ما ذكر:

مما يتقدم يتضح كما أسلفنا أن معنى (وروح منه) الواردة في القرآن الكريم، أنه روح خيرية قدسية، لا أن تكون جزءاً منه تعالى وإلاَّ:

---

(١) بنو حث هم من شعوب آسيا الصغرى القديمة، وكانت مملكتهم تحوي القسم الأكبر من بلاد الأناضول، وتوطن جماعة منهم أرض فلسطين في بلدة الخليل، وكانت تسمى (حبرون) في أيام إبراهيم عليه السلام.

.. للزم أن يكون جميع الأنبياء الصادقين (الذين هم أرواح من الله) أن يكونوا أجزاء من الله بحكم قول يوحنا في رسالته الأولى ص ٤ عدد ١:

.. للزم أن يكون جميع النصارى أجزاء من الله بحكم قول يوحنا السابق في رسالته الأولى ص ٤ عدد ٤.

.. للزم أن يكون إبراهيم جزءاً من الله بحكم قول بني حث السابق ذكره في سفر التكوين ص ٢٣ عدد ٦.

وذلك كله ظاهر البطلان.

* * *

فصل ثاني:

إذا كان معنى ﴿وروح منه﴾ لا يفيد إلاَّ أن المسيح روح قدسية علوية خيرية، فما معنى قول التلاميذ الوارد عنه في إنجيل يوحنا في إصحاح ١٦ عدد ٣٠ ونصه:

(ولهذا نؤمن أنه من الله خرجت)؟

وللإجابة على ذلك:

لا بد من الرجوع إلى ما قبل هذا الكلام، أي الرجوع إلى كلام السيد المسيح نفسه، الوارد في ص ١٦ عدد ٢٨، وهو نفس الإصحاح السابق: (خرجت من عند الآب) أي أن الآب أرسلني[1]، فالمسيح لما قال لتلاميذه هذا القول بهذا المعنى، أجابه تلاميذه بالمقابلة، بأنهم آمنوا بمضمون هذا القول فقالوا: (نؤمن أنه من الله خرجت)، أي (من عند الله خرجت) حسب قول المسيح، ولما كان المسيح عليه السلام أفصح من تلاميذه، وأقدر في الإفهام، وأحرص على الاحتياط، والدقة في التعبير، أتى بلفظ (عند)، وأما التلاميذ، فاتكالاً منهم على هذه القرينة، اختصروا في القول فحذفوها.

* * *

(١) هذا التفسير من أقوال الدكتور وليم أدي الأمريكاني في كتابه الكنز الجليل في تفسير الإنجيل.

فصل ثالث:

لماذا وصف القرآن الكريم المسيح بلفظ ﴿وروح منه﴾ وحده دون غيره من الأنبياء؟

والجواب على ذلك:

أولاً: هو كثرة دوران لفظ روح على الألسنة قبل عصر المسيح عليه السلام، وخلاله، وبعده.

فلفظ روح: كان دائراً كثيراً على الألسنة قبيل عصر المسيح، وأكثر منه في عصره، وأكثر كثيراً جداً منه بعد عصره، وكان حديث بني إسرائيل، إذ كان يروق لذوقهم التعبير بهذا اللفظ عند كل شيء فتراهم يقولون:

١ ــ (وأرسل الرب روحاً ردياً). انظر سفر القضاة ص ٩ عدد ٢٣.

٢ ــ (فمرت روح على وجهي). انظر سفر أيوب ص ٤ عدد ١٥.

٣ ــ (وروح من فهمي يجيبني). انظر سفر أيوب ص ٢٠ عدد ٣.

٤ ــ (هي روح منكسرة). انظر مزمور ٥١ عدد ١٧.

٥ ــ (فدخل في روح). انظر سفر حزقيال ص ٢ عدد ٢.

٦ ــ (لأن فيه روحاً فاضلة). انظر سفر دانيال ص ٦ عدد ٣.

٧ ــ (المولود من الروح هو روح). انظر إنجيل يوحنا ص ٢ عدد ٦.

٨ ــ (الله روح). انظر إنجيل يوحنا ص ٤ عدد ٢٤.

٩ ــ (اثنين من روحك عليَّ). انظر سفر الملوك الثاني ص ٢ عدد ٩.

١٠ ــ (لكي تترنم لك روحي). انظر مزمور ٣٠ عدد ١٢.

١١ ــ (ولا في روحه غش). انظر مزمور ٣٢ عدد ٢.

١٢ ــ (لم تكن روحه أمينة لله). انظر مزمور ٧٨ عدد ٨.

١٣ ــ (أين أذهب من روحك). انظر مزمور ١٢٩ عدد ٧.

١٤ ــ (روحك الصالح يهديني). انظر مزمور ١٤٣ عدد ١٠.

١٥ ــ (الله الذي أعبده بروحي). انظر رسالة روية ص ١ عدد ٩.

١٦ ـ (لم تكن لي راحة في روحي). انظر رسالة بولس إلى كورنثوس الثانية ص ٢ عدد ١٣.

١٧ ـ (الذين سلامتهم روح حكمة). انظر سفر الخروج ص ٢٨ عدد ٣.

١٨ ـ (روح أبيكم الذي يتكلم فيكم). انظر إنجيل متى ص ١٠ عدد ٢٠.

١٩ ـ (ويتقدم أمامه بروح إيلياء). انظر إنجيل لوقا ص ١ عدد ١٧.

٢٠ ـ (جارية بها روح عرافة). انظر سفر أعمال الرسل ص ١٦ عدد ١٦.

٢١ ـ (أعطاهم الله روح سبات). انظر رسالة بولس إلى رومية ص ١١ عدد ٨.

٢٢ ـ (روح الوداعة). انظر رسالة بولس إلى غلاطية ص ٦ عدد ١.

٢٣ ـ (روح الإيمان). انظر رسالة بولس إلى كورنثوس الثانية ص ٤ عدد ١٣.

٢٤ ـ (وختم بروح الموعد). انظر الرسالة إلى أفسس الأولى ص ١ عدد ١٣.

٢٥ ـ (أكلوا طعاماً واحداً روحياً). انظر رسالة كورنثوس الأولى ص ١٠ عدد ٣.

٢٦ ـ (شربوا شراباً واحداً روحياً). انظر رسالة كورنثوس الأولى ص ١٠ عدد ٤.

٢٧ ـ (بيناً روحياً). انظر الرسالة الأولى لبطرس ص ٢ عدد ٥.

٢٨ ـ (وقد زرعنا لكم الروحيات). انظر رسالة كورنثوس الأولى ص ٩ عدد ١١.

٢٩ ـ (أما التجديف على الروح). انظر إنجيل متى ص ١٢ عدد ٣١[١].

٣٠ ـ (حتى نعبد بجسده الروح). انظر رسالة بولس إلى رومية ص ٧ عدد ٦.

٣١ ـ (ببرهان الروح). انظر رسالة كورنثوس الأولى ص ٢ عدد ٤.

٣٢ ـ (لا الحرف بل الروح). انظر رسالة كورنثوس الثانية ص ٣ عدد ٦.

٣٣ ـ (طوبى للمساكين بالروح). انظر إنجيل متى ص ٥ عدد ٣.

٣٤ ـ (ختان القلب بالروح). انظر رسالة بولس إلى رومية ص ٢ عدد ٢٩.

وخلاصة ما تقدَّم:

أولاً: فإن تعبيرات اليهود وقتئذٍ كلها تدور حول لفظ الروح حتى الطعام والشراب والزرع فتراهم يقولون طعام روحيّ، شراب روحيّ، زرع روحيّ.

---

(١) التجديف يعني الكلام بما لا يليق كما قدمنا آنفاً.

ولذلك ورد وصف الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم للسيد المسيح عليه السلام بأنه روح منه.

ثانياً: لرد طعن اليهود في المسيح بقولهم إن فيه روح شيطانية:

إذ أن أعداء المسيح المعاصرين له من اليهود، كانوا غير مصدقين أن ما به روح خيريّ قدسيّ، بل كانوا يعتقدون أنه بالذات روح شيطانيّ نجس.

١ ــ ففي إنجيل مرقص ص ٣ عدد ٢٢ يقول عن المسيح عليه السلام:

(وأما الكتبة الذين نزلوا من أورشليم فقالوا: إن معه بعلزبول، وأنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين).

٢ ــ كما ورد بإنجيل مرقص للمذكور ص ٣ عدد ٣٠ عن المسيح عليه السلام قولهم:

(لأنهم قالوا إن معه روحاً نجساً).

٣ ــ ورد بإنجيل يوحنا ص ٧ عدد ٢٠ قولهم عن المسيح عليه السلام:

(أجاب الجميع وقالوا بك شيطان).

٤ ــ ورد بإنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٤٨ قولهم عن المسيح أيضاً:

(فأجاب اليهود، وقالوا له: ألسنا نقول حقاً إنك سامري وبك شيطان).

٥ ــ ورد بإنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٥٢ عنه أيضاً قولهم:

(فقال كثيرون منهم به شيطان وهو يهذي).

٦ ــ ورد بإنجيل متى ص ٩ عدد ٣٤ عنه قولهم:

(أما الفريسيُّون فقالوا برئيس الشياطين يخرج الشياطين).

٧ ــ ورد بإنجيل متى ص ١٢ عدد ٢٤:

(وأما الفريسيُّون فلما سمعوا، قالوا: هذا لا يخرج الشياطين إلاَّ بعلزبول رئيس الشياطين)[١].

---

(١) بعلزبول هو اسم إلّه العقرونيين نسبة إلى بلده عقرون، وتسمى حالياً عاقر وهي قرية قريبة من يافا =

ثالثاً: لرد طعن أقرباء السيد المسيح فيه بأنه مختل العقل.

لم يكن اليهود وحدهم هم الذين رموا المسيح بما رموه به بل اشترك معهم أقرباء المسيح.

١ ــ فقد ورد في إنجيل مرقص ص ٣ عدد ٢١ عن أقرباء المسيح:

(خرجوا ليمسكوه لأنهم قالوا إنه مختل العقل).

واختلال العقل كان معروفاً في ذلك العصر، وشائعاً بين القوم بأنه من أثر الأرواح النجسة، وشاع هذا الطعن، وراجت سوقه بين أعداء المسيح، وتلقاه خلفهم عن سلفهم جيلاً بعد جيل، حتى عصر رسولنا محمد ﷺ، فنطق القرآن الكريم في شأن المسيح عليه السلام بما ينفي عنه وصمة ما ألصقه أعداؤه به قائلا: ﴿وروحٌ منه﴾، مقرراً أنه ليس هو كما يقول أعداؤه بأنه روح شيطانية أرضية شريرة، بل هو روح خيرية علوية قدسية.

فالإتيان بكلمة (منه) بعد كلمة (روح) إنما هو للإلماع بهذا المعنى اللطيف، ورداً على اليهود الذين كانوا يلقبونه بـ (بعلزبول) طبقاً لما ورد عنهم في إنجيل متى ص ١٠ عدد ٢٥.

* * *

فصل رابع:

معنى الإضافة إلى الله:

(أ) إن إضافة الشيء إلى الله في الأسفار الكتابية هي إضافة تشريف، وليس هذا الأسلوب مستحدثاً ولا من مبتكرات اللغة العربية وحدها، بل هو قديم جداً.

فقد قال الأستاذ إبراهيم الحوراني في شرحه للفصل الأول من سفر التكوين[١]:

= إلى الجنوب الشرقي، وتبعد عنها حوالي ١٢ ميلاً.. ولفظه الأصلي بعلزيوب أي إلّه الذباب، وسموه كذلك لاعتقادهم أنه يقيهم من كثرة الذباب. لكن اليهود سموا به الشيطان وبدلوا حرف الباء بحرف اللام لإهانته شر إهانة، ثم سمّوا المسيح به لإلصاق الإهانة به.

(١) الأستاذ إبراهيم الحوراني هو المترجم لكتاب السنن القويم في تفسير أسفار الكليم.

(اعتاد العبرانيون أن ينسبوا إلى الله ما يريدون تعظيمه) طبقاً للآتي:

١ ــ فقد ورد في سفر التكوين ص ١ عدد ٢:

(وروح الله يرف على وجه الماء). والمعنى أنها ريح عظيمة.

٢ ــ ورد في سفر التكوين ص ٢٣ عدد ٦ عن بني حث وقولهم لإبراهيم:

(أنت رئيس من الله). أي رئيس عظيم.

٣ ــ ورد في مزمور ٣٦ عدد ٦:

(عدلك مثل جبال الله). أي مثل جبال عظيمة.

٤ ــ ورد في مزمور ٨٠ عدد ١٠:

(أغصانها أرز الله). أي أنه أرز كبير الحجم.

٥ ــ ورد في سفر صموئيل الأولى ص ٢٦ عدد ١٢:

(لأن سبات الرب وقع عليهم). أي وقع عليهم نوم ثقيل عميق.

٦ ــ ورد بسفر العدد ص ١١ عدد ٢٩:

(إذا جعل الرب روحه عليهم). أي روحاً فاضلة ملهمة.

٧ ــ ورد في مزمور ٥١ عدد ١١:

(وروحك القدوس لا تنزعه مني). أي الروح الفاضل الجيد لا تنزعه مني.

٨ ــ ورد في مزمور ١٤٣ عدد ١٠:

(وروح الصالح يهديني). أي روح مرشد قويم يهديني.

٩ ــ ورد في سفر أشعيا ص ٤٢ عدد ١:

(وضعت روحي عليه). أي وضعت الروح الملهمة القدسية عليه.

١٠ ــ ورد في سفر أشعيا ص ٥٩ عدد ٢١ خطاباً من الله لمدينة صهيون وهي القدس:

(روحي الذي عليك). أي روح عظيم.

١١ ـ ورد في مزمور ١٠٤ عدد ٣٠:

(ترسل روحك فتخلق ويُجَدَّد وجه الأرض). أي روح حياة منعشة عظيمة.

١٢ ـ ورد في سفر حزقيال ص ٣٦ عدد ٢٧ خطاباً لبني إسرائيل:

(واجعل روحي في داخلكم). أي روح حياة اجتماعية ودولة عظيمة.

١٣ ـ ورد بسفر التكوين ص ٣٠ عدد ٨ عن راحيل:

(مصارعات الله قد صارعته). أي مصارعات شديدة عظيمة.

انتهى كلام الأستاذ إبراهيم الحوراني.

* * *

(ب) أويقال: إن إضافة الروح إلى الله إضافة احتراز عما يقوله اليهود في المسيح، إذ كانوا يلقبون المسيح بأنه (بعلزبول) أي شيطان، يريدون أنه روح من الشيطان، فرد القرآن عليهم بأنه روح من الله ولهذه الإضافة نظائر كثيرة منها:

١ ـ ما ورد في إنجيل متى ص ١٠ عدد ٢٠ من قول المسيح:

(بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم).

٢ ـ ورد في رسالة بولس لأهل رومية ص ٨ عدد ٩ قول بولس لهم:

(إن كان روح الله ساكناً فيكم).

٣ ـ ورد في رؤيا يوحنا ص ٣ عدد ١:

(هذا يقوله الذي له سبعة أرواح الله).

٤ ـ ورد في رؤيا نحميا ص ٩ عدد ١٠ قول نحميا:

(وأشهدت عليهم بروحك هن يد أنبيائك)[١].

٥ ـ ورد برسالة بولس لأهالي أفسس ص ٣ عدد ١٦:

---

(١) ونحميا زعيم من زعماء اليهود حكم أورشليم بعد رجوع اليهود من السبي من بابل مدة ١٢ سنة وله سفر في الكتاب المقدس.

(أن تتأيدوا بالقوة بروحه)[1].

٦ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ١٣ :

(أنه قد أعطانا من روحه).

٧ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ٤ قوله :

(أنتم من الله أيها الأولاد).

٨ ــ وفي نفس تلك الرسالة ص ٤٤ عدد ٥ قوله :

(نحن من الله).

٩ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ١ قول يوحنا :

(لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله).

١٠ ــ ورد برسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ص ١١ عدد ١٢ :

(ولكن جميع الأشياء هي من الله).

* * *

فصل خامس :

بيان عما ورد في القرآن الكريم من إضافة الشيء إلى الله :

١ ــ ورد قوله تعالى عن آدم عليه السلام في سورة الحجر: الآية ٢٩ :

﴿فَإِذا سَوَّيْتُه وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾. أي روح حياة عظيمة.

٢ ــ ورد قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾، في سورة الشمس: الآية ١٣ .

٣ ــ ورد قوله تعالى: ﴿أَنْ طَهِّرا بَيْتِي﴾، في سورة البقرة: الآية ١٢٥ .

٤ ــ ورد قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي ٱلسَّموات وَمَا فِي ٱلْأَرْض جَمِيعاً مِنه﴾، في سورة الجاثية: الآية ١٣ .

---

(١) أفسس مدينة قديمة في آسيا الصغرى قرب مصب نهر سويسترو على بعد ٣٠ ميلاً من بلدة إزمير جنوباً.

٥ ــ ورد قوله تعالى: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾، في سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

وقد أضاف الله كل ما تقدم له تعالى إضافة تعظيم.

* * *

فصل سادس:

(أ) ويقول النصارى إنه لا فرق بين المسيح، وبين المَلَك وبين ما به الحياة، لأن لفظ (الروح) مشتركة الإطلاق عليهم ويدللون بالآتي:

١ ــ ما ورد في إنجيل يوحنا ص ٤ عدد ٢٤:

عن الله (الله روح).

٢ ــ ورد في رسالة كورنثوس الأولى أيضاً ص ٦ عدد ١٧ عن المسيح:

(وأما من التصق بالرب فهو روح).

كما ورد في رسالة كورنثوس الأولى أيضاً ص ١٥ عدد ٤٥:

(صار آدم الإنسان الأول نفساً حية وآدم الأخير روحياً محيياً).

وورد في رسالة كورنثوس الثانية ص ٣ عدد ١٧:

(أما الرب فهو الروح).

٣ ــ ورد في سفر حزقيال ص ٨ عدد ٣ عن المَلَك:

(ورفعني روح بين الأرض والسماء).

كما ورد في سفر زكريا ص ٦ عدد ٥:

(هذه هي أرواح السماء الأربع).

ورد في رسالة بولس للعبرانيين ص ١ عدد ١٤:

(أليس جميعهم أرواحاً).

٤ ــ ما ورد في سفر التكوين ص ٦ عدد ٣ عما به الحياة:

(فقال الرب لا يزين روحي في الإنسان إلى الأبد).

وورد في مزمور ١٠٤ عدد ٢٩:

(تنزع أرواحها فتموت).

* * *

(ب) الرد على ذلك:

إن الأسفار أطلقت لفظ الروح على عدة مسميات، تبلغ الستة وعلى سائر الأنبياء والمرسلين طبقاً للآتي:

أولاً ــ إطلاق لفظ الروح على الشيطان:

١ ــ فقد ورد في إنجيل مرقص ص ٩ عدد ١٧:

(ابني به روح أخرس وحيثما أدركه يمزقه)[١].

٢ ــ ورد بإنجيل لوقا ص ٩ عدد ٣٩:

(وها إنَّ روحاً يأخذه فيصرخ بغتة ويخبطه الروحُ فيُزْبد).

٣ ــ ورد بإنجيل لوقا ص ٩ عدد ٤٢:

(فانتهر يسوع الروح النجس).

٤ ــ ورد بإنجيل مرقص ص ٣ عدد ٣٠:

(لأنهم قالوا إن معه روحاً نجسة).

وقد قال علماء اللغة: إن كلمة (روحاني) كما هي نسبة إلى المَلَك هي نسبة إلى الجن، كما تطلق على ما به الحياة الإنسانية.

وكلمة جان تطلق في العربية على الشيطان، وفي اللغة الفارسية واللغة التركية تطلق على ما به الحياة الإنسانية.

* * *

ثانياً ــ إطلاق الروح على الريح:

ورد في سفر التكوين ص ١ عدد ٢:

(وروح الله يرف على وجه المياه).

---

(١) الروح الأخرس يعني الشيطان.

قال مفسرو اليهود والنصرانية: إن الروح هنا ريح عظيمة بدد الله بها ظلمات القمر، وحقيقة الأمر أن الروح والريح شيء واحد، فالعرب كسروا الراء وقلبوا الواو ياء فقالوا: ريحاً.

ثالثاً ــ إطلاق الروح على التعاليم الموحى بها:

ورد في إنجيل متى ص ٦ عدد ٦:
(لا تعطوا القدس للكلاب).

يعني الروح القدس كما قاله الشارحون والمراد منه التعاليم الموحى بها.

وشبه ذلك ما ورد في القرآن الكريم عن التعاليم الموحى بها في سورة الشورى آية ٥٢:

﴿وَكَذلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ روحاً مِنْ أَمْرنا﴾.

* * *

رابعاً ــ روح الشيء بمعنى خلاصته المترتبة عليه والناتجة منه:

١ ــ ورد قول بولس في رسالته الأولى إلى كورنثوس ص ٤ عدد ٢١:
(ماذا تريدون؟ أبعصا آتي إليكم، أم بالمحبة وروح الوداعة).
فروح الوداعة هي وداعة نفسه التي يعلنها بكلامه.

٢ ــ ورد في رسالة غلاطية ص ٦ عدد ١:
(أيها الأخوة، إن انسيق إنسان فأخذ في زلة ما، فأصلحوا أنتم الروحانيين، مثل هذا بروح الوداعة).
أي بالهدوء والحلم والسكينة.

٣ ــ ورد برسالة بولس الثانية إلى كورنثوس ص ٤ عدد ١٣:
(وبما أنْ لنا روح الإيمان عينه).
أي خلاصته المترتبة عليه من الأخلاق الحميدة والشيم الكريمة.

٤ ــ ورد برسالة أفسس ص ٤ عدد ٢٣:
(وتتجددوا بروح ذهنكم).

أي بنتائج فكركم المستقيم من كل خلق كريم وطبع رقيق، ومثله:

٥ ــ ما ورد برسالة العبرانيين ص ١٠ عدد ٢٩:

(وازدرى بروح النعمة).

* * *

خامساً ــ الروح بمعنى الموهبة القدسية والرحمة الإلّهية:

١ ــ ورد بمزمور ٥١ عدد ١٠:

(وروحاً مستقيماً جدِّد في داخلي).

٢ ــ ورد في سفر حزقيال ص ١١ عدد ١٩:

(وأعطيهم قلباً واحداً، وأجعل في داخلهم روحاً جديداً، وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحم).

٣ ــ ورد في سفر الملوك الثاني ص ٢ عدد ٩:

(فقال إلْيَشع ليكن نصيب اثنين من روحك علي).

فيطلب النبي إليشع من أستاذه إيليا النبي أن يجعل عليه نصيب اثنين من روحه. أي من فيوضات نظره عليه، وحسن توجيهاته إليه، وأن يزيده من بركته الربانية ونفحاته القدسية.

٤ ــ ورد بمزمور ٥ عدد ١١ قول داود عليه السلام:

(وروحك القدوس لا تنزعه مني).

٥ ــ ورد في سفر دانيال ص ٥ عدد ١٢:

(من حيث أن روحاً فاضلة، ومعرفة وفطنة في تعبير الأحلام، وتبيين الألغاز وحلّ عقد، وجدت في دانيال).

٦ ــ ورد بإنجيل لوقا ص ١ عدد ١٧ عن يوحنا المعمدان:

(ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته).

فروح إيليا التي يأتي بها يوحنا هي البركة السماوية، واتِّباعه له في إخلاصه وأخلاقه، وسيرته وتعاليمه.

٧ ــ ورد بسفر أشعيا ص ٤٤ عدد ٣ خطاب الرب ليعقوب:

(اسكب روحي على نسلك)، أي أضع مواهبـي ورحمتي على نسلك.

ونظيره ما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ الله، إنَّه لا يَيْأَس مِنْ رَوْح الله إلاَّ ٱلْقَومُ ٱلْكَافِرون﴾[١].

وقوله تعالى:

﴿أولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبهم ٱلإيمان وَأَيَّدَهُم بِروحٍ مِنْهُ﴾[٢].

قاله سبحانه وصفاً للقوم المؤمنين بالله واليوم الآخر الذين لا يوادّون من حادّ الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم.

* * *

سادساً ــ الروح بمعنى القوة:

قال تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُم﴾[٣].

والريح والروح أخوان، أي: تذهب قوتكم، ومن هنا سُمّيت الملائكة أرواحاً، لأن المَلَك مشتق من المِلْك وهو القوة، كما يقول القرآن الكريم عن بني إسرائيل في قوله تعالى:

﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا﴾[٤].

* * *

سابعاً ــ الروح بمعنى الأنبياء:

ورد في رسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ١:

(أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم).

---

(١) سورة يوسف: الآية ٨٧.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٤٦.

(٤) سورة طه: الآية ٨٧.

فهذا القول يفيد أن الأنبياء الصادقين هم أرواح من الله.

* * *

فصل سابع:

هل اختص السيد المسيح عليه السلام وحده بالأمور الآتية:

١ ـ وضع الروح القدس عليه.

٢ ـ تأييد الروح القدس له خاصة.

٣ ـ امتلاؤه من الروح القدس.

٤ ـ مسحه بالروح القدس.

٥ ـ حمل الروح القدس له.

٦ ـ حلول ونزول الروح القدس عليه.

٧ ـ إرسال الروح القدس له.

٨ ـ خصوصيته بتسمية المسيح.

والجواب على ذلك:

إن الأمور الثمانية السابقة وقعت لغير المسيح والدليل على ذلك من الأسفار نفسها.

١ ـ بالنسبة لوضع الروح القدس عليه:

ورد بإنجيل متى ص ١٢ عدد ١٨ عن المسيح عليه السلام:

(أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق).

ونظيره ما ورد في سفر أشعيا ص ٥٩ عدد ٢١ خطاباً من الرب لمدينة صهيون (أورشليم):

(روحي الذي عليك وكلامي الذي وضعته في فمك).

فقوله: روحي الذي عليك أي وضعته عليك، فكما وضعت روح الرب على المسيح، فقد وضعت على مدينة صهيون، فزالت بذلك الخصوصية عن المسيح.

٢ ــ الادعاء بخصوصية تأييد المسيح بالروح القدس:

(أ) ورد في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِٱلرُّسُل، وَآتَيْنَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاه بِروح ٱلْقُدُس﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضهمْ عَلَى بَعْض مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ، وَرَفَعَ بَعْضهمْ دَرَجَاتٍ، وَآتَيْنَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ، وَأَيَّدْنَاه بِروحِ ٱلْقُدُس﴾[2].

وقوله سبحانه في سورة المائدة خطاباً للمسيح:

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَى بن مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِروح ٱلْقُدُس﴾[3].

(ب) وورد في رسالة بولس إلى أهل أفسس ص ٣ عدد ١٦:

(لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه).

أي بالروح القدس، كما قال شارحو الإنجيل، فلو كان التأييد بالروح القدس قاصراً على السيد المسيح لم يجز الادعاء بحصوله لغيره.

(ج) ورد أيضاً في رسالة رومية ص ٨ عدد ٢٦:

(وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا).

فمعنى ذلك أن الروح القدس يؤيد النصارى بإعانة ضعفائهم، فكلام بولس في رسالتي أفسس ورومية ينفي خصوصية المسيح بتأييده هو وحده بالروح القدس.

لماذا قرر القرآن الكريم تأييد الله للمسيح بروح القدس وهل اقتصر ذلك فقط عليه؟

يذكر القرآن الكريم تأييد الله للمسيح عليه السلام بروح القدس كما أيّد آخرين به:

---

(١) سورة البقرة: الآية ٨٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٣) سورة المائدة: الآية ١١٠.

(أ) لأن المسيح كان مضطهداً من أعدائه اليهود بصورة لم يكن لها مثيل لأحد غيره من الرسل، وكان اليهود أصحاب السيطرة الدينية وقتئذٍ عندما كان الرومان مسيطرين على فلسطين، وهم أصحاب السيطرة السياسية، فاقتضى الحال أن ينصر الله المسيح على أعدائه بتأييده بروح القدس فلا يتمكنوا منه.

(ب) ورد قوله تعالى عن المؤمنين بالله ورسوله:

﴿أولئكَ كتبَ في قلوبهم الإيمان وأيّدهُم بروحٍ منه﴾[1]،

أي القوة والثبات والنصر.

فالله يؤيد المؤمنين بروح منه، وهو روح قدس خيريّ، ومن معانيه الرحمة[2].

(ج) ورد قوله تعالى عن النبي محمد ﷺ في مرحلة هجرته من مكة إلى المدينة:

﴿إلاَّ تَنْصروه فقد نَصَرَهُ اللَّهُ إذ أخرجه الذين كفروا ثانِيَ اثنينِ إذ هما في الغارِ إذْ يقولُ لِصاحبِه لا تحْزنْ إنَّ اللَّهَ معنا فأنزلَ اللَّهُ سكينتَهُ عليهِ وأَيَّدَهُ بجنودٍ لم تَرَوْها، وجعلَ كلمة الذين كفروا السُّفلى وكلمةُ اللَّهِ هي العُليا والله عزيز حكيم﴾[3].

فهذه الجنود التي أيَّد الله بها النبـي محمداً ﷺ، هي أرواحٌ قدسية علوية خيريّة.

٣ ــ بالنسبة لامتلاء المسيح بالروح القدس:

هل المسيح وحده الذي امتلأ من روح القدس كما يقول لوقا في إنجيله ص ٤ عدد ١؟

(أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس).

أم شاركه آخرون مما تُنقض معه الخصوصية؟

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٢) كتاب الإتقان في علوم القرآن النوع التاسع والثلاثون في معرفة الوجوه والنظائر عدد ٩ الجزء الثاني للحافظ جلال الدين السيوطي.

(٣) سورة التوبة: الآية ٤٠.

والجواب:

هناك آخرون امتلأوا من الروح القدس طبقاً للآتي وهم كثيرون:

١ ــ وورد بسفر أعمال الرسل ص ٦ عدد ٥ عن استفانوس:

(فاختاروا استفانوس رجلاً مملوءاً من الإيمان والروح القدس).

٢ ــ وورد بسفر أعمال الرسل المذكور ص ١١ عدد ٢٢ ــ ٢٤ عن برنابا:

(فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى إنطاكية الذي لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب، لأنه كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والإيمان).

٣ ــ ورد في إنجيل لوقا ص ١ عدد ١٥ عن يوحنا المعمدان:

(ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس).

ويوحنا امتلأ من الروح القدس وهو في بطن أمه بخلاف المسيح، فإنه لم يمتلىء من ذلك، إلا لمّا رجع من الأردن، كما هو وارد بإنجيل لوقا ص ٣ عدد ٢٢، ص ٤ عدد ١. أي وقت المعمودية عندما بلغ من العمر ثلاثين سنة.

٤ ــ ورد بإنجيل لوقا ص ١ عدد ٤١ عن إليصابات والدة يوحنا:

(وامتلأت إليصابات من الروح القدس).

٥ ــ ورد بإنجيل لوقا ص ٨ عدد ٦٧ عن زكريا والد يوحنا المعمدان:

(وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس).

٦ ــ ورد بسفر أعمال الرسل ص ١٣ عدد ٥٢ عن التلاميذ:

(وأما التلاميذ فكانوا يمتلئون من الفرح والروح القدس).

٧ ــ ورد بسفر أعمال الرسل ص ٢ عدد ٤:

(وامتلأ الجميع من الروح القدس).

٨ ــ ورد بسفر أعمال الرسل ص ٤ عدد ٣١:

(ولما وصلوا تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه، وامتلأ الجميع من الروح القدس).

٩ ــ ورد بسفر أعمال الرسل ص ٦ عدد ٣:
(فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم مشهوداً لهم ومملوئين من الروح القدس).
١٠ ــ ورد بسفر أعمال الرسل ص ٤ عدد ٨ عن بطرس:
(وامتلأ بطرس من الروح القدس).
١١ ــ ورد بسفر أعمال الرسل ص ١٣ عدد ٩ عن بولس:
(وأما شاول الذي هو بولس أيضاً فامتلأ من الروح القدس).
١٢ ــ ورد برسالة أفسس ص ٥ عدد ١٨ قول بولس مخاطباً أهل أفسس:
(بل امتلؤوا بالروح).
١٣ ــ ورد بسفر ميخا ص ٣ عدد ٨:
(ولكنني أنا الآن قوة بروح الرب حقاً وبأساً، لأخبر يعقوب بذنبه وإسرائيل بخطيئته).

٤ ــ بالنسبة لمسح المسيح بالروح القدس:

هل المسيح وحده مسح بالروح القدس أم شاركه غيره؟

فقد ورد عنه في سفر أعمال الرسل ص ١٠ عدد ٣٧ وما بعدها:
(أنتم تعلمون الأمر الذي صار في كل اليهودية، مبتدئاً من الجليل بعد المعمودية التي كرز بها يوحنا يسوعَ الذي من الناصرة، كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة، الذي جال يصنع خيراً ويشفي جميع الذين تسلَّط عليهم إبليس لأن الله كان معه).

والجواب:
لقد شارك المسيحَ كثيرون غيره في المسح بالروح القدس طبقاً للآتي:

١ ــ ورد في سفر أشعيا ص ٦١ عدد ١ قول أشعيا النبي:
(روح السيد الرب عليّ، لأن الرب مسحني لأبشِّر المساكين، أرسلني لأجْبُرَ منكسري القلب).

فقوله: مسحني أي بالروح بقرينة ما قبله، وهو قوله: (روح السيد الرب عليّ)، وبدليل ما بعده وهو كونه بشيراً ورسولاً.

ولأن البشير والرسول لا يكون ممسوحاً إلاّ بالروح القدس التي أهّلته للتبشير والرسولية.

٢ ــ ورد في مزمور ٨٩ عدد ٢٠:

(وجدت داوود عبدي بدُهْن قدسيّ مسحته).

ولا جدال في أن مسح الله لداوود بدهن قدسه، هو مسحه له بالروح القدس لأنه كان نبياً.

٣ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٢ عدد ٢٠:

(وأما أنتم فلكم مسحة من القدّوس).

أي مسحة من الروح القدس.

٤ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٢ عدد ٢٧:

(وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم.. ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهي حق وليست كذباً).

فالمسحة هنا لهؤلاء القوم بالروح القدس[١].

٥ ــ ورد برسالة بولس الثانية إلى كورنثوس ص ١ عدد ٢١، ٢٢:

(ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا، هو الله الذي ختمنا، وأعطى عربون الروح في قلوبنا).

فهذا المسح كان بالروح القدس بقرينة قوله بعد ذلك:

(وأعطى عربون الروح في قلوبنا).

٥ ــ بالنسبة لحمل الروح القدس للمسيح:

هل اختص يسوع المسيح عليه السلام بحمل الروح القدس له، كما ورد في إنجيل متى ص ٤ عدد ١:

(ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح).

أم شاركه غيره في هذه المزية؟

والجواب:

الحقيقة أنه شارك المسيح غيره مثل حزقيال.

---

(١) تفسير ما سبق هو حسبما فهمه المؤرخ (وليم إدي).

١ ــ فقد ورد في سفر حزقيال ص ٣ عدد ١٢:

(ثم حملني روح فسمعت خلفي صوت رعد).

فلا مزية إذن بذلك للمسيح على حزقيال عليهما السلام.

٢ ــ بل ورد في إنجيل متى ص ٤ عدد ٨ قوله عن المسيح:

(ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عالٍ جداً، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له: أعطيك هذه جميعها أن خررت وسجدت لي).

بمعنى أن المسيح كما حمله الروح القدس، كذلك حمله الروح النجس، وهذا على خلاف ما جاء عن حزقيال إذ لم يحمله الروح النجس وهو إبليس.

٦ ــ بالنسبة لنزول الروح القدس على المسيح:

يقرر النصارى نزول الروح القدس على المسيح مما يجعل له مزية وخصوصية مستدلين بالآتي:

١ ــ ما ورد في سفر أشعيا ص ١١ عدد ١، ٢:

(ويخرج قضيب من جزع يسّى، وينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب).

٢ ــ ورد بإنجيل متى ص ٣ عدد ١٦:

(فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه).

الــــرد:

ويردّ على ذلك بالآتي:

١ ــ إن ما ورد في سفر أشعيا ص ١١ عدد ١، ٢ عن يسَّى لا يتعلق بالمسيح، لأن يسَّى ليس جداً للمسيح، بل هو جد يوسف النجار، خطيب والدته السيدة مريم، ولا ارتباط نسبي بين المسيح ويوسف النجار هذا، اللهم إلاَّ إذا طعن في شرف أمه بأنه جاء نتيجة اتصال غير شرعي قبل الزواج من خطيبها يوسف النجار كما تزعم اليهود ذلك[١].

---

(١) كتاب النصرانية والإسلام، عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة للمؤلف.

٢ ــ ورد في بعض الأسفار أن روح الله نزل على أشخاص آخرين خلاف السيد المسيح طبقاً للآتي:

(أ) ورد في سفر العدد ص ١١ عدد ٢٦ ــ ٢٩:

(وبقي رجلان في المحلة اسم الواحد ألداد واسم الآخر ميداد فحل عليهما الروح، وكانا من المكتوبين لكنهما لم يخرجا إلى الخيمة، فتنبآ في المحلة، فركض غلام وأخبر موسى، وقال: الداد وميداد يتنبآن في المحلة، فأجاب يشوع بني نون خادم موسى من حداثته، وقال يا سيدي موسى: اردعهما، فقال له موسى: هل تغار أنت لي؟ يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء، إذ جعل الرب روحه عليهم).

ففي هذا القول نجد أن الروح حلّ إلى ألداد وميداد، وأن الرب جعل روحه عليهما بالفعل.. وأنه يجوز للرب أن يجعل روحه على كل الشعب.

(ب) ورد في رسالة بطرس الأولى ص ٤ عدد ١٤ قول بطرس:

(إن عبرتم باسم المسيح فطوبى لكم، لأن روح المجد والله يحل عليكم).

ويقول الدكتور وليم آدي المؤرخ الأميركي: هذا الروح هو الروح القدس، ووصف بصفتين، بمعنى أنه الروح القدس، وأنه روح المجد، وأنه روح الله..

(ج) ورد في سفر العدد عدد ٢٥:

(فنزل الرب في سحابة، وتكلم معه، وأخذ من الروح الذي عليه، وجعل على السبعين رجلاً الشيوخ فلما حلت عليهم الروح تنبأوا).

فهنا كانت الروح القدس على موسى عليه السلام أولاً، ثم أخذ الله جزءاً من مثلها ووضعه على الشيوخ السبعين، فلما حلَّت عليهم الروح بمواهبها صاروا أنبياء.

(د) ورد في سفر الأيام الأول ص ١٢ عدد ١٨:

(فحل الروح على عماسي)[١].

(هـ) ورد بإنجيل لوقا ص ٢ عدد ٢٥:

---

(١) وعماسي هو أحد الرجال الأشداء الذين جاءوا إلى داوود لمساعدته في حربه مع الفلسطينيين وهو في الحصن.

(وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان، وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه).

(و) ورد برسالة يعقوب ص ٤ عدد ٥ :

(الروح الذي حل فينا يشتاق إلى الغيرة).

(ز) ورد بسفر أعمال الرسل ص ١٠ عدد ٤٤ :

(فبينما بطرس يتكلم بهذه الأمور، حلّ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة).

(ح) ورد في سفر أعمال الرسل ص ١٩ عدد ٦ :

(ولما وضع بولس يديه عليهم، حلّ الروح القدس عليهم.. فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون).

(ط) ورد في سفر أعمال الرسل ص ١١ عدد ١٥ قول بطرس:

(فلما ابتدأت أتكلم حل الروح القدس عليهم كما علينا أيضاً في البداءة).

(ي) ورد بإنجيل لوقا ص ١ عدد ٣٥ قول الملك للسيدة مريم:

(الروح القدس يحل عليك).

(ك) ورد بسفر أعمال الرسل ص ١ عدد ٨ قول المسيح خطاباً لأتباعه:

(لكنكم ستنالون قوة مني حل الروح القدس عليكم).

النتيجة:

وبناء على ما تقدم يكون الروح القدس قد حلّ، ونزل على غير المسيح ممن بعده، وممن قبله بنحو ١٥٠٠ سنة، وبحكم النقول السابقة وزيادة في الإيضاح نتكلم عن المباحث الآتية:

مبحث (١) :

تفسير روح الرب وما هو الوارد في سفر أشعيا ص ١١ عدد ١، ٢.

إن روح الرب لا يمكن ولا يصح تفسيرها بخلاف ما فسرها به النبي أشعيا نفسه

فقد فسرها في ص ١١ عدد ١، ٢ بقوله:

(روح الحكمة والفهم.. روح المشورة والقوة.. روح المعرفة ومخافة الرب).

إذ لا يصح تفسير روح الرب بأنها الأقنوم الثالث حسب عقيدة الأمانة التي استحدثتها النصرانية في سنة ٣٨١م في مجمع القسطنطينية الأول.

لأنه ما دام أشعيا النبي فسرها ذلك التفسير الواضح لم يكن هناك بحال لأي مجتهد بعد صراحة النص، وما قرره مجمع القسطنطينية الأول عن تفسيره روح الرب يتناقض كل المناقضة مع ما ذكره النبي أشعيا في سفره، والأولى الأخذ بما جاء به النبي أشعيا، ورفض ما عداه حيث لا أساس له من أي نص.

مبحث (٢):

وهناك آخرون أعطوا روح الحكمة والفهم، والمشورة والقوة، والمعرفة ومخافة الرب، خلاف من ذكرنا، ومثال ذلك:

١ ـ ما ورد بسفر الخروج ص ٢٨ عدد ٣ قول الرب لموسى:

(وتكلم جميع حكماء القلوب الذين ملأتهم روح حكمة).

٢ ـ ورد برسالة بولس الأولى لأهل أفسس ص ١ عدد ١٧:

(كي يعطيكم إلّه ربنا يسوع أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته).

٣ ـ ورد في سفر دانيال ص ٥ عدد ١١ قوله عنه:

(وجدت فيه نوراً وفطنة وحكمة كحكمة الآلهة).

٤ ـ ورد بسفر أيوب ص ٢٠ عدد ٣ عن روح الفهم التي أعطيت له:

(وروح متى فهي تحييني).

٥ ـ ورد بسفر أشعيا ص ٤٦ عدد ١١ قوله عن الملك كورش الفارسي:

(رجل مشورتي).

٦ ـ ورد برسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ص ١ عدد ٧:

(لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة).

٧ ـ ورد في سفر أرميا ص ٣٢ عدد ٤٠ عن جميع بني إسرائيل:

(وأجعل مخافتي في قلوبهم فلا يحيدون عني).

٨ ــ ورد بإنجيل لوقا ص ٥ عدد ٢٦ عن الخوف من الله:

(ومجدوا الله وامتلئوا خوفاً).

٩ ــ ورد بسفر القضاة ص ١١ عدد ٣٩ عن يفتاح الجلعادي:

(فكان روح الرب على يفتاح)[١].

مبحث (٣):

هل رؤية المسيح للروح القدس نازلاً عليه كحمامة رؤية بصرية حسية أم أنها علمية روحية؟

فقد ورد في إنجيل متى ص ٣ عدد ١٦ عن المسيح:

(فرأى روح الله نازلاً كمثل حمامة وآتياً عليه).

أولاً: ويجاب على ذلك بأن المتبادر والموافق للعقل والنقل أن الرؤية هنا علمية روحية، وأن تشبيهه بالحمامة ليس من حيث الهيئة، بل من حيث الطبع، لأن الحمام موصوف بالوداعة وعدم الإيذاء، وهذه كانت طريقة وأسلوب السيد المسيح، وقد أوصى بهذه الطريق تلامذته.

١ ــ فقد ورد بإنجيل متى ص ١٠ عدد ١٦ وصية المسيح لتلاميذه بقوله:

(فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام).

٢ ــ وكثيراً ما استعيرت الحمامة في أسفار العهد العتيق للأشياء اللطيفة الجميلة روحياً، فقد ورد في سفر نشيد الإنشاد ص ٢ عدد ١٤ قول الرب عن شعبه:

(يا حمامتي في محاجىء الصخر في ستر المعاقل، أريني وجهك أسمعيني صوتك، لأن صوتك لطيف ووجهك جميل).

٣ ــ كما ورد في سفر نشيد الإنشاد ص ٥ عدد ٢:

(افتحي لي يا أختي يا حبيبتي يا حمامتي يا كاملتي).

---

(١) يفتاح الجلعادي هو أحد قضاة بني إسرائيل مع أنه كان ابن امرأة زانية كما في ص ١١ عدد ١ من سفر القضاة وكان يجتمع إليه الرجال البطالون كما في ص ١١ عدد ٣ من سفر القضاة المذكور.

٤ ــ ورد في نشيد ص ٦ عدد ٩ :

(واحدة هي حمامتي كاملتي، الوحيدة لأمها، هي مُفَضَّلة لوالدتها. . .).

٥ ــ ورد بسفر أشعيا ص ٣٨ عدد ١٤ :

(أهدر كحمامة).

وفي ذلك استعارة هدر الحمامة لأنات الضيقات وتنفسات الاضطهادات التي يلاقيها الإنسان.

٦ ــ ورد في سفر أرميا ص ٤٨ عدد ٢٨ :

(وكونوا كحمامة تعشعش في جوانب الحفرة).

من كل ذلك يتبين: أن تشبيه الروح القدس الذي نزل على المسيح بالحمامة، هو من حيث الطبع، كما ورد في إنجيل متى ص ١٠ عدد ١٦ :

(ليكونوا بسطاء كالحمام).

ومن حيث الجمال والحس الروحي، كما يستفاد من نشيد الإنشاء ص ٢ عدد ١٤ بقوله:

(لأن صوتك لطيف ووجهك جميل).

ومن حيث أنات الضيقات ونوْح الاضطهادات، كما يفيده سفر أشعيا ص ٣٨ عدد ١٤ :

(أهدر كحمامة).

ومن حيث معيشة الزهد والتعفف، كما يستبين من سفر أرميا ص ٤٨ عدد ٢٨ :

(وكونوا كحمامة تعشعش في جوانب الحفرة).

ثانياً: إن الدلائل الخارجية تؤيد المعنى السابق والإشارة إليه.

فقد كانت طريقة المسيح طريقة وداعة وحلم وأناة، كافلة لكل لطف وجمال روحي، وكان دائماً يئن ويهدر كالحمام من جمود أعدائه اليهود واضطهادهم له.

ثالثاً: والقول بأن الرؤية علمية روحية من المسيح للروح القدس يستدل عليها بالآتي:

١ ــ إذا كان أشعيا فسّر روح الرب في ص ١١ عدد ١ ، ٢:

(بأنه روح الحكمة والفهم).

كان مقتضى ذلك: أنه روح معنويّ، وليس روحاً محسوسة، وعليه فلا يصح أن تبصر.

٢ ــ ورد بإنجيل يوحنا ص ١ عدد ١٨:

(الله لم يره أحد قط).

وفي مفهوم عقيدة النصرانية أن الروح القدس عبارة عن الأقنوم الثالث من الثالوث، فهو على مقتضى هذه العقيدة جزء من الله، فكما أن الله لم يره أحد قط، كان مقتضى ذلك، أن جزءه وهو الروح القدس لم يره أحد قط.

مبحث (٤):

إذا كان الأمر كذلك فمن هو إذاً الروح الذي جاء ذكره في القرآن الكريم:

١ ــ في سورة مريم والمعنيّ بقوله تعالى:

﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً﴾.

والإجابة:

هنا الروح هو جبريل عليه السلام، وقد أطلق عليه هذا اللفظ مراراً في عدة مواضع من القرآن الكريم.

قال تعالى:

﴿قلْ نزَّله روح القدس من ربك بالحق ليثبّتَ الذين آمنوا﴾[١].

وقال تعالى:

﴿نزَلَ به الروح الأمين على قلبكَ لتكونَ من المنذرين﴾[٢].

وسمّى جبريل روحاً لأن الدين يحيا به.

---

(١) سورة النحل: الآية ١٠٢.

(٢) سورة الشعراء: الآيتان ١٩٣، ١٩٤. انظر كتاب الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي الجزء الثاني عدد ٩.

٢ ــ وقد يطلق لفظ الروح على نفس الوحي الذي يجيء به جبريل، لأنه يحيي القلوب الميتة بالجهل، ولأنه يقوم في الدين مقام الروح في الجسد.

قال تعالى:

﴿ينزّلُ الملائكةَ بالروح منْ أمره على من يشاءُ من عباده﴾[1].

وقال تعالى:

﴿وكذلكَ أوحَيْنا إليك روحاً من أمرنا﴾[2].

وقال تعالى:

﴿يلقي الروحَ مِنْ أمرِه على من يشاء من عبادِه لينذرَ يومَ التَّلاق﴾[3].

٣ ــ ومن معاني الروح النفس الإنسانية، وكما نفخ الروح في المسيح نفخ في غيره طبقاً للآتي:

قال تعالى:

﴿والتي أحصَنَتْ فَرْجَها فنفخنا فيها من روحِنا وجَعلناها وابنها آيةً للعالمين﴾[4].

فالنفخ هنا بمعرفة جبريل عليه السلام، **وهو تمثيل لوصول روح الحياة الإنسانية.**

وشبيهه ونظيره ما ورد بسفر التكوين ص ٢ عدد ٧ عن آدم:

(ونفخ في أنفه نسمة حياة).

٧ ــ بالنسبة لإرسال الروح القدس إلى المسيح:

تزعم النصرانية أن الإسلام فيه ما يؤيد إرسال الروح القدس إلى المسيح، مما يجعل للمسيح ميزة امتاز بها على غيره، وتلك الميزة هي إرسال الروح القدس عليه، أو إليه، ويستدلون على ذلك بالآية الكريمة:

---

(١) سورة النحل: الآية ٢.

(٢) سورة الشورى: الآية ٥٢.

(٣) سورة غافر: الآية ١٥. وانظر كتاب الإتقان في علوم القرآن.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٩١.

﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾[1].

ويرد على ذلك بالآتي:

١ ــ إن إرسال الروح القدس الوارد في الآية الكريمة، لم يكن للمسيح، بل كان للسيدة مريم، لأن القرآن لا يقول: (فأرسلنا إليه روحنا)، بل يقول:

﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾.

وذلك أن الله أرسل إليها الملَك جبريل ليبشرها بحمل وولادة المسيح.

٢ ــ ورد في سفر التكوين ص ١٦عدد ١١ بشارة الملَك لهاجر المصرية بولادة إسماعيل عليه السلام:

(قال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابناً، وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك).

٣ ــ ورد في سفر التكوين ص ١٨عدد ٩، ١٠ تبشير الملائكة لإبراهيم بابنه إسحاق:

(وقالوا له: أين سارة امرأتك؟ فقال: ها هي في الخيمة، فقال: إني أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن).

٤ ــ ورد في إنجيل لوقا ص ١ عدد ١١ عن إرسال الله الملاك جبريل إلى زكريا يبشره بابنه يوحنا:

(فظهر له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذابح البخور).

٥ ــ ورد في رسالة بولس إلى غلاطية ص ٤ عدد ٦ قول بولس:

(أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم).

وهي الروح القدس كما قاله الدكتور وليم آدي الأمريكي،

فهل يجوز أن نقول بناء على ما تقدم أنه صار في هؤلاء الناس المخاطبين بهذا القول طبيعة لاهوتية بإرسال الله الروح القدس أو الملائكة أو الملك جبريل إلى قلوبهم أو إليهم؟

---

(١) سورة مريم: الآية ١٧.

نحن نترك الإجابة على هذا السؤال إلى معتنقي النصرانية.

٨ ــ بالنسبة لخصوصية تسمية يسوع بالمسيح:

لم يختص المسيح عيسى عليه السلام بلفظ المسيح بل شاركه غيره فيه طبقاً للآتي:

١ ــ شارك المسيح عيسى في لفظ المسيح كل من أشعيا النبي، وداوود النبي، كما هو واضح في أسفارهم.

٢ ــ ورد في سفر أشعيا ص ٤٥ عدد ١ عن كورش وهو من ملوك الأمم الأخرى:
(هكذا يقول الرب لمسيحه كورش).

٣ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٢ عدد ٢٠ خطاباً لمن كلمهم:
(وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس).

٤ ــ ورد برسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ص ١ عدد ٢٢:
(مسحنا. . . وأعطى عربون الروح في قلوبنا).

مما تقدم يتبين أنه لا خصوصية ليسوع لا بلفظ (مسيح) ولا بمعناه.

٩ ــ ختام هذا البحث في الروح:

هناك اثنا عشر أمراً متعلقة بالروح ذكرت أسفار النصرانية أنها وقعت لغير المسيح دون أن تذكر أنها وقعت له وهي:

١ ــ جعل روح الله في غير المسيح.

ورد في سفر حزقيال ص ٢٦ عدد ٢٧ خطاباً من الله لبني إسرائيل الذين كانوا مشتتين في السبي:

(واجعل روحي في داخلكم).

٢ ــ التصريح بسكب روح الله على غير المسيح.

(أ) جاء في سفر حزقيال ص ٣٩ عدد ٢٩ قول الله:
(سكبت روحي على بيت إسرائيل يقول السيد الرب).

(ب) ورد في سفر يوئيل ص ٢ عدد ٢٨ قول الرب:
(ويكون بعد ذلك أن اسكب روحي على كل بشر).
(ج) ورد في سفر يوئيل ص ٢ عدد ٢٩ قول الرب:
(وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء أسكب روحي في تلك الأيام).
(د) ورد في سفر أشعيا ص ٤٤ عدد ٣ قول الرب خطاباً ليعقوب:
(أسكب روحي على نسلك).
ولم يرد التصريح هكذا بسكب الروح على المسيح قط.

٣ ــ التصرح بلبس روح الله لغير المسيح.
ورد في سفر الأيام الثاني ص ٢٤عدد ٢٠:
(ولبس روحُ الله زكريا بن يهوياداع الكاهن، فوقف أمام الشعب وقال لهم: هكذا يقول الله. . . إلخ)، ولم يأت مثل هذا القول المسيح.

٤ ــ التصريح بقيام الروح القدس في وسط جماعة ليس منهم المسيح.
ورد في سفر حجي ص ٢ عدد ٥ قول الله خطاباً لبني إسرائيل:
(حسب الكلام الذي عاهدتكم به عند خروجكم من مصر، وروحي قائم في وسطكم لا تخافوا).

٥ ــ التصريح بأخذ غير المسيح للروح القدس.
ورد في رسالة بولس لأهل غلاطية ص ٣ عدد ٢:
(أريد أن أتعلم منكم هذا فقط: أعلى أساس العمل بما في الشريعة نلتم الروح، أم على أساس الإيمان بالبشارة؟).

٦ ــ التصريح بسكنى روح الله في غير المسيح:
ورد برسالة بولس إلى أهل رومية ص ٨ عدد ٩:
(وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح، إن كان روح الله ساكناً فيكم).

٧ ــ التصريح بسكنى الله في غير المسيح:
يقول بولس في رسالته إلى أهل أفسس ص ٢ عدد ٢٢:
(أنتم أيضاً مبنيون معاً سكناً لله).

٨ ــ التصريح بسكن الروح القدس في غير المسيح.

(أ) ورد برسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس ص ١ عدد ١٤ :

(احفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس الساكن فينا) أي ساكن في بولس وفي تيموثاوس وفي سائر المؤمنين به[١].

(ب) ورد برسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ص ٦ عدد ١٩ :

(أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح الذي فيكم) وهيكل الشيء هو سكن لذلك الشيء.

٩ ــ التصريح بدخول الروح القدس في غير المسيح.

(أ) ورد بسفر حزقيال ص ٢ عدد ٢ :

(فدخل فيّ روح لما تكلم معي).

(ب) ورد في سفر حزقيال ص ٢ عدد ٣٤: (فدخل فيّ روح وأقامني على قدميَّ).

(ج) ورد في سفر حزقيال ص ١١ عدد ١٩ قول الله لبني إسرائيل:

(وأجعل في داخلكم روحاً جديدة).

١٠ ــ التصريح بانسكاب موهبة الروح القدس على غير المسيح.

ورد في سفر أعمال الرسل ص ١٠ عدد ٤٥ :

(لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً).

١١ ــ التصريح بمعية الروح القدس لغير المسيح:

(أ) يقول بولس في رسالته الثانية لأهل كورنثوس ص ١٢ عدد ١١ :

(الروح القدس مع جميعكم).

(ب) ورد برسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ص ١٣ عدد ١٤ :

(وشركه الروح القدس مع جميعكم).

---

(١) وهذا ما قرره الدكتور وليم أدي الأمريكي في كتابه الكنز الجليل في تفسير الإنجيل.

١٢ ــ التصريح بإعطاء الروح القدس لغير المسيح.

(أ) ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ١٣ عن الله:

(أنه قد أعطانا من روحه) أي من الروح القدس.

(ب) ورد بإنجيل لوقا ص ١١ عدد ١٣ قول المسيح:

(فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحري الآب الذي من السماء، يعطي الروح القدس الذين يسألونه).

(ج) ورد برسالة أعمال الرسل ص ١٥ عدد ٨ مخاطباً للأمم:

(والله العارف القلوب شهد لهم معطياً لهم الروح القدس كما لنا أيضاً).

(د) ورد برسالة بولس إلى رومية ص ٥ عدد ٥:

(لأن محبة الله انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا).

(هـ) ورد في سفر نحميا ص ٩ عدد ٢٠ خطاباً منه لله:

(وأعطيتهم روحك الصالح لتعليمهم).

(و) ورد برسالة بولس الأولى إلى تسالونيكي ص ٤ عدد ٨:

(إذاً منْ يُرذِل إنساناً، بل الله الذي أعطانا أيضاً روحه القدوس).

١٠ ــ هل يوصف الإلّه في الإسلام بأنه روح؟

في عقيدة الإسلام لا يوصف الله سبحانه وتعالى بإنه روح، وهي التي تقوم بها الحياة، كما تصفه كتب اليهود والنصارى وإلاّ كان مركَّباً مخلوقاً.

بل إن الله في عقيدة الإسلام حيّ بذاته لا يموت، فحياته صفة من صفات ذاته، زائدة على بقائه[1] وحياة الله واجبة له تعالى، فهي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته، وهي صفة كمال لأن الموت صفة نقص وسبحانه وتعالى منزه عن جميع النقائص، وواجب له الكمال فلزم اتصافه سبحانه وتعالى بالحياة، ولو لم يتصف بالحياة، لما صح اتصافه بالقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام[2].

(١) كتاب شرح أسماء الله الحسنى للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري.

(٢) كتاب تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب تأليف العارف بالله الشيخ محمد أمين الكردي.

قال تعالى:

﴿الله لا إلّه إلاَّ هو الحيّ القيوم﴾[1].

وقال تعالى:

﴿هو الحيّ لا إلّه إلاَّ هو﴾[2].

وقال تعالى:

﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾[3].

وقال تعالى:

﴿وعَنَتِ الوجوهُ للحَيّ القيّوم، وقد خابَ من حَملَ ظُلماً﴾[4].

● ● ●

---

(1) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(2) سورة غافر: الآية ٦٥.

(3) سورة الفرقان: الآية ٥٨.

(4) سورة طه: الآية ١١١.

الباب السادس

في

قول النصرانية باتحاد المسيح مع الله

وقد اعتقد النصارى أن المسيح أخذ الطبيعة اللاهوتية باتصافه بسبع صفات هي:

(١) صفة: وكان الكلمة الله.

(٢) قول المسيح: أنا والآب واحد.

(٣) قول المسيح: الآب فيّ وأنا فيه.

(٤) قول المسيح: أنا أعرفه لأني منه.

(٥) الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب.

(٦) قول المسيح: كلّ ما للآب هُوَ لي.

(٧) قول المسيح: الذي رآني فقد رأى الآب.

والرد على هذه الأقوال.

(١)

مبحث (وكان الكلمة الله)

يقول النصارى بأن المسيح يدعى اسمه كلمة الله.

١ ــ فقد ورد في رؤيا يوحنا ص ١٩ عدد ١٣ عن المسيح:

(يدعى اسمه كلمة الله).

٢ ــ ورد بإنجيل يوحنا ص ١ عدد ١:

(وكان الكلمة الله).

لذلك فهم يقولون: إن المسيح ليس مخلوقاً أو ملاكاً دون الآب، لكنه مساوٍ له في الجوهر، والآب معناها الله.

الـــرد:

ويرد على ذلك بالآتي:

إن الكلمة المشار إليها فيما سبق هي كلمة التكوين لا كلمة الوحي.

ذلك أنه لما كان أمر الخلق والتكوين وكيفية صدوره عن الله تعالى، ما يعلو عقول البشر، عبّر عنه كتبة الأسفار بقولهم:

(لأنه قال فكان هو أمر فصار) انظر مزمور ٣٣ عدد ٦.

فكلمة قال، وكلمة أمر، هي كلمة التكوين، وهو ما ورد بسفر التكوين ص ١ عدد ٣:

(وقال الله ليكن نور فكان نور) فكلمة ليكن هي كلمة التكوين.

ولما كان قد فقد في تكوين المسيح وعلوق أمه بما جعله الله سبباً للعلوق، وهو

التلقيح بماء الرجل لما في الرحم من بويضات الأنثى، أضيف هذا التكوين إلى كلمة الله، وأطلقت الكلمة على المكَوَّن إيذاناً بذلك أو إشارة له وهذا من قبيل المجاز.

٢ ـ وهناك وجه آخر لإطلاق عبارة الكلمة على المسيح عليه السلام، وذلك لمزيد إيضاحه لكلام الله الذي حرفه قومه من اليهود حتى أخرجوه عن وجهه، وجعلوا الدين مادياً لا روحانياً فيه، والأمثلة توضح ذلك.

(أ) فهو مثلاً من قبيل وصف **السلطان العادل** (بظل الله، ونور الله) بسبب أنه سبب لظهور ظل العدل ونور الإحسان.

(ب) أو من قبيل قولهم فلان (لسان الملك) و (كلمة الملك) يريدون بذلك أنه سبب لظهور كلام الملك إلى الرعية.

(ج) فكذلك المسيح عليه السلام، كان سبباً لظهور كلام الله تعالى بسبب ما كان يلقيه من مواعظ وبيانات تزيل الشبهات، والتحريفات عنه، وإبطال التقاليد حتى يرجع بقومه إلى المفاهيم السليمة لكلام الله عز وجل.

٣ ـ وهناك وجه آخر أيضاً بأنه أُطلق على المسيح كلمة وذلك للإشارة إلى ما جاء بكلام الأنبياء عنه وبشارتهم به.

(أ) فقد ورد في سفر أرميا ص ٣٣ عدد ١٤ ـ ١٦ :

(ها أيام تأتي يقول الرب: وأقيم الكلمة الصالحة التي تكلمت بها إلى بيت إسرائيل وإلى بيت يهوذا في تلك الأيام، وفي ذلك الزمان أنبت لداوود غصن البر، فيجري عدلاً وبراً في الأرض، في تلك الأيام يخلص يهوذا، وتسكن أورشليم آمنة، وهذا ما نسمي به الربُّ برُّنا).

(ب) ورد في سفر أشعيا ص ٢ عدد ٣، ٤ قول أشعيا:

(لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب، فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين).

٤ ـ مما يؤكد هذا النظر أنه كثيراً ما يطلق لفظ (الكلمة) في الأسفار، ويراد بها كلمة الوعد والبشرى.

(أ) فقد ورد في مزمور ١٠٥ عدد ٤٣ :

(لأنه ذكر كلمة قدسه مع إبراهيم عبده).

(ب) وورد في سفر الأيام الأول ص ١٦ عدد ١٥ ، ١٦ :

(اذكروا إلى الأبد عهده الكلمة التي أوصى بها إلى ألف جيل، الذي قطعه مع إبراهيم).

ولم يرد في الأسفار ذكر صريح للأقنوم الثاني حتى يُحمل لفظ الكلمة عليه، كما تقول النصارى بأن الكلمة في قول يوحنا في إنجيله ص ١ عدد ١ :

(وكان الكلمة الله).

وأن المراد بذلك في اعتقادهم هو الأقنوم الثاني وهو المسيح من الثالوث، إذ إن عبارة أقنوم لم ترد إطلاقاً في أي سفر في العهد القديم ولا في العهد الجديد.

٥ ـ إن إطلاق لفظ الله على الكلمة، وهي المعني عنها بالمسيح كما قدمنا، لا يعني إطلاقاً كون المسيح متحداً مع الله مساوياً له، بل غاية ما فيه إطلاق لفظ الله على المسيح، وليس هذا بالأمر الغريب في الأسفار فكما قدمنا سابقاً.

(أ) أطلقت الأسفار لفظ الله على الملاك :

وارد ذلك في سفر التكوين ص ٣٢ عدد ٢٨ ، ٣٠ .

وارد ذلك في سفر الخروج ص ٣ عدد ٤ ، ٦ .

وارد ذلك في سفر القضاة ص ١٣ عدد ٢٢ .

(ب) وأطلقت الأسفار لفظ الله على القاضي الشرعي :

وارد ذلك في سفر الخروج ص ٢١ عدد ٥ ، ٦ .

و في سفر الخروج ص ٢٢ عدد ٨ ، ٩ .

(ج) وأطلقته الأسفار على الرجل الشريف أوالقوي .

وارد ذلك في سفر التكوين ص ٦ عدد ١ ، ٤ .

وفي مزمور ١٣٨ عدد ١ .

(د) كما أطلقته الأسفار على القضاة الدينيين الذين صارت إليهم كلمة الله :

وارد ذلك في مزمور ٨٢ عدد ٦ .

وفي إنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ٣٣ ـــ ٣٦.

(هـ) وأطلقت الأسفار لفظ إله على الملاك :

وارد ذلك في سفر التكوين ص ١٦ عدد ١٣ .

وفي سفر الخروج ص ٣ عدد ٦ .

(و) كما أطلقت الأسفار لفظ إله على موسى عليه السلام :

وارد ذلك في سفر الخروج ص ٤ عدد ١٦ .

وفي السفر المذكور أيضاً ص ٧ عدد ١ .

وخلاصة هذا المبحث :

أنه إذا كان في الأسفار القديمة مباحاً إطلاق لفظ الله على كل من الملاك، والقاضي الشرعي، والشريف، أو القوي، كما أطلق لفظ إله أيضاً على الملاك وعلى موسى وعلى الشريف وعلى القاضي الشرعي، فهل يسوغ القول أن إطلاق لفظ الله على المسيح يقتضي اتحاده به ومساواته له؟ إنه لو كان الأمر كذلك لكان كل من الملاك وموسى والقاضي والشريف والرجل القوي متحداً مع الله ومساوياً له، ولم يقل أحد بذلك لبطلانه، لذلك كان القول باتحاد المسيح بالله ومساواته له باطل .

(٢)

مبحث (قول المسيح: أنا والآب واحد)

يقول رجال النصرانية : إن الآب (أي الله) والابن (أي المسيح) واحد في الجوهر والمجد والمقام، ويستدلون على قولهم في هذا الاتحاد بالآتي :

(أ) ما ورد بإنجيل يوحنا ص ٢٠ عدد ٣٠ من قول منسوب للمسيح : هو (أنا والآب واحد) .

(ب) ما ورد بإنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ٣١ ـــ ٣٣ ولما قال هذا : (أنا والآب واحد) .

(فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه، أجابهم يسوع: أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبـي بسبب أي عمل منها ترجمونني)؟ (أجابه اليهود قائلين لسنا نرجمك من أجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك الله)[1].

(ج) ما ورد بإنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ١١ من قول منسوب للمسيح:

(أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك الذي أعطيتني، ليكونوا واحداً كما نحن).

(د) ما ورد بإنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٢٢ من قول منسوب للمسيح إلى تلاميذه.

(وأنا أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحداً، كما أننا نحن واحد).

بمعنى أن المسيح أراد أن يكون اتحاد تلاميذه بعضهم ببعض، كاتحاده هو بالآب أي الله، لكن ذلك بين التلاميذ وبعضهم لا يمكن أن يكون كاملاً، كما بينه وبين الآب.

الـــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: أصل القول المنقول عن المسيح بإنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ٣٠ ينقصه جزء آخر مكمل له لا يتم المعنى إلا به، ألا وهو ما ورد بنفس الإصحاح ١٠ من إنجيل يوحنا عدد ٢٧ وهو هكذا:

(خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها، فتتبعني وإن أعطيتها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي، أبـي أعطاني إياها، هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبـي، أنا والآب واحد، فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه . . . إلخ ما جاء).

١ ــ فقوله: (أنا والآب واحد) يقصد به في إرادة الخير والهداية لهؤلاء الخراف، وفي عدم مقدرة المضلين أن يخطفوا الخراف المذكورة، لا من يد الله، ولا من يد المسيح، حيث إن المسيح أيضاً قوي بربه عز وجل. وهذا هو المعنى الذي يرمي إليه المسيح في كلامه المذكور لأنه إذ نفى:

---

(١) التجديف: مَعْني في قولهم التكلم على الله بما لا يليق بالكفر أو الإهانة، ومن معانيها الكفر بالنعمة.

أولاً ـ خطف الخراف من يده.

ثانياً ـ ثم نفاه من يد الله.

ثالثاً ـ ثم سوّى بينه وبين الله.

عُلم أن هذه التسوية هي في موضوع عدم خطف الخراف، لأن هذا الوجه هو المذكور في الكلام، فلا يجوز لأي شخص أن يعدل عنه إلى القول بأن هذه التسوية هي في الجوهر والمجد والمقام، لأنه ليس شيء من هذه الأشياء الأخيرة مذكورة في الكلام، حتى يكون هناك موضع للتسوية بين المسيح وبين الله.

٢ ـ إن المسيح عليه السلام خطّأ اليهود في نسبة التجديف إليه على **فهمهم الخاطىء لأقواله، وهو مساواته لله:**

(وهو نفس الفهم الخاطىء الذي تعتنقه النصرانية اليوم).

لذلك أسرعَ بالقول مصححاً لهم هذا الفهم، بقوله بما ورد في إنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ٣٤:

(أليس مكتوباً في قاموسكم؟ أنا قلت: إنكم آلهة، إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن ينقض المكتوب، فالذي قدّسه الآب، وأرسله إلى العالم، أتقولون له إنك تجدف لأني قلت إني ابن الله).

وهذا الوارد تكلم به النبـي داوود عليه السلام في مزمور ٨٢ عدد ٦ مخاطباً للقضاة اليهود، وقد استشهد به المسيح لليهود لإفهامهم أن الله كان قد أطلق على القضاة لفظ آلهة، لأنهم يقضون باسمه.

فالمسيح قد دفع اتهام اليهود له بالتجديف بأنه قد عهد قديماً إطلاق لفظ (الآلهة وأبناء العليّ) على القضاة كما هو وارد في مزمور ٨٢ عدد ٦:

إذ دعاهم الله **آلهة وأبناء العلي** لأنهم رؤساء الشعب، ومنزلتهم أرفع من منزلة غيرهم من الناس، وعليهم مسؤولية عظيمة في سياسة الشعب والله نفسه عينهم لوظيفتهم، وهم أخذوا سلطانهم منه وقضوا نيابة عنه.

* * *

ثانياً: إن العقيدة السليمة هي القول بأن المسيح دون الآب، وهي العقيدة النصرانية الأصيلة التي كان ينادي بها آريوس.

لأنه إذا كان داوود قد أطلق على هؤلاء القضاة في مزاميره بحسب المعنى المذكور (آلهة وأبناء العلي) ولم يقل أحد: إنه جدف، لأنهم لم يأخذوا بظاهر اللفظ، بل عوّلوا على المعنى التشبيهي المناسب.

فكذلك لا ينبغي لليهود أن ينكروا على المسيح قوله: (أنا والآب واحد) ومرة أخرى: (أنا ابن الله) لأنه أي المسيح قدّوس، ومنزلته أرفع من منزلة غيره، والله نفسه قدسه لخدمة قومه. وهدايتهم، حيث أرسله إليهم، وعينه لهذه المهمة، وأعطاه سلطاناً منه، فصار يفعل، ويتكلم نيابة عنه، فهو مثل هؤلاء القضاة، بل يمتاز عليهم بالرسالة.

فلا بدع إذا أطلق عليه (أنه والآب واحد وأنه ابن الله) بالمعنى المناسب اللائق باليهود أن يفهموه، كما فهموا من كلام داوود السابق الوارد بمزمور ٨٢ عدد ٦، فلماذا إذاً ينسب إليه اليهود الكفر والتجديف؟ هذا كل مراد المسيح في دفع اتهام اليهود له بالتجديف والكفر...

مما تقدم يتضح: أن ما فهمه اليهود في معنى كلام المسيح ليس في محله، لذلك خطّأهم المسيح على هذا الفهم، وبذلك ظهر أن عقيدة آريوس (التي رفضها مجمع نيقية) هي العقيدة النصرانية الأصيلة التي انبنى عليها دين المسيح الصحيح.

* * *

ثالثاً: أما بالنسبة لما ورد في إنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ١١ من قول منسوب للمسيح:

(ليكونوا واحداً كما نحن).

وما ورد في نفس الإنجيل ص ١٧ عدد ٢٢:

(كما أننا نحن واحد).

وذلك بالنسبة لتلاميذه، فهنا ذكر المسيح وجه شبه بينه وبين تلاميذه وأتباعه.

ولما كان المُسَلَّم به أن وجه الشبه بين المشبهين لا بد أن يكون متحققاً في طرفي

التشبيه، كان من غير الجائز أن يكون وجه الشبه بين وحدة المسيح بالآب، ووحدة الأتباع بعضهم ببعض، هو الجوهر والمجد والمقام.

لأن هذا المعنى لو كان موجوداً في المشبه به، وهو وحده المسيح بالآب على الفرض والتقدير، فهو قطعاً غير موجود في المشبه وهو وحدة التلاميذ بعضهم ببعض.

لذلك اقتضى القول بأن وجه الشبه هو الغاية والطريق وإرادة الخير والمحبة دون أن تكون هناك خصومة أو مخالفة أو عداوة.

فكأن المسيح يقول في صلاته:

(أسألك يا رب أن توحد أتباعي في ذات المعنى الذي هو مناط الوحدة بيني وبينك).

وهذا المعنى المتحقق في طرفي التشبيه، هو كما سبق أن تبين، هو وحدة الغاية والطريق وإرادة الخير والمحبة دون خصومة أومخالفة أو عداوة.

فهذا التشبيه في قول المسيح: (ليكونوا واحداً كما نحن) يفسر لنا معنى الوحدة في قوله: (أنا والآب واحد) شأن كل تفسير أن يكون هو بعد المفسَّر، وهذا واضح بجلاء في ترتيب وضع تلك الأقوال.

فعبارة: (أنا والآب واحد) الأولى واردة في إنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ٣٠.

وعبارة: (ليكونوا واحداً كما نحن) واردة بعد ذلك في إنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ١١، عدد ٢٢، فهي إذاً المفسرة للعبارة الأولى السابقة عليها.

* * *

رابعاً: إن الوحدة بين جميع النصارى هي في الحقيقة الروحية والواجبات الدينية فقط، ويستدل على ذلك بالآتي:

١ ــ ورد في رسالة بولس إلى غلاطية ص ٣ عدد ٢٨ قول بولس:

(ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر ولا أنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع) فلا يمكن أن يفهم من قول بولس أن هذه الوحدة بين النصارى،

تقتضي اتحادهم في الجوهر والمجد والمقام، حيث تكون بين جميعهم المساواة في سائر المعاني.

إنما المفهوم من هذا القول هو وحدة في الحقوق الروحية والواجبات الدينية.

٢ ــ ورد في رسالة بولس إلى رومية ص ١٢ عدد ٥ قول بولس:

(هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح).

٣ ــ ورد بإنجيل يوحنا ص ١١ عدد ٥٢ قول يوحنا:

(وليس عن الأمة فقط، بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد).. فهذه الوحدة لا يمكن فهمها بالاتحاد في الجوهر والمجد والمقام بل هي وحدة في الحقوق والواجبات الروحية والدينية.

* * *

خامساً: إن الوحدة بين المسيح وبين الله لها وجه شبه بما ذكرته الأسفار من وحدة بين الزوجين في الحال، وقوة الاتباط المعنوي والنسبي، فقد ورد في سفر التكوين ص ٢ وعدد ٢٤:

(لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكونان جسداً واحداً).

فقد أثبت سفر التكوين هنا وحدة الجسد بين آدم وحواء، وبين كل زوجين من ذريتهما، فهل معنى ذلك أنهما صارا جسداً واحداً حقيقة؟ كلا، لا يمكن للعقل أن يقول ذلك حقيقة إذ تكون الوحدة بين الزوجين كما يرمي إليه النص المذكور هي وحدة الحال بينهما، وقوة الارتباط المعنوي، فرمزاً لهذه الوحدة المعنوية وتوكيداً لها عبّر بالوحدة الجسدية إذ قال: (ويكونان جسداً واحداً) فهكذا يجب أن يفهم قول المسيح: (أنا والآب واحد) رمزاً وتوكيداً للارتباط المعنوي شأنه شأن باقي الأنبياء والمرسلين في ارتباطهم المعنوي بالله، بل وسائر المؤمنين بالرسل أيضاً لهم نفس هذا الارتباط المعنوي بالله.

(٣)

مبحث (قول المسيح: الآب فيَّ وأنا فيه)

يذكر النصارى أن الاتحاد الكليّ بين المسيح وبين الله الذي يعتقدونه، ورد فيما ورد بإنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ٣٨ من قول منسوب للمسيح: (إنَّ الآب فيَّ وأنا فيه).

ويستدلون من هذا النص بالآتي:

(أ) إن هناك اتحاداً كلياً بين المسيح وبين الآب (وهو الله).

(ب) ويتساوى أحدهما بالآخر في الجوهر والمجد والمقام.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن في الأسفار المقدسة عدة فقرات بحق المؤمنين بالمسيح تشبه عبارة: (الآب فيّ وأنا فيه)، ومع ذلك فعلماء اللاهوت النصارى لا يفسرونها كما فسروا العبارة الأولى المذكورة؛ منها مثلاً:

١ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٢ عدد ٤، ٥ قول يوحنا في الله:

(من قال قد عرفته، وهو لا يحفظ وصاياه، فهو كاذب وليس الحق فيه، وأما من حفظ كلمته في هذا اكتملت محبة الله بهذا نعرف أننا فيه) أي أننا في الله.

٢ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٢ عدد ٢٤:

(إن ثبت فيكم ما سمعتموه من البدء فأنتم أيضاً تثبتون في الابن وفي الآب).

٣ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ١٣:

(بهذا تعرف أننا نثبت فيه وهو فينا) أي الله.

٤ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٣ عدد ٢٤ عن الله:

(ومن يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه، وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح القدس الذي أعطانا).

٥ ــ ورد بإنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٢٠ ــ ٢٣ قول المسيح:

(ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم، ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتني، وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد، أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني).

٦ ــ ورد أيضاً في إنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٢٥، ٢٦ قول المسيح:

(أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني، وعرَّفتهم اسمك وسأعرِّفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم).

٧ ــ ورد أيضاً في إنجيل يوحنا المذكور ص ١٤ عدد ٢٠:

(في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم).

* * *

مما تقدَّم إيراده من نصوص نرى أن المسيح قال:

(أ) ليكونوا هم أيضاً واحداً.

(ب) أنا فيهم وأنت فيّ.

(ج) وأكون أنا فيهم.

(د) وأنتم فيّ وأنا فيكم.

مما يفهم من هذه الأقوال الأخيرة من كلام المسيح يفهم من قوله: (أنا فيّ أبي) أو من قوله (أنا والآب واحد).

* * *

ثانياً: إن معنى كون المسيح في الآب ثبوته فيه بالمحبة والقداسة والطاعة لذاته، ومعنى كون المؤمنين بالمسيح ثبوتهم فيه بالمحبة والطاعة لوصاياه الإلهية، ومعنى كون المسيح فيهم، ثبوته فيهم بالمحبة والرضا ويستدل على ذلك بالآتي:

١ ــ ما ورد بإنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٣١ من قول المسيح:

(إنكم إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي).

٢ ــ ما ورد في إنجيل يوحنا ص ١٥ عدد ١ ــ ٧:

(أنا الكرمة الحقيقة وأبـي الكرام، كل غصن فيّ لا يأتي بثمر ينزعه وكل ما يأتي بثمر يبقيه ليأتي ثمر أكثر، أنتم الآن أنقياء بسبب الكلام الذي كلمتكم به اثبتوا فيّ، وأنا فيكم كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة، كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيّ، أنا الكرمة وأنتم الأغصان، الذي يثبت فيّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير، لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً، إن كان أحد لا يثبت فيّ يطرح خارجاً كالغصن، فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق، إن ثبتم فيّ وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم).

فيعلم مما تقدم من أقوال وأشباهه أن معنى كون المسيح في الآب، ومعنى كون الآب في المسيح، ثبوته فيه بالمحبة والرضا، ومعنى كون أتباع المسيح في المسيح، ثبوتهم فيه بالمحبة والطاعة لوصاياه الإلهية، ومعنى كون المسيح في أتباعه ثبوته فيهم بالمحبة والرضا.

ولما كان الضد أقرب خطوراً للذهن عند ذكر ضده، كان قول المسيح في إبليس مفسراً للمعنى السابق إيضاحه منها.

(أ) ما ورد بإنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٤٤:

(لم يثبت فيّ الحق لأنه ليس فيه حق).

أي أن إبليس لم يثبت في البر والحق، بل سقط من الحال التي كان عليها، لأنه ليس فيه حق، إذ لا يقدر أحد أن يثبت في الحق، ما لم يكن على شيء من حب الحق، وعدم ثبوت إبليس في الحق، هو من صفاته وصفات أتباعه دائماً، لأن المسيح هو ضد إبليس وعدوه فأعماله هي ضد أعماله ونقض لها.

(ب) يرجع في ذلك إلى ما ورد في إنجيل متى ص ١٣ عدد ٣٩، وإلى سفر أعمال الرسل ص ١٠ عدد ٣٨، وإلى رسالة يوحنا الأولى ص ٣ عدد ٨.

وخلاصة مـا تقدَّم:

أن معنى ما ينقل عن المسيح من قول: (الآب فيّ وأنا فيه) أن الله ثابت بالمحبة

والرضا وأن المسيح ثابت فيه بالمحبة والطاعة.

* * *

ثالثاً: تطرُّف النصارى في الفهم بعد تشبعهم بفكرة الاتحاد الحلول:

وتطرُّف النصـارى في فهمهم للاتحاد والحلول إلى القول بأن المسيح هو الله، وليس نبياً كسائر الأنبياء، لأن الآب (وهو الله) حسب قولهم حالّ فيه، ومتحد معه، ويستدلون على ذلك بما ورد بإنجيل يوحنا ص ١٤ عدد ١٠، ١١ من قول منسوب للمسيح:

(ألست تؤمن أني أنا في الآب والآب فيّ، الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به، من نفسي لكن الآب الحال فيّ هو يعمل الأعمال، صدقوني أني أنا في الآب والآب فيّ وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها).

لذلك يقول النصارى إن عبارة ــ **الحال فيّ** ــ تفيد اتحاد المسيح بالآب مما يدل عليّ حسب قولهم: إنه ز الله وليس نبياً كسائر الأنبياء.

الـــرد:

ويُرد على ذلك بأن:

هذا الحلول في المسيح هو حلول رضا الله ومحبته وقداسته وطاعته ورضاه في المسيح، ومواهبه القدسية فيه ويستدل بالآتي:

أولاً ــ في العهد الجديد:

١ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ١٥، ١٦:

(من اعترف أن يسوع هو ابن الله، فالله يثبت فيه وهو في الله، ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التي لله فينا، الله محبة، ومن يثبت في المحبة ثبت في الله والله فيه).

٢ ــ ورد في رسالة يوحنا الأولى ص ٣ عدد ٢٤ في وصف الله:

(ومن يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه، وبهذا نعرف أنه يثبت فينا، من الروح الذي أعطانا).

٣ ــ كما ورد في رسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ١٢، ١٣:

(الله لم ينظره أحد قط، إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا، ومحبته قد تكلمت فينا، بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا، إنه قد أعطانا من روحه).

* * *

ثانياً ــ في العهد القديم:

١ ــ ورد في سفر الخروج ص ١٥ عدد ١٧:

(المكان الذي صنعته يا رب لسكنك).

٢ ــ وورد في مزمور ٦٨ عدد ٦:

(ولماذا أيتها الجبال المسنمة ترصدن الجبل الذي اشتهاه الله لسكنه، بل الرب يسكن فيه إلى الأبد).

٣ ــ وورد في مزمور ١٣٥ عدد ٢١:

(مبارك الرب من صهيون الساكن في أورشليم).

وهنا طبقاً للنصوص السابقة نجد أنفسنا بين أحد أمرين:

الأمر الأول: إن من يؤمن بالمسيح ويحفظ وصاياه وأحب المؤمنين به يثبت الله فيه، ويثبت هو في الله، وهذا هو الحلول بعينه بلا مزية أو فرق بين المسيح وبينه، وبذلك يتحد الجميع بالله ويحلول في الله، والله يحل فيهم، ويكون كل واحد من هؤلاء المؤمنين بالمسيح أو ممن يحفظ وصاياه أو ممن أحب المؤمنين، هو الله شأنه شأن المسيح نفسه طبقاً لمنطق فهم النصارى في الحلول.

كذلك اتحاد الله وحلوله في مكان السكن بجبل الموريا[1] أو بمدينة أورشليم القدس ــ كما كانت تسمّى قديماً ــ ويكون الجبل موريا ومدينة أورشليم هو الله طبقاً للمنطق السابق، وهذا بالبداهة منطق خاطىء بالنسبة لمادة الحلول، ومادة الثبوت، ومادة السكن، والتي جاءت مترادفة في النصوص السابقة متحدة في معناها.

---

(١) جبل الموريا: هو الجبل الذي بُني عليه هيكل سليمان في مدينة القدس أو أورشليم كما كانت تسمى قديماً.

والأمر الثاني: أو الأمر الآخر: هو الجنوح إلى التأويل في معنى الألفاظ السابقة وذلك بأن نؤول ثبوت الله فيمن يحفظون وصاياه، وفيمن يحبون المؤمنين به، أو فيمن يحبون بعضهم بعضاً، أو فيمن يؤمنون بالمسيح بثبوته فيهم بالمحبة والرضا.

كذلك سكنى الله في جبل الموريا أو في مدينة أورشليم، وتأويل ذلك هو وضع اسم الله المقدس عليها، وجرياً على قاعدة المساواة في التأويل، يجب تأويل ما ورد من حلول الله في المسيح بحلوله فيه بالمحبة والقداسة والطاعة والرضا والمواهب القدسية **وهذا هو المعنى الذي يجب الأخذ به.**

* * *

ثالثاً ــ ورد في الأسفار السابقة أن روح الله حلَّت على **حزقيال وألداد وميداد** كما تحل على النصارى وفيهم، ولم يقل أحد إن واحداً من هؤلاء متحد مع الله، أو أنه هو الله طبقاً للآتي:

١ ــ ورد في سفر حزقيال ص ١١ عدد ٥ قول حزقيال النبـي:

(وحلَّ عليَّ روح الرب).

٢ ــ ورد في سفر العدد ص ١١ عدد ٢٦ في ألداد وميداد:

(فحلَّ عليهما الروح).

٣ ــ ورد برسالة يعقوب ص ٤ عدد ٥ قول يعقوب الرسول:

(الروح الذي حل فينا يشتاق إلى الغيرة).

٤ ــ ورد برسالة بطرس الأولى ص ٤ عدد ١٤ قول بطرس:

(لأن روح المجد والله يحل عليكم).

فإذا كانت روح الله حلَّت على حزقيال وألداد وميداد وتحل على النصارى وفيهم، ولم يقل أحد بأن واحد من هؤلاء متحد مع الله أو أنه الله، فلماذا القول بذلك في المسيح، لمجرد الأخذ بظاهر كلمة متشابهة دون إجراء تأويلها، كما تأولت أشباه تلك الكلمة.

(٤)

مبحث (قول المسيح: أنا أعرفه لأنِّي مِنه)

يقول النصارى: إن المسيح كائن من الله فيكون ابنه الأزلي المنبثق منه ويستدلون بالآتي:

١ ــ ما ورد بإنجيل يوحنا ص ٧ عدد ٢٩ من قول منسوب للمسيح:
(أنا أعرفه لأني منه).

٢ ــ ما ورد بإنجيل يوحنا ص ١٣ عدد ٣ عن المسيح:
(وأنه من عند الله خرج).

٣ ــ ما ورد بإنجيل يوحنا ص ١٦ عدد ٣٠ من قول منسوب لتلاميذ المسيح:
(لهذا نؤمن أنك من الله خرجت).

الــــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

١ ــ **إن التراكيب السابقة جرت على اصطلاح اليهود وقت بعثة المسيح عليه السلام إليهم**، هذا الاصطلاح جرى على نسبة الأشياء الخيرية لله، وهي نفس الاصطلاحات السابقة على بعض الأنبياء المؤمنين بدليل الآتي:

(أ) ما ورد بسفر التكوين ص ٢٣ عدد ٦ كما قال بنو حث لإبراهيم:
(أنت رئيس من الله).

(ب) ما ورد بإنجيل يوحنا ص ١٨ عدد ٣٧ من قول منسوب للمسيح:
(وكل من هو من الحق يسمع صوتي).

(ج) ما ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ٤ عن بعض المؤمنين:
(أنتم من الله أيها الأولاد).

(د) ما ورد برسالة يوحنا الأولى أيضاً ص ٤ عدد ٦ عن نفسه والمؤمنين:
(نحن من الله).

(هـ) ما ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ١ :

(لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله).

(و) ما ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ٧ :

(وكل من يحب فقد وُلد من الله).

(ز) ما ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٥ عدد ١٨ :

(بل المولود من الله يحفظ نفسه).

* * *

٢ ــ وكما بالعكس تنسب الأشياء الشريرة للشيطان، أو كما يدعى عندهم وقتئذٍ بإبليس والأمثلة على ذلك:

(أ) ما ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٣ عدد ٨ :

(من يفعل الخطية فهو من إبليس).

(ب) ما ورد بإنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٤٤ :

(أنتم من أب هو إبليس).

(ج) ما ورد بإنجيل يوحنا ص ٩ عدد ١٦ من قول بعض الفريسيين إنكاراً منهم للمسيح:

(هذا الإنسان ليس من الله، لأنه لا يحفظ السبت).

(د) ما ورد بإنجيل يوحنا ص ٩ عدد ٣٣ عن قول من آمن بالمسيح من اليهود:

(لو لم يكن هذا من الله، لم يقدر أن يفعل شيئاً).

(هـ) ما ورد بإنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٤٧ من قول المسيح لليهود:

(الذي من الله يسمع كلام الله، لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله).

* * *

٣ ــ إن أصل القول المنسوب للمسيح في ص ٧ مستكمل في عدد ٢٨ و ٢٩ من إنجيل يوحنا وهو:

(فنادى يسوع، وهو يعلِّم في الهيكل قائلاً: تعرفونني وتعرفون من أين أنا ومن نفسي لم آت، بل الذي أرسلني هو حق، الذي أنتم لستم تعرفونه، أنا أعرفه لأني منه وهو أرسلني).

فبناء على ما ذكرناه سابقاً يكون المعنى لقوله: (لأني منه). أي أنني جئت من قِبَله، لا من نفسِه بدليل قوله بعد ذلك (ومن نفسي لم آت)، أي أنني مرسل منه، بدليل قوله بعد ذلك (بل الذي أرسلني هو حق).

أو يكون المعنى لعبارة (لأني منه)، أي لأني من عنده بدليل قوله فيما ورد بإنجيل يوحنا ص ١٦ عدد ٢٨ من قول المسيح نفسه:
(خرجت من عند الآب).

أو يكون المعنى للعبارة المذكورة (لأني منه) أي لأني من قبله بدليل قوله فيما ورد بإنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٤٢:
(خرجت من قبل الله).

والنتيجة من كل ما تقدَّم:

(أ) أنه لا تقتضي عبارة (لأني منه) أن يكون المسيح أقنوماً من الله مساوياً له.

(ب) هذه النتيجة وهذا المعنى الثابت لا جدال فيه، وإلاَّ كان بنو حث، وهؤلاء المؤمنون المشار إليهم فيما سبق الخيِّرون والمنسوبون لله أنهم أقانيم هم أيضاً، وأنهم أجزاء منه مساوون له في الجوهر، أو أن هؤلاء الأشرار المنسوبين لإبليس أنهم أجزاء منه مساوون له في جوهره.

* * *

٤ ــ إن قول التلاميذ: (لهذا نؤمن أنك من الله خرجت) الوارد بإنجيل يوحنا ص ١٦ عدد ٣٠ أفصح منه وأوضح قول السيد المسيح نفسه:

(أ) الوارد في إنجيل يوحنا نفسه ص ١٦ عدد ٢٧، ٢٨ وهو:

(لأنكم قد أجبتموني، وآمنتم أني من عند الله خرجت، خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم، وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب).

ومما لا جدال فيه أن معنى قوله: (وأذهب إلى الآب) يفسره قول سليمان الوارد في سفر الجامعة ص ١٢ عدد ٧ (فيرجع التراب إلى الأرض كما كان **ويرجع الروح إلى الله الذي أعطاها)**.

(ب) وقول المسيح فيما ورد عنه بإنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٨:

(لأن الكلام الذي قد أعطيتني أعطيتهم وهم قبلوا، وعلموا يقيناً، أني خرجت من عندك، وآمنوا أنَّك أرسلتني).

فالملاحظ أن المسيح عليه السلام قال:

(**إني من عند الله خرجت**) في ص ١٦ عدد ٢٧ من إنجيل يوحنا، كما قال بعد ذلك: (**خرجت من عندك**) في ص ١٧ عدد ٨ من الإنجيل المذكور.

وهذا إشارة إلى أنه صادق، وخروجه صدق وخيريّ لا خروج شريريّ كذب من عند الشيطان.

وقد قيل نظير ذلك عن **المرأة العاقلة المستقيمة**، كما ورد في سفر الأمثال ص ١٩ عدد ١٤ من قول سليمان عليه السلام: (**أما الزوجة المتعقلة فمن عند الرب**).

(٥)
مبحث (عبارة الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب)

مما يستدل به النصارى باتحاد المسيح بالآب والمشاركة في عواطفه ومعرفة أفكاره بما يجعل له امتيازاً، وذلك بما ورد في إنجيل يوحنا ص ١ عدد ١٨ ونصه:

(الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر).

ويقول النصارى: إن في هذا القول إشارة إلى كون المحبة بين المسيح والآب بلغت منتهاها، والاتحاد به والمشاركة في عواطفه ومعرفة أفكاره، فالمسيح إن كان بناسوته على وجه الأرض، لكنه كان بلاهوته في حضن الآب، كما هو منذ الأزل وإلى الأبد، الأمر الذي لم يشاركه فيه أحد.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

إن معنى كون المسيح في حضن الآب مجاز عن شدة قربه لله، ومع ذلك فقد ورد نفس هذا اللفظ (حضن الآب) أو ما يساويه بالنسبة لآخرين، ولم يقل أحد عنهم بأنهم متحدون بالآب أو أن الآب حلَّ فيهم طبقاً للآتي:

١ ـ ورد في سفر التثنية ص ٢٣ عدد ١٢ قول يعقوب في وصف بنيامين:

(حبيب الرب يسكن لديه آمناً، يستره طوال النهار وبين منكبيه يسكن).

ولا شك أن الساكن بين منكبي الرب أقوى وأعلى وأجل من الجالس في حضنه، فلو كان القول بأن المسيح في حضن الآب يقتضي اتحاده به ومشاركته له في عواطفه ومعرفة أفكاره لكان بنيامين متحداً بالآب ومشاركاً له في عواطفه ومعرفة أفكاره.

٢ ـ ورد في سفر مراثي أرميا ص ٢ عدد ٢٢ عن بني إسرائيل:

(الذين حضنتهم وربيتهم أفناهم عدوى).

فهنا نجد في هذا النص أن بني إسرائيل أيضاً وقتئذٍ كانوا في حضن الآب، فهل بنو إسرائيل متحدون بالله، ومشاركون له حتى يقال إنه حل فيهم كالمسيح؟ والجواب لم يقل بذلك أحد.

فلماذا إذاً القول بذلك الاتحاد، والحلول في المسيح، مع أن لفظ (حضن) واحد بالنسبة للمسيح وبالنسبة لليهود، وهنا لا بد أن يقال: إن هذا الوصف ليس على حقيقته، بل ذاك مجاز عن شدة القرب والاطمئنان برضا الله.

* * *

ولهذا الوصف نظيره في اعتقاد اليهود، من أن حظ كل يهودي مؤمن، الحلول في حضن إبراهيم في الآخرة:

١ ـ فقد قالوا: إنه مجاز عن شدة القرب، ونوال الراحة والحلول في الفردوس حسبما قرره علماء اللاهوت النصارى في معنى قول المسيح الوارد بإنجيل لوقا ص ١٦ عدد ٢٢ ـ ٢٤ ونصه:

(فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم، ومات الفتى أيضاً ودفن فرفع عينيه في الجحيم، وهو في العذاب ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه).

٢ ــ وفي الحقيقة أن كتبة الأسفار اصطلحوا على أنهم يعبرون عن شدة القرب بالوجود في الحضن والأمثلة على ذلك الآتي:

(أ) ما ورد بسفر أرميا ص ٣٢ عدد ١٨ قوله:

(ومجازي ذنب الآباء في حضن بنيهم).

(ب) ورد في مزمور ٨٩ عدد ٥٠ قول داود:

(اذكر يا رب عار عبيدك الذي أحتمله في حضني).

(ج) ورد في مزمور ٧٩ عدد ١٢ قول داوود:

(في أحضانهم العار الذي عيروك به يا رب).

(د) ورد في سفر الجامعة ص ٧ عدد ٩ من قول سليمان:

(لا تسرع بروحك إلى الغضب لأن الغضب يستقر في حضن الجهال).

(٦)
مبحث (قول المسيح: كل ما للآب هو لي)

يستدل النصارى على اتحاد المسيح بالآب، بما ورد في إنجيل يوحنا أيضاً بالقولين الآتيين:

١ ــ ما ورد في إنجيل يوحنا ص ١٦ عدد ١٥:

(كل ما للآب هو لي).

٢ ــ كما ورد بالإنجيل المذكور ص ٢٧ عدد ١٠ خطاب المسيح لله:

(وكل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي).

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

١ ــ بالنسبة للقول الأول فإن أصله مقولة المسيح خطاباً لقومه، هكذا في إنجيل يوحنا ص ١٦ عدد ١٢ ــ ١٥:

(إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية، ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي، ويخبركم كل ما للآب هو لي، لهذا قلت إنه يأخذ مما لي ويخبركم).

فالمسيح عليه السلام يقول: إن عنده تعاليم كثيرة وإرشادات وفيرة وبشارات غزيرة وإنذارات وإنباءات عن حوادث المستقبل منيرة، وكان يريد أن ينشرها أمام عيون قومه من اليهود، ولكنه رآهم غير مستعدين لقبولها، ولما كان يعلم بنور النبوَّة أن العالم يسير في طريق التقدم بحسب طبيعة الكون وقوانين الارتقاء، اكتفى بأن أخبر حوارييه وتلاميذه بأنه بعد حين يجيء لهم (روح الحق) فيخبرهم بالحق بجميع الحق، ولا سبيل إلى أن يخطىء فيما يتكلم به معلماً ومخبراً، إذ ليس كلامه من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويتلوه ويحكيه لقومه مخبراً بعظائم الأمور وعجائب المستقبل.

ومن هو يا ترى روح الحق هذا؟ إنه ليس روح القدس، بل روح الحق إنسان ينقل ما يسمعه من الله ويخبركم، وهذا الوصف لا ينطبق إلاَّ على نبيّ الإسلام محمد ﷺ، الذي كان أمياً، وهو معنى قوله تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عِنِ ٱلْهَوَى إنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[1].

ثم انظر قول المسيح: (ذاك يمجدني)، ولم يمجده نبيّ ظهر بعد المسيح إلاَّ نبيّ الإسلام محمد ﷺ، فهو مجَّد المسيح عليه السلام، وبيَّن فضله، وأزال ما ألصقه اليهود به وبأمه من ذم، وما ألصقه به النصارى من غلوّ.. ولم يكن ذاك من النبي محمد ﷺ إلاَّ عن طريق الإخبار من الله، فهو يأخذ هذه الأخبار عن الله، ثم يخبر بها الناس بعد ذلك[2].

---

(١) سورة النجم: الآيتان ٣، ٤.

(٢) كتاب محمد نبيّ الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن للمؤلف.

٢ ــ أما بالنسبة للقول الثاني الوارد بإنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ١٠ فإن ما ورد عن هذه الواقعة يبدأ في ص ١٧ من عدد ٦، ٩، ١٠ ونصه:

(أما أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم، كانوا لك وأعطيتهم لي، وقد حفظوا كلامك، والآن عَلِموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك، لأن الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم، وهم قبلوا وعَلِموا يقيناً أني خرجت من عندك، وآمنوا أنك أنت أرسلتني، من أجلهم أنا أسأل، لست أسأل من أجل العالم بل من أجل الذين أعطيتني لأنهم لك، وكل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي، وأنا ممجد فيهم).

فالمسيح عليه السلام يصلي صلاة الشفاعة، ويطلب من الله من أجل تلاميذه، ومن أجل حوارييه مبيناً:

(أ) في عدد ٦ ونصه:

(للناس الذين أعطيتني من العالم، كانوا لك وأعطيتهم لي وقد حفظوا كلامك).

أي أنهم كانوا معينين لله في سابق علمه، وإذ سبقت لهم السعادة في سابق العالم القديم أعطوا للمسيح من طرف الله.

(ب) وفي عدد ٩ ونصه:

(من أجلهم أنا أسأل لست أسأل من أجل العالم بل من أجل الذين أعطيتني لأنهم لك)، فهؤلاء التلاميذ والحواريُّون وإن كانوا منسوبين إلى المسيح إلاَّ أنهم عباد الله، هو اختارهم واصطفاهم للمسيح، وإن قسموا باسم تلاميذ المسيح وحوارييه، ويؤكد هذا التفسير العدد التالي من النص.

(ج) وهو عدد ١٠ ونصه:

(وكل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي، وأنا ممجد فيهم).

فكلام المسيح كله ينصب على التلاميذ والحواريين، وكان المسيح يقول إنما صليت صلاتي الشفاعية لتلاميذي وحواريّ راغباً إليك يا الله أن تعطيني ما طلبت بدعائي فيهم لشيئين:

أولهما: (راجع إليك يا رب لأني لم أُصلِّ لمن هم لي بالحقيقة ولكن لمن هم لك فلست أطلب لأجانب عنك).

ثانيهما: (عائد لي، فهم منسوبون إلي وإن كنت أنت سبحانك قد اخترتهم واصطفيتهم فهؤلاء التلاميذ والحواريين أتمجَّد بهم، ولذلك أرجو منك يا إلّهي أن تعطيني طلبتي فيهم)، وإذا اتضح معنى هذا القول من المسيح فيثبت منه أن هذا الكلام لا يدل على اتحاد ولا على لاهوت في المسيح كما تزعم النصرانية.

(٧)
مبحث (قول المسيح: الذي رآني فقد رأى الآب)

يقول النصارى بامتياز المسيح بمساواته بالله وباتحاده به، ويستدلون على ذلك بالآتي:

١ ــ ما ورد بإنجيل يوحنا ص ١٢ عدد ٤٥ ونصه:

(والذي يراني يرى الذي أرسلني).

٢ ــ ما ورد بإنجيل يوحنا ص ١٤ عدد ٨، ٩، ونصه من قول فيليبس للمسيح:

(قال له فيليبس: يا سيد أرنا الآب وكفانا، قال له يسوع: إنا معكم زماناً، هذه مدته، ولم تعرفني يا فيليبس، الذي رآني فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت أرنا الآب).

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن أسفار العهد الجديد اتفقت على عدم إمكان رؤية ذات الله، فضلاً عن وقوعها طبقاً للآتي:

١ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ١ عدد ١٩:

(الله لم يره أحد قط).

٢ ــ ما ورد في إنجيل يوحنا ص ٥ عدد ٣٧:

(والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته).

٣ ــ ما ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ١٢:

(الله لم ينظره أحد قط).

٤ ــ ما ورد بإنجيل يوحنا ص ٤ عدد ٢٠:

(إن قال أحد إني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب لأن من لا يحب أخاه الذي أبصره، كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره).

٥ ــ ورد برسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ص ٦ عدد ١٦:

(الذي وحده له عدم الموت ساكناً في نور لا يُدنى منه، الذي لم يره أحد ولا يقدر أن يراه).

٦ ــ وما ورد برسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ص ١ عدد ١٧:

(ملك الدهور الذي لا يفنى ولا يرى، الإلّه الحكيم، وحده له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور).

* * *

ثانياً: إن أسفار العهد القديم ورد فيها مثل ذلك:

فقد ورد في سفر الخروج ص ٣٣ عدد ٢٠ من خطاب الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام:

(لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش)[١].

فإذا تقرر ذلك فليس معنى (الذي رآني فقد رأى الآب). أن الذي يرى المسيح بعين الجسد يرى ذات الله كذلك، لأن هذا طبقاً للأدلة السابقة من المحال.

بل المراد أن الذي يرى المسيح يرى ما أراد الله إعلانه بواسطته من أقوال وأفعال، وبعبارة أخرى يتضح من البراهين السالف الإشارة إليها أن ذات الله ليست من المرئيات قط، ولما كان المسيح قد أعلن صفات الله وإرادته ومقاصده كان من رأى المسيح بمعجزاته يرى قدرة الله تعالى ورحمته.

ومن رأى المسيح بأخلاقه كحنوّه على المرضى ورغبته في خلاص الهالكين، وتواضعه للمساكين، رأى عفو الله تعالى على الخطاة، ومحبته للتائبين.

---

(١) وهذا ما قرره القرآن الكريم في محكم آياته في سورة الأعراف: الآية ١٤٣ ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربّه قال رب أرِني أنظر إليك قال لن تراني﴾.

ومن رأى المسيح بوداعته وقداسة سيرته، رأى حلم الله تعالى، وطول أناته، وإمهاله على المذنبين **فالرؤيا رؤيا معنوية.**

وهكذا فالمسيح مرسل من الله ليعلِّم الناس بأفعاله وأقواله وأحواله، وهذا ما قاله العلماء اللاهوتيون في تقرير معنى كلام المسيح.

ومن الشرح السابق يتضح أنه لا مساواة بين المسيح وبين الآب، وهو الله لا في الذات ولا في الجوهر وبالتالي لا اتحاد بينهما.

● ● ●

الباب السابع

في

قول النصرانية اقتران اسم المسيح باسم الآب في ثمانية علامات

وقد فهم النصارى بسبب ذلك أن المسيح متحد في الله، وهذه العلامات هي:

(١) من يقبلني يقبل الذي أرسلني.

(٢) والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني.

(٣) الذي يبغضني يبغض أبـي أيضاً.

(٤) الذي يؤمن بـي ليس يؤمن بـي بل بالذي أرسلني.

(٥) لو عرفتموني لعرفتم أبـي أيضاً.

(٦) من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله.

(٧) من يسمع من المسيح يسمع من الآب.

(٨) أنا حيّ بالآب.

والرد على هذه الأقوال.

(١)

مبحث (قول المسيح: من يقبلني يقبل الذي أرسلني)

ورد في إنجيل متى ص ١٠ عدد ٤٠ من قول منسوب للمسيح:

(ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني).

ويستخلص النصارى من هذا القول أن المسيح له اتحاد مع الله.

الـــرد:

لكن يُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: أن كلمة «أرسلني» تنافي القول بالاتحاد لأن المرسِل غير المرسَل وليس مساوياً له.

ثانياً: إن حرف الواو في أول الكلام وهو «ومن» هذه الواو واو العطف وتعطف الكلام الذي بعدها على ما قبلها، والكلام الذي هو قبلها نصه: (من يقبلكم يقبلني). وبعده: (ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني).

ونظير ذلك فيما ورد بإنجيل يوحنا ص ١٣ عدد ٢٠ ونصه:

(الحق الحق أقول لكم، الذي يقبل من أرسله يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني).

فإذا كان هناك اتحاد بين المسيح والآب حسب الفقرة الأخيرة كان هناك اتحاد بين النصارى والتلاميذ أيضاً، وهذا ما لم يقل به أحد عاقل، وما دام الأمر كذلك لم يكن هناك اتحاد في الفقرة الأخيرة لأنها تساويها وهي مثلها.

(٢)

مبحث (قول المسيح: والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني)

ورد في إنجيل لوقا ص ١٠ عدد ١٦ القول المنسوب للمسيح:

(والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني).

ويستخلص النصارى من هذا القول برهاناً على اتحاد أقنومَيْ الابن والآب في الجوهر، أي أن هناك اتحاداً بين المسيح وبين الله.

الـــرد:

لكن يُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن الفقرة السابقة مسبوقة بفقرة أخرى نصها كالآتي مع ما بعدها:

(والذي يرذلكم يرذلني، والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني).

فلو كانت الفقرة الثانية وهي قوله: (والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني) تقتضي اتحاد المسيح بالله في الجوهر لاقتضت الفقرة التي قبلها وهي (والذي يرذلكم يرذلني) لاقتضت اتحاد المسيح بتلاميذه في الجوهر وهو باطل.

وللخروج من ذلك المأزق لا بد من التأويل، وأقول بأن هذا الاتحاد قاصر فقط على المحبة وإرادة الخير.

ثانياً: إن من المُسَلَّم به أن إهانة الرسول هي إهانة لمن أرسله، واحترامه احترام لمن أرسله، دون أن يقتضي ذلك الاحترام أي اتحاد بين الرسول والمرسل.

(٣)

مبحث (قول المسيح: الذي يبغضني يبغض أبــي أيضاً)

ورد في إنجيل يوحنا ص ١٥ عدد ٢٣ القول المنسوب للمسيح:

(الذي يبغضني يبغض أبــي أيضاً).

ويستخلص النصارى من هذا القول الاتحاد والمساواة بين الآب والابن، لأنه من المحال أن يحب الواحد ويكره الآخر، أو أن يبغض الواحد ويستهان به دون الآخر.

الـــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: أن هذا القول لا يدل أي دلالة على اتحاد المسيح بالله فإن القول ببغض الله، بسبب بغض وكراهية المسيح لا يدل على اتحاد المسيح بالله.

ثانياً: شبيه ذلك إذا قال أحد سفراء دولة ما في دولة أخرى جملة مثل ذلك، وهي: (والذي يبغض رئيس دولتي) لا يفهم منه إطلاقاً اتحاد هذا السفير مع رئيس دولته ومساواته له.

(٤)

مبحث (قول المسيح: الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني)

ورد في إنجيل يوحنا ص ١٢ عدد ٤٤ القول المنسوب للمسيح:

(الذي يؤمن بـي ليس يؤمن بـي بل بالذي أرسلني).

ويستخلص النصارى من هذا القول بأن الإيمان بالمسيح يتضمن الإيمان بالله الآب، وهذا يفيد الاتحاد التام بين المسيح والآب الذي هو الله حتى لا يمكن لشخص أن يؤمن بأحدهما دون الآخر.

الـــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن المراد من هذا القول أن الإيمان بالمسيح وسيلة إلى الإيمان بالله ويستدل ذلك من قول بطرس الوارد في رسالته الأولى ص ١ عدد ٢٠، ٢١ وهو:

(معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم).. (ولكن قد أظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم أنتم الذين به ـــ أي بواسطته ـــ تؤمنون بالله الذي أقامه، أي أقام المسيح من الأموات، وأعطاه مجداً حتى أن إيمانكم ورجاؤكم هو في الله).

فالمعنى أن الإيمان بالمسيح ورجاء الخلاص به يسببان الإيمان بالله.

ثانياً: إن من يؤمن بالمسيح ليس يؤمن به عشوائياً دون أن يرى أعجوبات، بل إنما من يؤمن به لما يرى من الأعجوبات، وتلك الأعجوبات هي من عمل الله وبذلك تكون النتيجة أن من يؤمن بالمسيح هو مؤمن بالله الذي أجرى عمل الأعجوبات على يده، ويفسر ذلك قول المسيح المنسوب إليه في إنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ٣٧، ٣٨:

(إن كنت لست أعمل أعمال أبـي فلا تؤمنوا بـي، ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بـي فآمنوا بالأعمال).

كما يفسره قول بولس الوارد في رسالته إلى كولوسي ص ٢ عدد ١٢ :

(مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله).

ومن كل هذه النقول، وما يؤكده العقل، لم يكن في النص السابق إيراده بعنوان هذا المبحث أيّ دليل على الاتحاد الذي تدعيه النصرانية بين الله وبين المسيح.

(٥)
مبحث (قول المسيح: لو عرفتموني لعرفتم أبـي أيضاً)

ورد في إنجيل يوحنا ص ٨ عدد ١٩ القول المنسوب للمسيح:

(لو عرفتموني لعرفتم أبـي أيضاً).

ونحوه القول المنسوب للمسيح بإنجيل يوحنا ص ١٤ عدد ٧:

(لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبـي أيضاً).

ويستخلص النصارى من ذلك اتحاد المسيح بالآب وأن جهل أحد الأقنومين يتضمن جهل الآخر.

الـــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن كلمة أيضاً موجودة بالنصين وهذه الكلمة ترمي إلى أن معرفة المسيح غير معرفة الله.

ثانياً: ظاهر من القولين السابقين أن عدم معرفة المسيح الذي جاء ليعلن كلام الله وصفات الله بقداسته ورحمته والأعمال العجيبة التي أجراها خارقة للعادة، يستلزم عدم معرفة الله بكل تلك الصفات، كما أن من المعنى السابق: أن عدم معرفة الله مانع من معرفة المسيح مسيحاً مرسلاً من الله، وليس في هذا المعنى إشارة للاتحاد البتة.

(٦)

مبحث (قول المسيح: من لا يكرم الابن لا يكرم الأب الذي أرسله)

ورد بإنجيل يوحنا ص ٥ عدد ٢٣ القول المنسوب للمسيح:

(من لا يكرم الابن لا يكرم الأب الذي أرسله).

ويستخلص النصارى من ذلك النص أن من يأبى إكرام المسيح أو عناده يأبى إكرام الآب، وأن إنكار أحدهما يستلزم إنكار ما للآخر، فلا عبادة حقيقية بلا إكرام الابن، والذي لا يكرم الابن يغيظ الله الآب.

الــرد:

لكن يُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن النص السابق بإنجيل يوحنا يتضمن لفظ (أرسله) وهذا لا يقتضي دعوى الاتحاد من أساسها لأن المرسِل غير المرسَل بداهة.

ثانياً: إن النص يفيد بأن الابن وقع عليه الإرسال، ولا يصح أن من وقع عليه الإرسال أن يكون قديماً، فكيف يتحد مع مرسله القديم.

ثالثاً: إن المسيح لما كان مرسلاً من الله كان عدم إكرامه يعني عدم إكرام مرسله، ومثال ذلك فإن إهانة سفير إحدى الدول تحسب إهانة لدولته، ورئيسها، فإهانة الرسول إهانة لمرسله.

رابعاً: وشبيه ذلك قول الرب لصموئيل النبي في سفر صموئيل ص ٨ عدد ٧:

(لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا).

من كل ما تقدم يتبين أن موقف المسيح يشبه موقف النبـي صموئيل تماماً، ولم يكن هناك أي اتحاد بين النبـي صموئيل وبين الله، لذلك لم يكن أيضاً هناك أيّ اتحاد بين السيد المسيح عليه السلام وبين الله، فكل منهما نبـي مرسل من الله إلى الناس ولا شيء أكثر من ذلك.

(٧)
مبحث (قول المسيح: من يسمع من المسيح يسمع من الآب)

ورد في إنجيل لوقا ص ١٠ عدد ١٦:

(الذي يسمع منكم يسمع مني).

ويستخلص النصارى من ذلك أن هناك اتحاداً في الجوهر بين المسيح وبين الآب الذي هو الله.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن المعنى الصحيح للنص السابق الذي يرمي إليه ويهدف له، هو أن المسيح لما كان سفيراً عن الله صار من يسمع كلامه كأنه يسمع كلام الله، لأن الكلام الذي يتكلم به للهداية وللنصيحة، إذ هو كلام موحى به من الله، وهذا لا يقتضي أيّ اتحاد بين المسيح وبين الله.

ثانياً: كـذلـك لمـا كان تلاميذ المسيح سفراء عن المسيح صار من يسمع منهم كأنما سمع منه، لأن التعليم الذي يُعلِّمونه هو تعليمه، وهذا المعنى لا يقتضي اتحاداً البتة.

وشبيه بذلك قول المسيح المنسوب إليه والوارد في إنجيل يوحنا ص ٥ عدد ٣٧ ونصه:

(والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي، لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته).

فهذا النص لا يقتضي، ولا يفيد أي اتحاد طبقاً لما ذكرناه سابقاً.

(٨)

مبحث (قول المسيح: وأنا حيّ بالآب)

ورد بإنجيل يوحنا ص ٦ عدد ٥٧ القول المنسوب للمسيح:

(وأنا حي بالآب).

ويستخلص النصارى من هذا النص القول باتحاد المسيح بالآب لأنه على حد قولهم يكون معنى النص أن حياة المسيح غير منفصلة عن حياة الآب، إنما هي حياة قائمة باتحاد الابن بالآب في الذات ووحدة الفكر والمحبة والمقاصد والعمل.

الـــرد:

يُرد على ذلك بالآتي:

إن الفقرة السابقة في إنجيل يوحنا فقرة أخرى تالية لها يستقيم بها المعنى، وبذلك يكون النص كالآتي:

(وأنا حيّ بالآب، فمن يأكلني فهو يحيا بـي)[١].

فهنا أثبت المسيح لنفسه حياة بالله، وأثبت الحياة بشخصه لمن يأكله، أي من يؤمن به ويهضم تعاليمه ويعيها ويفهمها حق فهمها.

وهذه الحياة التي للمسيح بالله، وكذلك الحياة التي للنصارى بالمسيح هي الحياة الروحية الأبدية، وهي حياة الإيمان بالله، والمحبة والنفع لخلقه في الدنيا والسعادة في الحياة الآخرة، وإذا كان المعنى كذلك لم يكن هناك أيّ دلالة على الاتحاد في الذات، وإلاّ للزم أن النصارى متحدون مع المسيح في الذات، ولم يقل بهذا القول عاقل.

---

(١) إن لفظ يأكلني هنا لا تفيد الأكل المادي كما يعتقد النصارى بل تفيد أمراً معنوياً وهو الإيمان بتعاليم المسيح وهضمها، والتأمل في أخلاقه الكريمة والتمثل بها، وهذا هو ما يقتضيه مقام الرسالة والنبوة، وليس الأكل المادي لجسد المسيح، وإلاَّ كان الأمر هو أكل لحوم البشر والابتعاد عن الإنسانية إلى الحيوانية، والوحشية، وهذا الأمر الأخير لا يتفق مع العقول السليمة ومقتضيات الحضارة الإنسانية التي تستهدف الشرائع السماوية الرقيّ بها دواماً فيما تنظمه من تشريعات وأحكام.

الباب الثامن

في

أعجوبات المسيح

وهي الأعاجيب السبعة التي وقعت منه، واعتقد معها النصارى لطبيعة المسيح اللاهوتية، وهي:

(١) علم المسيح بالغيب.

(٢) إبراء المسيح البرصى.

(٣) شفاء المسيح العمي.

(٤) قيام المسيح بإطعام عدد كبير من غذاء قليل.

(٥) سلطان المسيح على العناصر الطبيعية.

(٦) دفع المسيح ضرر الشرب الرديء.

(٧) عصمة المسيح عن الصفات الرديئة: الغش والمكر والعيب.

وعصمته عن الخطية والإثـم، مشهود له بالاستقامة والبر.

والرد على هذه الأقوال.

(١)
مبحث (أعجوبة عِلْم المسيح بالغيب)

١ ــ ورد في إنجيل مرقص ص ١٤ عدد ١٢ ــ ١٦ الآتي:

(وفي اليوم الأول من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح، قال له تلاميذه: أين تريد أن نمضي ونعد لنأكل الفصح؟ فأرسل اثنين من تلاميذه، وقال لهما: اذهبا إلى المدينة فيلاقيكما إنسان حامل جرَّة ماء فاتَّبعاه، وحيثما يدخل فقولا لرب البيت: إن المعلم يقول: أين المنزل حيث آكل الفصح مع تلاميذي؟ فهو يريكما علية كبيرة مفروشة معدة، هناك أعدّا لنا، فخرج تلميذاه وأتيا إلى المدينة ووجدا كما قال لهما فأعدا الفصح).

وشبيه بذلك ما ورد في إنجيل متى ص ٢٦ عدد ١٧، وما ورد في إنجيل لوقا ص ٢٢ عدد ٧.

٢ ــ وورد في إنجيل يوحنا ص ١٦ عدد ٣٠ قول التلاميذ:

(الآن نعلم أنك عالم بكل شيء ولست تحتاج أن يسألك أحد).

٣ ــ وورد في إنجيل يوحنا ص ٢١ عدد ١٧:

(قال له ثالثة يا سمعان بني بونا: أتحبني؟ فحزن بطرس لأنه قال له ثالثة أتحبني؟ فقال له: يا رب أنت تعلم كل شيء، أنت تعرف أني أحبك، قال له: يسوع ارعَ غنمي).

ويستدل النصارى من ذلك بأن المسيح يعلم الغيب، ويعلم كل شيء مما يدل على أن في المسيح طبيعة لاهوتية).

الــرد:

لكن يُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: لقد ورد في الأسفار الموجودة بالعهد الجديد ما يفيد أيضاً عدم علم المسيح الغيب طبقاً للآتي:

١ ــ ورد بإنجيل يوحنا ص ٥ عدد ٢٠ القول المنسوب للمسيح أن الله:

(سيريه أعمالاً أعظم من هذه لتعجبوا أنتم).

فلو كان المسيح يعلم هذه الأعمال لما قال عن الله: إنه سيريه تلك الأعمال العظيمة.

٢ ــ ورد بإنجيل متى ص ١٥ عدد ٣٤:

(فقال لهم يسوع كم عندكم من الخبز؟ فقالوا: سبعة وقليل من صغار السمك).

فسؤال المسيح لهم عن مقدار ما عندهم من الطعام نتيجة لعدم معرفته لها.

٣ ــ ورد بإنجيل متى ص ٨ عدد ١٠:

(فلما سمع يسوع تعجب).

فلو كان يعلم كل شيء لما صدر منه التعجب الذي هو نتيجة خفاء السبب.

٤ ــ ما ورد في إنجيل مرقص ص ١٣ عدد ٣٢، ٣٣ القول المنسوب للمسيح:

(وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلاّ الآب).

وشبيه بذلك ما ورد بإنجيل متى ص ٢٤ عدد ٣٦:

(فلو كان المسيح إلَهاً يعلم الغيب لما نفى عن نفسه العلم باليوم والساعة.

ونخلص من ذلك بالنتيجة الآتية:

إن اطلاع المسيح على الغيب المراد منه أن يكون له ذلك من الله تعالى بواسطة سفير الوحي من السماء، وهو الروح القدس ومن نور النبوة ولكن ليس من نفسه.

ثانياً: والعجيب أن علماء اللاهوت لهم رأي في النص الوارد بإنجيل مرقص سالف الذكر ص ١٣ عدد ٣٢، ٣٣، والنص الوارد بإنجيل متى ص ٢٤ عدد ٣٦، لذلك فهم يقولون: إن المسيح لم يعلم حسب قوله المذكور بحسب طبيعته الإنسانية، وليس بطبيعته اللاهوتية عندما ذكر لفظ (ابن).

الـــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: لو كان المراد من المعنى ما ذكره علماء اللاهوت لقال المسيح كلمة (ابن الإنسان)، أي أشار إلى تلك الطبيعة الإنسانية وهذا لم يثبت بل قال (الابن) فقط.

ثانياً: إن اعتبار المسيح وكونه إنساناً لا يمنع أن يعرف الزمان الذي عيَّنه باعتبار كونه إلَهاً إن صح هذا في زعم علماء اللاهوت، لكن الذي حدث هو أنه نفى العلم عن نفسه، وأضافه إلى الآب أي (الله)، أي أن المسيح لو كانت له طبيعة لاهوتية كما يقولون لما نفى العلم عن نفسه.

ثالثاً: يوجد أشخاص آخرون يعلمون الغيب حسب منطوق الأسفار شأنهم شأن المسيح بلا أي فرق أو رمزية، إذا سلمنا بأن المسيح علم الغيب، ولم يقل أحد بأنهم آلهة أو أن لهم طبيعة لاهوتية، والأمثلة على ذلك هي الآتي:

١ ــ يعقوب يعلم الغيب كالمسيح بلا فرق ما:

جاء في سفر التكوين ص ٤٩ في عدد ١ ــ ٢٧:

(ودعا يعقوب بنيه وقال: اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام، اجتمعوا واسمعوا يا بني يعقوب، واصغوا إلى إسرائيل أبيكم، رأوبين أنت بكري، قوتي وأول رجولتي، فضل الرفعة وفضل العز فائراً كالماء، لا تفضل لأنك صعدت على مضجع أبيك حينئذٍ ودنّسته ، على فراشي صعد شمعون ولاوي أخوان، آلات ظلم سيوفهما، في مجلسهما لا تدخل نفس بمجمعهما، لا تتخذ كرامتي، ملعون غضبها فإنه شديد وسخطها فإنه قاس، أُقسِّمهما في يعقوب وأفرقهما في إسرائيل، لأنها في غضبهما قتلا إنساناً وفي رضاهما عرقبا ثوراً يهوذا إياك يحمد إخوتك، يدك على قفا أعدائك، يسجد لك بنو أبيك، يهوذا جرو أسد من فريسة صعدت يا ابني، جثا وربض كأسد وكلبوة من ينهضه، لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب، رابطاً بالكرمة جحشه، وبالجفنة ابن أتانه، غسل بالخمر لباسه، وبدم العنب ثوبه، مسود العينين من الخمر، ومبيض الأسنان من اللبن. زبولون عند ساحل البحر

يسكن وهو عند ساحل السفن وجانبه عند صيدون. يساكر حمار جسيم رابض بين الحظائر، فرأى المحل أنه حسن، والأرض أنها نزهة فأحنى كتفه للحمل وصار للجزية عبداً، دان شعبه كأحد أسباط إسرائيل، يكون وإن حية على الطريق أفعواناً على السبيل يلسع عقبي الفرس فيسقط راكبه إلى الوراء، لخلاصك انتصرت يا رب، جاء يزحمه جيش ولكنه يزحم مؤخره. أشير خبزه سمين وهو يعطي لذات ملوك. نفتالي أيلة مسيبة يعطي أقوالاً حسنة. يوسف غصن شجرة مثمرة، غصن شجرة مثمرة على عين أغصان قد ارتفعت فوق حائط، فمررته ورمته واضطهدته أرباب السهام، ولكن ثبتت بمثابة قوته وتشددت سواعد يديه، من يدي عزيز يعقوب، من هناك من الراعي صخر إسرائيل، من إلّه أبيك الذي بعينك، ومن القادر على كل شيء الذي يباركك، تأتي بركات السماء من فوق، وبركات القمر الرابض تحت، بركات الثديين والرحم، بركات أبيك فاقت على بركات أبوي إلى منية الآكام الدهرية، تكون على رأس يوسف وعلى قمة نذير إخوته. بنيامين وثب يفترس في الصباح يأكل غنيمة وعند المساء يقسم نهياً).

فهذه البركة التي بارك يعقوب بها الأسباط الاثني عشر، وتلك الأخبار التي حكاها عن أولاده وذريتهم في المستقبل وقعت كما قال، وهي من باب علم الغيب ومع ذلك لم يقل أحد إن يعقوب إلّه وفيه طبيعة لاهوتية.

* * *

٢ ــ موسى يخبر بعلم الغيب مثلما أخبر المسيح تماماً:

ورد في سفر التثنية على لسان موسى عليه السلام لبني إسرائيل ص ٣٣ من عدد ١ إلى عدد ٢:

(وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلالأ من جبل فاران، وأتى من ربوآت القدس وعن يمينه فار شريعة لهم).

فقد باركهم موسى عليه السلام وأخبرهم بما سيأتي لهم في مستقبل الأيام، وقد تكلم من باب علم الغيب عن كل سبط من أسباط بني إسرائيل، كما تكلم يعقوب، ويمكن الرجوع إلى ما ورد في باقي ذلك الإصحاح ليجد الباحث أن موسى عليه السلام

قد تكلم مثلما تكلم يعقوب عن هؤلاء الأسباط، فقد تكلم عن راوبين، وعن يهوذا، وعن لاوي وعن بنيامين وعن يوسف وعن زبولون وعن جاد وعن دان وعن نفتالي وعن أشير وعن يسَّاكر.

* * *

٣ ـ النبي صموئيل يخبر بالغيب كالمسيح بلا أي فارق:

ورد في سفر صموئيل الأول ص ١٠ من عدد ٢ ـ ٩ قول النبي صموئيل يخاطب به الملك شاؤل:

(في ذهابك اليوم من عندي تصادف رجلين عند قبر راحيل في تخم بنيامين، في صلصح فيقولان لك قد وجدت الأتن التي ذهبت تفتش عليها، وهو ذا أبوك قد ترك أمر الأتن واهتم بكما قائلاً: ماذا أصنع لابني؟ وتعدو من هناك ذاهباً حتى تأتي إلى لبوط تابور، فيصادفك هناك ثلاثة رجال صاعدون إلى الله إلى بيت إيل، واحد حامل ثلاثة جداء، وواحد حامل ثلاثة أرغفة خبز، وواحد حامل زق خمر، فيسلمون عليك ويعطونك رغيفي خبز، فتأخذ من يدهم، بعد ذلك تأتي إلى جيعة الله حيث أنصاب الفلسطينيين، ويكون عند مجيئك إلى هناك إلى المدينة أنك تصادق زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودف وناي وعود وهم يتنبأون، فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم، وتتحول إلى رجل آخر، وإذا أتت هذه الآيات عليك، فافعل ما وجدته يدلك لأن الله معك، وتنزل قدامي إلى الجلجال، وهوذا أنا أنزل إليك لأصعد منحرفات وأذبح ذبائح سلامة، سبعة أيام تلبث حتى آتي إليك وأعلمك ماذا تفعل، وكان عندما أدار كتفه لكي يذهب من عند صموئيل أن الله أعطاه قلباً آخر، وأتت جميع هذه الآيات في ذلك اليوم).

هنا نجد أن النبي صموئيل أخبر الملك شاؤل بكل ما يحدث له في الطريق في ذهابه إلى بلده، بل إن ما قاله صموئيل هنا يزيد عما قاله المسيح لتلميذيه بطرس ويوحنا، حينما أرسلهما إلى المدينة ليعدا الفصح، لما فيه من زيادة الحوادث وكثرة تفاصيلها، والتعرض لجزئياتها الطويلة، ومع هذا لم يخطر بفكر أحد من العقلاء أن يلصق بالنبي صموئيل طبيعة لاهوتية.

* * *

٤ ــ إيلياء يخبر بالغيب كالمسيح بلا أدنى فرق:

(أ) ورد بسفر الملوك الأول ص ٢١ عدد ٢١ قول إيلياء لأخْآب ملك إسرائيل في السامرة:

(ها أنذا أجلب عليك شراً، وأبيد نسلك وأقطع لأخْآب كل بائل بحائط، ومحجوز ومطلق في إسرائيل).

(ب) ورد بسفر الملوك الأول ص ٢١ عدد ٢٣، ٢٤ قول إيليا حكاية عن الله:

(إن الكلاب ستأكل إيزابل[١] عند سور يزرعيل[٢] من مات لآخْآب في المدينة تأكله الكلاب، ومن مات في الحقل تأكله طيور السماء)، وقد وقع كل واحد من هذين الأمرين حسبما أخبر إيلياء.

كيف تمَّ قتل ذرية آخْآب؟

ورد وصف ذلك في سفر الملوك الثاني ص ١٠ عدد ١ ــ ١٧:

(وكان أخْآب سبعون ابناً في السامرة فكتب ياهو (وهو أحد ملوك إسرائيل) رسائل وأرسلها إلى السامرة، إلى رؤساء يزرعيل الشيوخ، وإلى مربـي أخْآب قائلاً: فالآن عند وصول هذه الرسائل إليكم إذ عندكم بنو سيدكم، وعندكم مركبات وخيل ومدينة محصنة وسلاح، انظروا الأفضل والأصلح من بني سيدكم، واجعلوه على كرسي أبيه وحاربوا عن بيت سيدكم، فخافوا جداً جداً، وقالوا: هوذا ملكان، لم يقفا أمامه، كيف نقف نحن؟ فأرسل الذي على البيت، والذي على المدينة والشيوخ والمربون إلى ياهو، قائلين: عبيدك نحن، وكل ما قلت لنا نفعله، لا نملِّك أحداً، ما يحسن في عينيك فافعله، فكتب إليهم رسالة ثانية، قائلاً: إن كنتم لي، وسمعتم قولي، فخذوا رؤوس الرجال بني سيدكم، وتعالوا إليَّ في نحو هذا الوقت غداً إلى يزرعيل، وبنو الملك سبعون رجلاً كانوا

---

(١) إيزابل هذه كانت زوجة أخْآب ملك إسرائيل وقتئذٍ وكانت هي الحاكمة على مملكة إسرائيل نظراً لضعف شخصية زوجها، وقد أدخلت عبادة البعل والأصنام إلى مملكة إسرائيل.

(٢) يزرعيل: بلدة بسهل يزرعيل الممتد من البحر الأبيض المتوسط إلى الأردن ومن جبل الكرمل والسامرة إلى جبال الجليل.

مع عظماء المدينة الذين ربوهم، فلما وصلت الرسالة إليهم أخذوا بني الملك، وقتلوا سبعين رجلاً، ووضعوا رؤوسهم في سلال، وأرسلوها إلى يزرعيل فجاء الرسول وأخبره قائلاً: قد أتوا برؤوس بني الملك، فقال: اجعلوها كومتين في مدخل الباب إلى الصباح، وفي الصباح خرج ووقف وقال لجميع الشعب: أنتم أبرياء ها أنذا قد عصيت على سيدي وقتلته، ولكن من قتل كل هؤلاء فاعلموا الآن أنه لا يسقط من كلام الرب إلى الأرض الذي تكلم به الرب على بيت آخآب، وقد فعل الرب ما تكلم به عن يد عبده إيليا، وقتل ياهو كل الذين بقوا لبيت آخاب في يزرعيل، وكل عظمائه ومعارفه وكهنته حتى لم يبقَ له شارداً، ثم قام وجاء سائراً إلى السامرة وإذا كان عند بيت عقد الرعاة في الطريق صادق ياهو إخوة ملك يهوذا، فقال: من أنتم؟ فقالوا: نحن إخوة أخزيا ونحن نازلون لنسلم على بني الملك وبني الملكة، فقال: أمسكوهم أحياء، فأمسكوهم أحياء وقتلوهم عند بئر بيت عقد اثنين وأربعين رجلاً، ولم يُبق منهم أحداً، ثم انطلق من هناك، فصادف يهوناداب بن ركاب يلاقيه باركه، وقال له: هل قلبك مستقيم نظير قلبي مع قلبك؟ فقال: يهوناداب: نعم ونعم، هات يدك، فأعطاه يده، فأصعده إليه إلى المركبة، وقال: هلمَّ معي، وانظر غيرتي للرب، وأركبه معه في مركبته، وجاء إلى السامرة، وقتل جميع الذين بقوا لآخآب في السامرة حتى أفناه حسب كلام الرب الذي كلم به إيليا).

كيف تمَّ قَتْل إيزابل؟

ورد ذلك في سفر الملوك الثاني ص ٩ عدد ٣٠ ــ ٣٧:

(فجاء ياهو إلى يزرعيل، ولما سمعت إيزابل كحلت بالإثمد عينيها، وزينت رأسها، وتطلعت من كوة، وعند دخول ياهو الباب قالت: أسَلامٌ يا زمري[1] قاتل سيده؟ فرفع وجهه نحو الكوة وقال: من معي؟، فأشرف عليه اثنان أو ثلاثة من الخصيان، فقال: اطرحوها فطرحوها. فسال من دمها على الحائط، وعلى الخيل، فداسها ودخل وأكل وشرب ثم قال: افتقدوا هذه الملعونة، وادفنوها لأنها بنت ملك، ولما مضوا ليدفنوها لم يجدوا منها إلاّ الجمجمة والرجلين، وكفّي اليدين، فرجعوا وأخبروه فقال:

---

(١) زمري كان قائداً في جيش إسرائيل.

إنه كلام الرب الذي تكلم به عن يد عبده إيليا التِّشبي قائلاً في حقل يزرعيل: تأكل الكلاب لحم إيزابل، وتكون جثة إيزابل كدِمنة على وجه الحقل في قسم يزرعيل حتى لا يقولوا هذه إيزابل).

(ج) ورد بسفر الملوك الأول ص ١٧ عدد ١ قول إيليا لآخْآب:

(وقال إيليا التشبي من مستوطني جلعاد[1] لآخْآب: حي هو الرب إلّه إسرائيل الذي وقفت أمامه، إنه لا يكون طل ولا مطر في هذه السنين إلاَّ عند قولي).

(د) ورد في سفر الملوك الأول ص ١٨ عدد ١:

(وبعد أيام كثيرة كان كلام الرب إلى إيلياء في السنة الثالثة قائلاً: اذهب وتَراءَ الأخْآب فأعطي مطراً على وجه الأرض).

(هـ) ورد في سفر الملوك الأول ص ١٨ عدد ٤١ ــ ٤٥:

(وقال إيليا لأخْآب: اصعد كل واشرب لأنه حسّ دوي مطر، فصعد أخْآب ليأكل ويشرب، وأما إيليا فصعد إلى رأس الكرمل وخرَّ على الأرض، وجعل وجهه بين ركبتيه، وقال لغلامه: اصعد وتطلع نحو البحر. فصعد وتطلع وقال: ليس شيء. فقال: ارجع سبع مرات، وفي المرة السابعة قال: هوذا غيمة صغيرة قدر كف إنسان صاعدة من البحر. فقال: اصعد وقل لأخْآب اشدد، وانزل لئلا يمنعك المطر، وكان من هنا إلى هنا أن السماء اسودت من الغيم والريح وكان مطر عظيم)..

* * *

٥ ــ أليشع يخبر بالغيب كالمسيح أيضاً:

(أ) ورد في سفر الملوك الثاني ص ٤ عدد ٨ ــ ١٨:

(وفي ذات يوم عبر أليشع إلى شونم، وكانت هناك امرأة عظيمة فأمسكته ليأكل خبزاً، وكان كلما عبر يميل إلى هناك ليأكل خبزاً. فقالت لرجلها: قد علمت أنه رجل الله مقدس الذي يمر علينا دائماً، فَلْنَبْنِ له عِلِّيَّةً على الحائط صغيرة ونضع له هناك سريراً وخواناً وكرسياً ومنارة حتى إذا جاء إلينا يميل إليها، وفي ذات يوم جاء إلى هناك ومال

---

(١) جلعاد هي البلاد الممتدة من شرقي الأردن إلى بلاد العرب وتسمى بالبلقاء.

إلى العلبة واضطجع فيها، فقال لخادمه جيحَزي: ادع هذه الشونمية، فدعاها، فوقفت أمامه، فقال له: قل لها: هوذا قد انزعجت بسببنا كل هذا الانزعاج فماذا يصنع لك؟ هل لك ما يتكلم به إلى الملك أو إلى رئيس الجيش؟ فقالت: إنما أنا ساكنة في وسط شعبي، ثم قال: فماذا يصنع لها؟ فقال جيحَزي: إنه ليس لها ابن، ورجلها قد شاخ، فقال: ادعها، فدعاها فوقفت في الباب فقال: في هذا الميعاد نحو زمان الحياة تحتضنين ابناً. فقالت: لا يا سيدي رجل الله لا تكذب على جارتك، فحبلت المرأة وولدت ابناً في ذلك الميعاد، نحو زمان الحياة كما قال أليشع وكبر الولد).

(ب) ورد في سفر الملوك الثاني ص ٨ عدد ١٢ ــ ١٣ عن أليشع الآتي:

(فبكى رجل الله فقال حزائيل[١] لماذا يبكي سيدي؟ فقال: لأني علمت ما ستفعله ببني إسرائيل من الشر، فإنك تطلق النار على حصونهم، وتقتل شبانهم بالسيف، وتحطم أطفالهم وتشق حواملهم، فقال حزائيل: ومن هو عبدك الكلب حتى يفعل هذا الأمر العظيم؟ فقال أليشع: قد أراني الرب أباك ملكاً على آرام[٢]).

(ج) ورد في سفر الملوك الثاني ص ١٠ عدد ٣٢، ٣٣ عن أليشع:

(وفي تلك الأيام ابتدأ الرب يقتطع إسرائيل، فضربهم حزائيل في جميع تخوم إسرائيل من الأردن لجهة مشرق الشمس جميع أرض جلعاد: الجاديين والروابينيين والمِنَسِّيين من عروعير[٣] التي على وادي أرنون[٤] وجلعاد وباشان[٥]).

(د) وورد في سفر الملوك الثاني ص ١٣ عدد ١٤ ــ ١٩ الآتي:

(ومرض أليشع مرضه الذي مات به، فنزل إليه يوآش ملك إسرائيل وبكى على

---

(١) حزائيل كان من خدم البلاط الملكي في آرام ثم صار ملكاً عليها.

(٢) آرام مدينة دمشق كانت تدعى آرام قديماً.

(٣) عروعير: كانت في القديم مدينة ثم أصبحت الآن خرائب على بعد ١٢ ميلاً شرق البحر الميت وتدعى عراعير.

(٤) أرنون: نهر يقع إلى شرق البحر الميت ويدعى الآن نهر الموجب.

(٥) باشان: مقاطعة من أرض كنعان شرق نهر الأردن بين جبال السلط وجبل الشيخ تشمل صور والجولان وإيلماء.

وجهه، وقال: يا أبي يا أبي يا مركبة إسرائيل، وفرسانها، فقال له أليشع: خذ قوساً وسهاماً، فأخذ لنفسه قوساً وسهاماً، ثم قال لملك إسرائيل: ركِّب يدك على القوس، فركب يده، ثم وضع أليشع يده على يدي الملك، وقال: افتح الكوة لجهة الشرق، ففتحها، فقال: أليشع: ارم فرمى، فقال: سهم خلاص للرب، وسهم خلاص من آرام، فإنك تضرب آرام في أفيق إلى الفناء، ثم قال: خذ السهام فأخذها، ثم قال ملك إسرائيل: اضرب على الأرض، فضرب ثلاث مرات، ووقف فغضب عليه رجل الله، وقال: لو ضربت خمس أو ست مرات حينئذٍ ضربت آرام إلى الفناء، وأما الآن فإنك تضرب آرام ثلاث مرات).

(هـ) وورد في سفر الملوك الثاني ص ١٣ عدد ٢٤، ٢٥ تحقيق قول أليشع:

(ثم مات حزائيل ملك آرام، وملك بنهدد ابنه عرضاً عنه فعاش يهوآش بن يهوآحاذ، وأخذ المدن من يد بنهدد بن حزائيل التي أخذها من يد آحاز أبيه بالحرب، ضربه يهوآش ثلاث مرات واسترد مدن إسرائيل).

(و) وورد في سفر الملوك الثاني ص ٦ عدد ٨ ــ ١٢ الآتي:

(وأما ملك آرام فكان يحارب إسرائيل، وتآمر مع عبيده، قائلاً: في المكان الفلاني تكون محلتي فأرسل رجل الله إلى ملك إسرائيل يقول: احذر من أن تعبر بهذا الموضع، لأن الآراميين حالّون هناك، فأرسل ملك إسرائيل إلى الموضع الذي قال له عنه رجل الله، وحذره منه، وتحفظ هناك لا مرة ولا مرتين، فاضطرب قلب ملك آرام من هذا الأمر، ودعا عبيده وقال لهم: أما تخبروني من منا هو ملك إسرائيل؟ فقال واحد من عبيده: ليس كذا يا سيدي الملك، ولكن أليشع النبي في إسرائيل يخبر ملك إسرائيل بالأمور التي تتكلم بها في مخدع مضجعك).

(ز) وورد في سفر الملوك الثاني ص ٨ عدد ١ ــ ٣:

(وكلّم أليشع المرأة التي أحيا ابنها قائلاً: قومي وانطلقي أنت وبيتك، وتغربي حيثما تتغربي لأن الرب قد دعا بجوع فيأتي على الأرض سبع سنين، فقامت المرأة وفعلت حسب كلام رجل الله، وانطلقت هي وبيتها، وتغربت في أرض الفلسطينيين سبع

سنين، وفي نهاية السنين السبع، رجعت المرأة من أرض الفلسطينيين، وخرجت لتصرخ إلى الملك لأجل بيتها وحقلها).

ملاحظة هامة في هذه الواقعة:

ما يجدر ملاحظته أن أليشع هنا أحيا الموتى (أحيا ابن تلك المرأة) مثل المسيح تماماً، ولم يقل أحد من اليهود أو النصارى بأنه إلّه وأن له طبيعة لاهوتية.

* * *

٦ ـ بلعام بن بعور يخبر بالغيب كالسيد المسيح:

ورد في سفر العدد ص ٢٤ عدد ١٥ ـ ١٩:

(ثم نطق بمثله، وقال وحي بلعام بن بعور، وحي الرجل المفتوح العينين، وحي الرجل الذي يسمع أقوال الله، ويعرف معرفة العلي الذي يرى رؤيا القدير، ساقطاً وهو مكشوف العينين أراه، ولكن ليس الآن، أبصره ولكن ليس قريباً، يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل، فيحطم طرفي موآب[1]، ويهلك كل بني الوغا، ويكون أدوم[2] ميراثاً، ويكون سعير أعداؤه ميراثاً، ويصنع إسرائيل بيأس ويتسلط الذي من يعقوب، ويهلك الشارد من مدينة)، وقد قال علماء اللاهوت:

إن الكلام السابق نبوءة غيبية تم بعضها جزئياً أو رمزياً في عصر داوود كما هو وارد في سفر صموئيل الثاني ص ٨ عدد ٢:

(واكتمل تمامها بشخص المسيح وعمله)، كما هو وارد في سفر أشعيا ص ٦٣ عدد ١ ـ ٤:

(فهو الكوكب والقضيب).

وردت هذه النبوءة بلسان بلعام بن بعور، الذي قتله بنو إسرائيل بالسيف في عهد موسى، كما هو موضح في سفر العدد ص ٣١ عدد ١٩.

* * *

(١) موآب: هي الأرض الواقعة شرقي النصف الجنوبي من بحيرة لوط.

(٢) أدوم: هي الأرض الواقعة بين خليج العقبة وجنوبي البحر الميت.

٧ ــ قيافا الكاهن اليهودي يخبر بالغيب كالمسيح تماماً:

ورد في إنجيل يوحنا ص ١١ عدد ٤٩ ــ ٥٢:

(فقال لهم واحد منهم وهو قيافا كان رئيساً للكهنة في تلك السنة: أنتم لستم تعرفون شيئاً، ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد من الشعب، ولا تهلك الأمة كلها، ولم يقل هذا من نفسه بل إذا كان رئيساً للكهنة في تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة، وليس عن الأمة فقط، بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد).

وقد قال علماء اللاهوت النصارى: إن هذه نبوءة عن موت المسيح فداء عن العالم، ولم يقصدها قيافا، ولكنها أجريت على لسانه مع أنه شرير كبلعام، لأن الله كثيراً ما يُنطق الأشرار بالخير، ويستخدمهم في إجراء مقاصده، ويستخلص من كلام علماء اللاهوت سالف الذكر أن مجرد الإخبار بالغيب لا يصلح أن يكون شاهداً على حسن حال المخبر، فكيف يصلح شاهداً على أن ذلك المخبر فيه طبيعة من اللاهوت.

* * *

٨ ــ شاوول يتنبأ بالغيب:

ورد في سفر صموئيل الأول ص ١٩ عدد ٢٣ ــ ٢٤ عن شاوول الشرير:

(فذهب إلى هناك إلى نابوت في الرامة، فكان عليه أيضاً روح الله، فكان يذهب ويتنبأ حتى جاء إلى نابوت في الرامة، فخلع هو أيضاً ثيابه وتنبأ هو أيضاً أمام صموئيل، وانطرح عرياناً ذلك النهار كله، وكل الليل، لذلك يقولون: شاوول أيضاً بين الأنبياء).

وشاوول هذا: هو أول ملوك بني إسرائيل وكان في ابتداء أمره خيِّراً ثم انقلب إلى شخص شرير.

والنتيجة:

من كل ما ذكر أن الإخبار بالمغيبات ليس مبرراً للقول بأن القائل بها له طبيعة لاهوتية، وإلاَّ كان كل من ذكرنا آنفاً لهم طبيعة لاهوتية كالمسيح تماماً، ولم يقل بذلك أحد عاقل.

(٢)
مبحث (أعجوبة إبـراء المسيح البَرْصَى)

(أ) ورد في إنجيل متى ص ٨ عدد ١ ـ ٣:

(ولما نزل (أي المسيح) من الجبل تبعته جموع كثيرة، وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلاً: يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرني، فمد يسوع يده ولمسه قائلاً: أريد، فاطَّهر، وللوقت طَهُر من برصه).

(ب) وورد في إنجيل لوقا ص ١٧ عدد ١٢ ـ ١٤:

(وفيما هو ـ أي المسيح ـ داخل إلى قرية استقبله عشرة رجال برص، فوقفوا من بعيد، ورفعوا صوتاً قائلين: يا يسوع يا معلِّم، ارحمنا، فنظر وقال لهم: اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة، وفيما هم منطلقون طهروا).

ويستدل النصارى من ذلك بأن قيام المسيح بإبراء هؤلاء البرصى كان بسبب وجود طبيعة لاهوتية فيه.

الـــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

إنه كما ورد في العهد الجديد أن المسيح عليه السلام أبرأ المرضى من البرص، فقد ورد في العهد القديم أن أليشع النبـي شفى النعمان السرياني من البرص.

فقد ورد في سفر الملوك الثاني ص ٥ عدد ١ ـ ٢٧ ما نصه:

(وكان نعمان رئيس جيش ملك آرام رجلاً عظيماً عند سيده، مرفوع الوجه لأنه عَنْ يده أعطى الرب خلاصاً لآرام، وكان الرجل جبار بأس أبرص، وكان الآراميون قد خرجوا غزاة، فسبوا من أرض إسرائيل فتاة صغيرة، فكانت بين يدي امرأة نعمان. فقالت لمولاتها: يا ليت سيدي حضر أمام النبـي الذي في السامرة، فإنه كان يشفيه من برصه، فدخل وأخبر سيده قائلاً: كذا وكذا، قالت الجارية التي من أرض إسرائيل، فقال ملك آرام: انطلق ذاهباً فأرسل كتاباً إلى ملك إسرائيل: فذهب وأخذ بيده عشر وزنات من الفضة وستة آلاف شاقل من الذهب وعشر حلل من الثياب، وأتى بالكتاب إلى ملك

إسرائيل يقول فيه: فالآن عند وصول هذا الكتاب إليك، هوذا قد أرسلت إليك نعمان عبدي، فاشفه من برصه، فلما قرأ ملك إسرائيل الكتاب مزق ثيابه، وقال: هل أنا الله لكي أميت وأحيي، حتى أنَّ هذا يرسل إليَّ أن أشفي رجلاً من برصه؟ فاعلموا وانظروا، أنه يتعرض لي، ولما سمع أليشع رجل الله أن ملك إسرائيل قد مزق ثيابه أرسل إلى الملك يقول: لماذا مزقت ثيابك؟ ليأت إليَّ فيعلم أنه يوجد نبي في إسرائيل، فجاء نعمان بخيله ومركباته، ووقف عند باب بيت أليشع، فأرسل إليه أليشع رسولاً يقول: اذهب واغتسل سبع مرات في الأردن، فيرجع لحمك إليك وتَطْهُر، فغضب نعمان ومضى، وقال: هوذا قلت يخرج إليَّ، ويقف ويدعو باسم الرب إلّهه ويردد يده فوق الموضع فيشفى الأبرص، أليس أبانة وفرفر[1] نهرا دمشق أحسن من جميع مياه إسرائيل؟ أما كنت أغتسل بهما أطهر؟ ورجع ومضى بغيظ فتقدم عبيده وكلموه، وقالوا: يا أبانا لو قال لك النبي أمراً عظيماً أما كنت تعمله؟ فكم بالحري إذا قال لك: اغتسل واطهر، فنزل وغطس في الأردن سبع مرات حسب قول رجل الله، فرجع لحمه كلحم صبي صغير، وطهر، فرجع إلى رجل الله هو وكل جيشه، ودخل ووقف أمامه وقال: هوذا قد عرفت أنه ليس إلّه في كل الأرض إلاَّ في إسرائيل، والآن فخذ بركة من عبدك، فقال: حيّ هو الرب الذي أنا واقف أمامه، إني لا آخذ، وألح عليه أن يأخذ فأبى، فقال نعمان: إنما يعطى عبدك حمل بغلين من التراب، لأنه لا يقرب بعد عبدك محرقة ولا ذبيحة لآلهة أخرى، بل للرب عن هذا الأمر يصفح الرب لعبدك عند دخول سيدي إلى بيت رمُّون ليسجد هناك، ويستند على يدي فأسجد في بيت رمون، فعند سجودي في بيت رمون، يصفح الرب لعبدك عن هذا الأمر، فقال له: امضِ بسلام.

ولما مضى من عنده مسافة من الأرض، قال جيحَزي غلام أليشع رجل الله: هوذا سيدي قد امتنع عن أن يأخذ من يد نعمان الآرامي هذا ما أحضره ـ حيّ هو الرب ـ إني أجري وراءه، وآخذ منه شيئاً، فسار جيحَزي وراء نعمان، ولما رآه نعمان راكضاً وراءه نزل عن المركبة للقائه وقال: أسلام؟ فقال: سلام. إن سيدي قد أرسلني قائلاً: هوذا في هذا الوقت قد جاء إليَّ غلامان من جيل أفرايم من بني الأنبياء فأعطهما وزنة فضة وحلّتي

(١) أبانة وفرفر هما الآن نهرا بردى والأعوج في إقليم سوريا قرب مدينة دمشق.

ثياب، فقال نعمان: أقبل وخذ وزنتين، وألح عليه وصرّ وزنتي فضة في كيسين، وحلّتي الثياب ودفعهما لغلاميه فحملاهما قدّامه، ولما وصل إلى الأكمة أخذها من أيديهما وأودعها في البيت، وأطلق الرجلين فانطلقا، وأما هو ــ أي جيحَزي ــ فدخل ووقف أمام سيده، فقال له أليشع: من أين يا جيحَزي؟ فقال: لم يذهب عبدك إلى هنا أو هناك، فقال له (أي أليشع): ألم يذهب قبلي حين رجع الرجل من مركبته للقائك؟ أهو وقت لأخذ الفضة ولآخذ ثياب وزيتون وكروم وغنم وبقر وعبيد وجوارٍ؟ فبرص نعمان يلصق بك وبنسلك إلى الأبد، فخرج من أمامه أبرص كالثلج).

ملاحظـة هامـة:

في الواقعة السابقة نرى أن شفاء نعمان السرياني من برصه، تمَّ بناء على قول أليشع النبـي: (اغتسل واطّهر).

وقد أثر هذا القول العجيب تأثيراً حسناً في نعمان السرياني المشرك فآمن بالله وحده.

وقد فعل أليشع ما يعتبر زيادة عما فعل المسيح عليه السلام، لأن أليشع:

١ ــ قدر على أن يشفي من البرص.

٢ ــ وقدر أيضاً على أن يحدثه في شخص آخر.

٣ ــ بل وقدر أن يحدثه في نسله مؤبداً عقاباً له على أخذه الوزنتين والحلتين من نعمان السرياني، وكان هذا بمجرد إرادته بدون شيء آخر.

فهل قال أحد إن في أليشع طبيعة لاهوتية؟

الجواب: لا، فلماذا إذاً يقال ذلك في المسيح وقد فعل ما فعل أليشع النبـي إن لم يكن فعل أقل منه.

(٣)

مبحث (أُعجوبة شـفاء المسيح العمْي)

(أ) ورد في إنجيل مرقص ص ١٠ عدد ٤٦ ــ ٥٢ الآتي:

(وجاءوا إلى أريحا وفيما هو ــ أي المسيح ــ خارج من أريحا مع تلاميذه وجمع غفير، كان بارتيماوس الأعمى بن تيماوس جالساً على الطريق يستعطي، فلما سمع أنه يسوع الناصري ابتدأ يصرخ، ويقول: يا يسوع بن داوود ارحمني، فانتهره كثيرون ليسكت، فصرخ أكثر كثيراً: يا ابن داوود ارحمني، فوقف يسوع وقال ادعوه، فنادوا الأعمى قائلين له: تشجع، قم، إنه يدعوك فطرح رداءه، وقام، وجاء إلى يسوع، فأجاب يسوع وقال له: ماذا تريد أن أفعل بك؟ فقال له الأعمى: يا سيدي، أن أبصر، فقال له يسوع: اذهب إيمانك قد شفاك، وفي الحال أبصر وتبع يسوع في الطريق)[1].

(ب) ورد في إنجيل مرقص ص ٨ عدد ٢٢ ــ ٢٥ عن المسيح:

(وجاء ــ أي المسيح ــ إلى بيت صيدا فقدموا إليه أعمى، وطلبوا إليه أن يلمسه، فأخذ بيد الأعمى وأخرجه إلى خارج القرية وتفل في عينيه، ووضع يديه على عينيه، وجعله يتطلع، فعاد صحيحاً، وأبصر كل إنسان جلياً).

(ج) وورد في إنجيل يوحنا ص ٩ عدد ١ ــ ٧ عن المسيح أيضاً:

(وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى منذ ولادته، فسأله تلاميذه قائلين: يا معلم، من أخطأ؟ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى؟ أجاب يسوع: لا هذا أخطأ، ولا أبواه، لكن حتى تظهر أعمال الله فيه، ينبغي أن أعمل أعمال أبـي الذي أرسلني، ما دام نهار، فسيأتي ليل حين لا يتسطيع أحد أن يعمل، ما دمت في العالم فأنا نور العالم، قال هذا، وتفل على الأرض، وصنع من التفل طيناً، وطلى بالطين عيْني الأعمى، وقال له: اذهب اغتسل في بركة سلوام[2] الذي تفسيره مرسل، فمضى واغتسل وأتى بصيراً).

ويستدل النصارى من قيام المسيح بشفاء العُمْي من عماهم على وجود طبيعة لاهوتية فيه.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

---

(١) أريحا مدينة في فلسطين على بعد ٢٠ ميلاً من القدس وهي من أقدم مدن فلسطين عامة.

(٢) بركة سلوام: هي المسماة اليوم بركة سلوان وتقع في جنوب الحرم القدسي في مدينة القدس.

(أ) إن ما ينقل أن المسيح أبرأ الأعمى حسِّياً، فقد ورد نظيره بيد أليشع النبـي في الجيش الآرامي، فقد ورد في سفر الملوك الثاني ص ٦ عدد ١٤ ــ ٢٠ :

(فأرسل. أي ملك آرام ــ إلى هناك، أي السامرة حيث يقيم ملك إسرائيل - خيلاً ومركبات وجيشاً ثقيلاً وجاءوا ليلاً، وأحاطوا بالمدينة، فبكر خادم رجل الله، النبـي أليشع، وقام وخرج، وإذا جيش محيط بالمدينة، وخيل ومركبات، فقال غلامه له: آه يا سيدي كيف نعمل؟ فقال: لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم، وصلَّى أليشع وقال: يا رب افتح عينيه فيبصر ففتح الرب عيني الغلام فأبصر، وإذا الجبل مملوء خيلاً ومركبات نار حول أليشع، ولما نزلوا إليه صلَّى أليشع إلى الرب، وقال: اضرب هؤلاء الأمم بالعمي فضربهم بالعمي، كقول أليشع، فقال لهم أليشع: ليست هذه هي الطريق، ولا هذه هي المدينة اتبعوني، فأسير بكم إلى الرجل الذي تفتشون عليه، فسار بهم إلى السامرة، فلما دخلوا (أي جيش آرام) السامرة، قال أليشع: يا رب افتح أعين هؤلاء فيبصرونا، ففتح الرب أعينهم فأبصروا، وإذا هم في وسط السامرة).

وهنا نجد أن أليشع صلى إلى الله أن يضربهم بالعمى، ثم دعا الله أن يبرأوا من العمى زيادة عما فعله المسيح من إبراء العمي فقط، فضلاً عن أن ما فعله أليشع لم يكن بفرد واحد أو باثنين أو بثلاثة بل كان بجيش كبير.

(ب) ورد في إنجيل يوحنا ص ١٤ عدد ١٢ قول المسيح:

(الحق الحق أقول لكم من يؤمن بـي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً، ويعمل أعظم منها).

فإذا كان الأمر كذلك فمما لا جدال فيه أن وقوع أعجوبة إبراء الأعمى على يد شخص مؤمن بالمسيح لا يدل على وجود طبيعة لاهوتية فيه.

وإذا كان الأمر كما قدمنا لم يكن وقوع هذه الأعجوبة من المسيح دالاً على وجود طبيعة لاهوتية فيه.

(٤)
مبحث (أُعجوبة قيام المسيح بإطعام عدد كبير من غذاء قليل)

ورد بإنجيل متى ص ١٤ عدد ١٥ ــ ١٢ :

(ولما صار المساء تقدم إليه تلاميذه قائلين: الموضع خلاء، والوقت قد مضى، اصرف الجموع لكي يمضوا إلى القرى، ويبتاعوا لهم طعاماً. فقال لهم يسوع: لا حاجة لأن يمضوا، أعطوهم أنتم ليأكلوا، فقالوا له: ليس عندنا ههنا إلاَّ خمسة أرغفة وسمكتان. فقال: ائتوني بها إلى هنا، فأمر الجموع أن يتكئوا على العشب، ثم أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين، ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسر، وأعطى الأرغفة للتلاميذ والتلاميذ للجموع، فأكل الجميع وشبعوا، ثم رفعوا ما فضل من الكسر اثنتي عشرة قفة مملوءة، والآكلون نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد).

وشبيه بذلك ما ورد بإنجيل مرقص ص ٦ عدد ٣٥ ــ ٤٤.

وما ورد بإنجيل لوقا ص ٩ عدد ١٠ ــ ١٧.

وما ورد بإنجيل يوحنا ص ٦ عدد ١ ــ ١٤.

ويستدل النصارى من تلك الأعجوبة أن المسيح إلّه يرزق من يشاء بغير حساب.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن المتتبع للواقعة السابقة يتبين له أن المسيح أتى بأشياء تنافي الألوهية، وهي:

١ ــ قيام المسيح بأن (رفع نظره نحو السماء) كما هو واضح في إنجيل متى ص ١٤ عدد ١٩ وهذا الفعل يأتيه الإنسان عادة عندما يطلب الإمداد السماوي من الله تعالى.

٢ ــ كون المسيح (بارك) كما هو واضح في إنجيل متى ص ١٤ عدد ١٩، ومعنى ذلك أنه دعا ربه بحصول البركة، وهي تساوي كلمة شكر الواردة في إنجيل يوحنا ص ٦

عدد ١١، لأن الشكر يجلب البركة.

٣ ـ استفهام المسيح كما هو واضح في إنجيل مرقص ص ٦ عدد ٣٨ بقوله: (كم رغيفاً عندكم) والاستفهام لا يكون إلاَّ نتيجة عدم العلم، ونظيره ما ورد في إنجيل يوحنا ص ٦ عدد ٥ من قول المسيح لفيلبس تلميذه: (من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء).

٤ ـ وقد ذكرنا فيما سبق قول المسيح الوارد بإنجيل يوحنا ص ١٤ عدد ١٢:

(الحق الحق أقول لكم من يؤمن بـي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها).

والنـتـيـجـة:

مما تقدم هو أن هذه الأعجوبة أجريت على يد المسيح عليه السلام بقوة الله إكراماً له أمام الناس ولا شيء أكثر من ذلك.

* * *

ثانياً: إن إيليا كانت له أعجوبة أيضاً، هي: تكثير الدقيق والزيت، مثلها مثل أعجوبة المسيح السابقة إن لم تكن أبلغ مما وقع له، ولم يقل أحد إن في إيليا طبيعة لاهوتية.

فقد ورد في سفر الملوك الأول ص ١٧ عدد ٨ ـ ١٦ عن إيليا النبـي:

(وكان له كلام الرب قائلاً: قم، اذهب إلى صرفه[١] التي لصيدون[٢] وأقم هناك، هو ذا قد أمرت أرملة أن تطعمك فقام، وذهب إلى صرفه وجاء إلى باب المدينة، وإذا بامرأة أرملة هناك تقش عيداناً، فناداها، وقال: هاتي لي قليل ماء في إناء فأشرب، وفيما هي ذاهبة لتأتي به ناداها، وقال: هاتي لي كسرة خبز في يدك، فقالت: حيّ هو الرب إلّهك، إنه ليست عندي كعكة، ولكن ملء كف من الدقيق في الكرار وقليل من الزيت في الكوز، وها أنذا أفتش عودين لآتي وأعمله لي ولابني لنأكله ثم نموت. فقال لها إيليا: لا تخافي ادخلي واعملي كقولك ولكن اعملي لي منها كعكة صغيرة أولاً، واخرجي بها

---

(١) صرفة: مدينة فينيقية على شاطىء البحر على بعد ٧ أميال من صيدا.

(٢) صيدون: هي مدينة صيدا الحالية على بعد ٢٥ ميلاً جنوبـي بيروت.

إليَّ ثم اعملي لك ولابنك أخيراً، لأنه هكذا قال الرب إلّه إسرائيل: أن كوار الدقيق لا يفرغ وكوز الزيت لا ينقص إلى اليوم الذي فيه يعطي الرب مطراً على وجه الأرض، فذهبت وفعلت حسب قول إيليا، وأكلت هي وهو وبيتها أياماً، كوار الدقيق لم يفرغ وكوز الزيت لم ينقص حسب قول الرب الذي تكلم عن يد إيليا) فهذا الدقيق الذي هو ملء الكف مع القليل من الزيت لم يفرغا إلى يوم نزول المطر، وذلك مدة ثلاث سنين ونصف وهي تأكل منه وابنها وإيليا النبـي، وهذا واضح في رسالة يعقوب إصحاح ٥ عدد ١٧ ، ١٨ ونصها:

(كان إيليا إنساناً تحت الآلام مثلنا، وصلّى صلاة أن لا تمطر فلم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر، ثم صلى أيضاً فأعطت السماء مطراً وأخرجت الأرض ثمرها).

* * *

ثالثاً: معجزة تكثير الزيت على يد أليشع:

ورد في سفر الملوك الثاني ص ٤ عدد ١ ــ ٧ ما نصه:

(وصرخت إلى أليشع امرأة من نساء بني الأنبياء قائلة: إن عبدك زوجي قد مات، وأنت تعلم أنَّ عبدك كان يخاف الرب، فأتى المرابـي ليأخذ ولديّ له عبدين، فقال لها أليشع: ماذا أصنع لك، أخبريني ماذا لك في البيت؟ فقال: ليس لجاريتك شيء في البيت إلاَّ دهنة زيت، فقال: اذهبـي استعيري لنفسك أوعية من خارج، من عند جميع جيرانك أوعية فارغة، لا تقللي، ثم ادخلي وأغلقي الباب على نفسك وعلى بنيك، وصُبّـي في جميع هذه الأوعية، وما امتلأ فانقليه، فذهبت من عنده، وأغلقت الباب على نفسها وعلى بنيها، فكانوا هم يقدمون لها الأوعية وهي تصب، ولما امتلأت الأوعية قالت لابنها، قدم لي أيضاً وعاء، فقال لها: لا يوجد بعد وعاء، فوقف الزيت، فأتت وأخبرت رجل الله، فقال لها: اذهبـي بيعي الزيت، وأوفي دينك وعيشي أنت وبنوك بما بقي.

ومما يلاحظ أن هذه الأعجوبة من أليشع لم يرد في خبرها أنه رفع نظره نحو السماء، ولا أنه بارك وشكر، ومع ذلك فلم يقل أحد: إن في أليشع طبيعة لاهوتية مع أن هذه الأعجوبة أبلغ مما وقع للمسيح، لأن الزيادة والبركة في دهنة الزيت فاقت الزيادة

والبركة في الخمسة أرغفة والسمكتين في الواقعة الخاصة بالمسيح، فكم يا ترى يكون مقدار الزيت الذي وفّى ديناً يستعبد به عبرانيان، ويتعيش بما بقي منه أهل المَدين مدة من الزمن.

(٥)
مبحث (أعجوبة سلطان المسيح على العناصر الطبيعية)

ورد بإنجيل متى ص ٨ عدد ٢٣ ـ ٢٨ عن المسيح عليه السلام:

(ولما دخل السفينة تتبعه تلاميذه، وإذا اضطراب عظيم قد حدث في البحر، حتى غطت الأمواج السفينة وكان هو ـ أي المسيح ـ نائماً، فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين: يا سيد نجّنا فإننا نهلك، فقال لهم: ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمان؟ ثم قال وانتهر الرياح والبحر، فصار هدوء عظيم، فتعجب الناس قائلين أي إنسان هذا: فإن الرياح والبحر جميعاً تطيعه).

ويستخلص النصارى من هذه الواقعة، وهو خضوع العناصر الطبيعية في أعظم اضطرابها لأمر المسيح برهاناً على ما فيه من الطبيعة اللاهوتية القاهرة للرياح والبحر.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

إن سلطان إيليا ويشوع على العناصر الطبيعية هو نظير أو أعظم مما وقع للمسيح عليه السلام طبقاً للآتي:

أولاً: سلطان إيليا على عنصر النار أعظم جداً مما وقع للمسيح.

فقد ورد في سفر الملوك الثاني ص ١ عدد ٧ ـ ١٤ عن ملك السامرة:

(فقال لهم ما هي هيئة الرجل الذي صعد للقائكم وكلّمكم بهذا الكلام؟ فقالوا له: إنه رجل أشعر مستنطق بمنطقة من جلد على حقويه، فقال: هو إيليا التِّشبـي، فأرسل إليه رئيس خمسين مع الخمسين الذين له، فصعدوا إليه، وإذا هو جالس على رأس جبل. فقال له يا رجل الله: الملك يقول انزل فأجاب إيليا، وقال لرئيس الخمسين: إن كنتُ أنا

رجل الله فلتنزل نار من السماء وتأكلك أنت والخمسين الذين لك، فنزلت نار من السماء وأكلته هو والخمسين الذين له، ثم عاد وأرسل إليه، رئيس خمسين آخر والخمسين الذين له فأجاب وقال: يا رجل الله هكذا يقول الملك: أسرع وانزل. فأجاب إيليا وقال لهم: إن كنت أنا رجل الله فلتنزل نار من السماء وتأكلك أنت والخمسين الذين لك، فنزلت نار الله من السماء وأكلته هو والخمسين الذين له، ثم عاد فأرسل رئيس خمسين ثالثاً والخمسين الذين له، فصعد رئيس الخمسين الثالث، وجاء وجثا على ركبتيه أمام إيليا وتضرع إليه. وقال يا رجل الله: لتكرم نفسي وأنفس عبيدك هؤلاء الخمسين في عينيك، هو ذا قد نزلت نار من السماء وأكلت رئيس الخمسين الأولين وخمسينهما فالآن فلتكرم نفسي في عينيك... إلخ) ما جاء في هذا الإصحاح.

ففي هذه الحادثة نجد أن إيليا أمر عنصر النار فأخضعه وأطاعه بمجرد أمره، فنزلت من السماء وأكلت رئيس الخمسين والخمسين الذين معه، وقد تكرر هذا بمجرد أمر وإرادة إيليا.

وبالمقارنة بين إيليا والمسيح نجد أن المسيح أمر فكان، وإيليا أمر فكان، أي أن المسيح أخضع عنصري الرياح والماء، وإيليا أخضع عنصر النار التي هي سيدة العناصر.

* * *

ثانياً: ورد في سفر الملوك الثاني ص ٢ عدد ٧، ٨ عن إيليا وأليشع الآتي:

(ووقف كلاهما بجانب الأردن، وأخذ إيليا رداءه ولفه وضرب الماء، فانفلق إلى هنا وهناك فعبر كلاهما في اليبس).

وإنه لأمر لا جدال فيه بأن انفلاق الماء الذي وقع معجزة لإيليا أعظم جداً من هدوئه الذي وقع معجزة للمسيح عليه السلام.

ومع ذلك فلم يقل أحد إن في إيليا طبيعة لاهوتية أو إنه لاهوت.

* * *

ثالثاً: ورد في سفر يشوع ص ١٠ عدد ١٢، ١٣ عن يشوع النبي حينما كان

يحارب الآموريين[١]، ورأى اقتراب دخول السبت بغروب شمس يوم الجمعة فناجى ربه:

(وقال أمام عيون إسرائيل يا شمس دومي على جيعون[٢] ويا قمر على وادي إيلون[٣]، فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه، أليس هذا مكتوب في سفر ياشر فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل).

وهذه المعجزة أعظم من معجزة المسيح بأضعاف مضاعفة، ومع ذلك لم يقل أحد إن في يشوع هذا طبيعة لاهوتية أو أنه لاهوتي.

ملاحظة هامة:

سفر ياشر هو أحد الأسفار المفقودة من التوراة أي مفقود من العهد القديم، وقد ذكر اسمه فيه مراراً.

* * *

رابعاً: ورد في سفر الخروج ص ١٤ عدد ١٥ ــ ١٦ عن موسى عليه السلام:

(فقال الرب لموسى: ما لك تصرخ إليّ؟ قل لبني إسرائيل أن يرحلوا وارفع أنت عصاك، ومد يداك على البحر وشقه فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة).

وفي عدد ٢١ ــ ٢٣ من نفس الإصحاح سالف الذكر:

(ومد موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل، وجعل البحر يابسة وانشق الماء فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم، وتبعهم المصريون، ودخلوا وراءهم جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه إلى وسط البحر).

وفي عدد ٢٦ ــ ٣١ من نفس الإصحاح أيضاً:

---

(١) الأموريون: هم عشيرة من أهل سوريا تسلسلت من كنعان، وكانوا من ألد أعداء بني إسرائيل وكانوا يسكنون الأرض الواقعة بين الأردن والبحر المتوسط غرباً وبين جبل الشيخ شمالاً وجبل الزرقا جنوباً.

(٢) جيعون: مدينة تقع شمال مدينة القدس وتدعى اليوم بالجيب.

(٣) إيلون: بلدة تقع بين اللد والقدس.

(فقال الرب لموسى مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين، على مركباتهم وفرسانهم فمد موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة، والمصريون هاربون إلى لقائه، فدفع الرب المصريين في وسط البحر، فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر، لم يبق منهم ولا واحد، وأما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم، فخلص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين، ونظر إسرائيل المصريين أمواتاً على شاطىء البحر، ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى).

فهنا نجد أن موسى كان له سلطان على العناصر الطبيعية، **وهي الماء والهواء، فإنه لما مد موسى يده** على البحر أجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل، وجعل البحر يابسة، وانشق الماء حيث دخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم، ثم عندما دخل المصريُّون بمركباتهم وفرسانهم وراء بني إسرائيل، مد موسى يده على البحر، فرجع البحر كما كان، حيث أغرق جميع مركبات وفرسان جيش فرعون، ومع هذا لم يقل أحد إن في موسى طبيعة لاهوتية أو إنه لاهوت.

(٦)
مبحث (أُعجوبة دفع المسيح ضرر الشرب الرديء)

ورد في إنجيل مرقص ص ١٦ عدد ١٨ قول المسيح لتلاميذه:
(وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم).

ويستخلص النصارى من ذلك أن عدم ضررهم من الشرب الرديء والمميت كان بفعل قوة لاهوت المسيح.

الـــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إنه لا يوجد في الأناجيل أو الرسائل ما يفيد إنجاز هذا الوعد، ولو كان حدث فعلاً وشرب أحد التلاميذ أو بعضهم شيئاً مميتاً لورد ذكره في العهد الجديد،

أو على الأقل لوَرد في أخبار الكنيسة في القرن الأول الميلادي، أو ما يليه من القرون فضلاً عن أنه لم يرد شيء من ذلك في الأخبار التاريخية المنسوبة لأتباع المسيح أو لتلاميذه.

ثانياً: ومع ذلك فعلى فرض حدوث هذه الواقعة من قبل المسيح فقد وقع نظيره على يد أليشع، فقد ورد في سفر الملوك الثاني ص ٤ عدد ٣٨ ــ ٤١ الآتي:

(ورجع أليشع إلى الجلجال، وكان جوع في الأرض وكان بنو الأنبياء جلوساً أمامه. فقال لغلامه: ضع القدر الكبيرة واسلق سليقة لبني الأنبياء، ورجع واحد إلى الحقل ليلتقط بقولاً، فوجد يقطيناً برياً، فالتقط منه قثاء برياً ملء ثوبه، وأتى وقطعه في قدر السليقة، لأنهم لم يعرفوا، وصبّوا للقوم ليأكلوا، وفيما هم يأكلون من السليقة صرخوا، وقالوا: في القدر موت يا رجل الله، ولم يستطيعوا أن يأكلوا. فقال (أي أليشع): هاتوا دقيقاً، فألقاه في القدر، وقال: صب للقوم فيأكلوا فكأنه لم يكن شيء رديء في القدر). فهذه معجزة أو أعجوبة وقعت بيد أليشع، هي نظير ما ورد بحق المسيح وتلاميذه، فلو كان مثل هذه الأعجوبة تتوقف على وجود لاهوت في المسيح لكان في أليشع لاهوت أيضاً ولم يقل بذلك أحد.

(٧)

مبحث (عصمة المسيح عن الصفات الرديئة، وهي الغش والمكر والعيب.. وعصمته عن الخطية والإثم، مشهود له بالاستقامة والبر)

أولاً: يستخلص النصارى مما ورد في سفر أشعيا ص ٥٢ عدد ٩ من قوله:

(ولم يكن في فمه غش).

أن ذلك القول مقصود به المسيح ونبوة عنه ــ وهذا الوصف امتاز به المسيح عن سائر الناس مما يفيد الطبيعة اللاهوتية فيه.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

لقد ورد نظير ذلك عن أشخاص كثيرين غير المسيح مما يفيد عدم وجود ميزة له على غيره من الرسل، وبالتالي ليس به أي طبيعة لاهوتية طبقاً للآتي:

١ ــ فعن أيوب ورد في سفر أيوب ص ٣١ عدد ٥، ٦ قوله عن نفسه:

(إن كنت قد سلكت مع الكذب أو أسرعت رجلي إلى الغش ليزني في ميزان الحق فيعرف الله كمالي).

٢ ــ ورد في سفر أيوب ص ٢٧ عدد ٤ قوله عن نفسه:

(لن تتكلم شفتاي إثماً ولا يلفظ لساني بغش).

٣ ــ وعن بني إسرائيل ورد في سفر صفنيا ص ٣ عدد ١٢ قوله:

(بقية إسرائيل لا يفعلون إثماً، ولا يتكلمون بالكذب، ولا يوجد في أفواههم لسان غش).

٤ ــ وعن شعب لاوي ورد في سفر ملاخي ص ٢ عدد ٦ قوله:

(شريعة الحق كانت في فيه وإثم لم يوجد في شفتيه).

٥ ــ وعن ثنائيل الشخص المؤمن بالمسيح جاء في إنجيل يوحنا ص ١ عدد ٤٧ قول المسيح:

(ورأى يسوع ثنائيل مقبلاً إليه، فقال عنه: هو ذا إسرائيلي حقاً لا غش فيه).

٦ ــ وعن جماعة النصارى المؤمنين جاء في رؤيا يوحنا ص ١٤ عدد ٥ قوله:

(وفي أفواههم لم يوجد غش لأنهم بلا عيب).

* * *

ثانياً: يستخلص النصارى مما ورد في رسالة بطرس الأولى ص ٢ عدد ٢٢ قوله عن المسيح:

(الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر) أن المسيح امتاز بعدم وجود مكر في فمه، مما يفيد الطبيعة اللاهوتية فيه.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

إن داوود النبـي جاء عنه في مزمور ٢٦ عدد ٤ قوله:

(ومع الماكرين لا أدخل).

فلا ميزة بعد ذلك للمسيح وبالتالي لا طبيعة لاهوتية فيه.

* * *

ثالثاً: ورد في مزمور ٤٥ عدد ٧ قوله:

(أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلّهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك)، ويحمل النصارى هذا القول على المسيح، مما يجعل له ميزة على سائر الناس.

كما ورد نفس المعنى في رسالة العبرانيين ص ١ عدد ٩ قوله عن الابن وهو المسيح:

(أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلّهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك).

الـــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

١ ــ إن أيوب ذكر في ص ٢٧ عدد ٤ من سفر أيوب قوله عن نفسه:

(لن تتكلم شفتاي إثماً).

٢ ــ وعن بني إسرائيل جاء في سفر صفنيا ص ٣ عدد ١٢ قوله:

(بقية إسرائيل لا يفعلون إثماً).

٣ ــ وعن يعقوب أي إسرائيل وبنيه جاء في سفر العدد ص ٢٣ عدد ٢١ قول بلعام:

(لم يبصر إثماً في يعقوب).

فلا ميزة للمسيح عن غيره ممن ذكر وبالتالي لا طبيعة لاهوتية فيه.

* * *

رابعاً: ورد في رسالة العبرانيين ص ٧ عدد ٢٦ قوله عن المسيح:

(لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس).

كما جاء في رسالة بطرس الأولى ص ١ عدد ١٩ قوله عن المسيح:

(بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح).

ويستخلص النصارى أن المسيح له ميزة على الناس لأنه كان بلا عيب فيه مما يفيد الطبيعة اللاهوتية.

الـــرد:

ويرد على ذلك بالمقابلة بالآتي:

لقد جاء في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ص ١٤ عدد ٥ قوله عن جماعة النصارى المؤمنين:

(لأنهم بلا عيب قدام عرض الله).

ومن ذلك يتبين أنه لا ميزة للمسيح في هذه الصفة عن سواه من المؤمنين، وبالتالي فلا ميزة له عليهم من طبيعة لاهوتية أو ماشاكل ذلك.

* * *

خامساً: ورد في رسالة بطرس الأولى ص ٢ عدد ٢٢ قوله عن المسيح:

(الذي لم يفعل خطية . .).

وتكرر هذا المعنى في:

١ ـ رسالة العبرانيين ص ٤ عدد ١٥ قوله:

(بل مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية).

٢ ـ وفي رسالة العبرانيين ص ٧ عدد ٢٦ قوله:

(قد انفصل عن الخطاة).

٣ ـ وفي رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ص ٥ عدد ٢١ قوله:

(لأنه جعل الذي لم يعرفه خطية لأجلنا لنصير تحت برّ الله فيه).

٤ ــ وجاء في إنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٤٦ قول المسيح:

(من منكم يبكتني على خطية).

ويستخلص النصارى من مجموع النصوص السابقة ميزة خاصة للمسيح على غيره.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

١ ــ جاء في رسالة يوحنا الأولى ص ٣ عدد ١ ــ ٦ قوله عن النصارى المؤمنين:

(انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله من أجل هذا لا يعرفنا العالم لأنه لا يعرفه، أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله، ولم يظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أظهر يكون مثله لأننا سنراه كما هو... وتعلمون أن ذاك أظهر لكي يرفع خطايانا، وليس فيه خطية كل من يثبت فيه لا يخطىء).

٢ ــ وجاء في رسالة يوحنا الأولى أيضاً ص ٥ عدد ١٨، ١٩ قوله:

(تعلم أن كل من ولد من الله لا يخطىء بل المولود من الله يحفظ نفسه، والشرير لا يمسه، نعلم أننا نحن من الله).

والخــلاصــة:

أنه لا ميزة للمسيح على غيره من المؤمنين به ما دام قد ثبت في المسيح بإيمانه فهو لا يخطىء، كذلك الحال من ولد من الله فهو لا يخطىء، وإذا كان ذلك كذلك فلا طبيعة لاهوتية للمسيح كما يزعمون.

* * *

سادساً: يؤمن النصارى بأن المسيح امتاز من غيره بالاستقامة ويستندون إلى النصوص الآتية:

١ ــ ما ورد بمزمور ٤٥ عدد ٦ ويحملونه على المسيح:

(كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك).

ومكرر هذا المعنى في الرسالة إلى العبرانيين ص ١ عدد ٨ بقوله:

(وأما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور ــ قضيب استقامة قضيب ملكك).

٢ ــ ما ورد بإنجيل لوقا ص ٢٠ عدد ٢١ قوله عن المسيح:

(فسألوه قائلين: يا معلم إنك بالاستقامة تتكلم وتعلم).

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

لقد ورد في الأسفار المقدسة أن أيوب وداوود وسبط لاوي، وصفوا جميعاً بالاستقامة، كما وصف المسيح بلا فرق، طبقاً للآتي، وبالتالي فلا طبيعة لاهوتية في المسيح.

١ ــ فعن أيوب جاء بسفره ص ١ عدد ١ قوله:

(كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب، وكان هذا الرجل كاملاً ومستقيماً، يتقي الله ويحيد عن الشر)[١].

٢ ــ وجاء في سفر أيوب ص ١ عدد ٨ قوله عن أيوب أيضاً:

(رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر).

٣ ــ وعن داوود جاء بسفر الملوك الأول ص ٣ عدد ٦ قول سليمان إلى الله:

(فقال سليمان إنك قد فعلت مع عبدك داوود أبـي رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبرّ واستقامة قلب معك).

٤ ــ ورد بسفر الملوك الأول ص ٩ عدد ٣ قول الله لسليمان:

(وأنت إن سلكت أمامي كما سلك داوود أبوك بسلامة قلب واستقامة).

٥ ــ وعن سبط لاوي جاء بسفر ملاخي ص ٢ عدد ٤ ــ ٦ قوله:

(فتعلمون أني أرسلت إليكم هذه الوصية لكون عهدي مع لاوي. . . شريعة الحق كانت في فيه، إثم لم يوجد في شفتيه، سلك معي في السلام والاستقامة، وأرجع كثيرين عن الإثم).

* * *

---

(١) أرض عوص: هي وطن أيوب عليه السلام. قيل إنها تقع بين دمشق واللجاة، وقيل هي أورفة على أرض الفرات، ولكن الراجح أنها كانت في نجد.

سابعاً: جاء في مزمور ٤٥ عدد ٧ قوله: (أحببت البر).

ويحمل النصارى هذا القول على المسيح باعتباره نبوة مسيحية، وتصور هذا الوصف على المسيح وامتيازه به عن سائر الناس.

الــــرد:

لكن يرد على ذلك بالآتي:

لقد ورد بالأسفار المقدسة أن نوحاً وأيوب وداوود وزكريا وزوجته اليصابات، وصفوا بالبر كالمسيح بلا أي فرق كما يلي:

١ ــ فعن نوح جاء بسفر التكوين ص ٧ عدد ١ قوله:

(وقال الرب لنوح ادخل وجميع بيتك إلى الفلك لأني إياك رأيت باراً لديَّ في هذا الجبل).

٢ ــ وعن أيوب جاء بسفره في ص ٢٧ عدد ٦ قوله:

(تمسكت ببري ولا أُرخيه).

٣ ــ وفي سفر أيوب ص ٢٩ عدد ١٤ قوله عن نفسه:

(لبست البر فكساني).

٤ ــ وعن داوود جاء في سفر الملوك الأول ص ٣ عدد ٦ قول سليمان إلى الله:

(فقال سليمان إنك قد فعلت مع عبدك داوود أبـي رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبر واستقامة قلب معك).

٥ ــ وعن زكريا وزوجته اليصابات جاء بإنجيل لوقا ص ١ عدد ٥ ــ ٦ قوله:

(كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا وامرأته من بنات هارون واسمها اليصابات، وكانا كلاهما بارين أمام الله، سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم).

• • •

الباب التاسع

في

معجزات المسيح الخمس

وقد اعتقد النصارى بسببها أن طبيعته لاهوتية، وهي:

(١) إخراج المسيح للشياطين.

(٢) صوم المسيح أربعين يوماً وصالاً.

(٣) إحياء المسيح للموتى.

(٤) صعود المسيح إلى السماء.

(٥) نزول المسيح من السماء إلى الأرض.

والرد على هذه الأقوال.

(١)
مبحث (إخراج المسيح للشياطين)

١ ـ ورد بإنجيل متى ص ٨ عدد ٢٨ ـ ٣٢ عن المسيح وإخراج الشياطين:

(ولما جاء إلى العبر إلى كورة الجرجسيين استقبله مجنونان خارجان من القبور هائجان جداً حتى لم يكن أحد يقدر أن يجتاز تلك الطريق، وإذا هما قد صرخا قائلين: ما لنا ولك يا يسوع ابن الله، أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا؟ وكان بعيداً منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى، فالشياطين طلبوا إليه قائلين: إن كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير، فقال لهم: امضوا، فخرجوا ومضوا إلى قطيع الخنازير، وإذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف إلى البحر ومات في المياه).

٢ ـ وشبيه به ما ورد في إنجيل متى ص ٩ عدد ٣٢ ـ ٣٤:

(وفيما هما خارجان إذا إنسان أخرس مجنون فدعوه إليه، فلما خرج الشيطان تكلم الأخرس).

ويستخلص النصارى من هاتين الواقعتين، وما يماثلها من وقائع، أن في المسيح طبيعة لاهوتية هي التي تخرج الشياطين.

الـــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: لقد ورد في العهد الجديد أيضاً أنه كان في الأمة اليهودية من كان يخرج الشياطين مثل المسيح تماماً، وهذا بإقرار السيد المسيح نفسه، فقد ورد بإنجيل متى ص ١٢ عدد ٢٧ قول المسيح لليهود بما لا يجعل أي مزية فيها للمسيح وهو:

(وإن كنت أنا أخرج الشياطين ببعلزبول، فأبناؤكم بمن يخرجونهم لذلك هم يكونوا قضاتكم).

ثانياً: إن المقصود بمعنى إخراج المسيح للشياطين، هو قيامه باستبدال استيلاء الشياطين على قلوبهم، باستيلاء الملائكة لها بدليل الآتي:

١ ـ ما ورد بإنجيل متى ص ١٦ عدد ٢١ ـ ٢٣:

(من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم، ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤوساء الكهنة والكتبة ويُقتل، وفي اليوم الثالث يقوم، فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلاً: حاشاك يا رب، لا يكون لك هذا، فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله، لكن بما للناس).

فهنا ترى المسيح عليه السلام وصف بطرس بأنه شيطان، وبطرس لم يكن بالحقيقة شيطاناً بل كان آدمياً، فوصف المسيح له بأنه شيطان يعني أن الشيطان قد دخله وسيطر على قلبه، فأعطى رأيه للمسيح بلسان بطرس، فهذا الرأي الذي أبداه للمسيح لما كان فاسداً، كان من الشيطان الذي أجراه على لسانه، فلذلك وصف بكونه شيطاناً.

٢ ـ ورد في إنجيل يوحنا على لسان المسيح لتلاميذه ص ٦ عدد ٧٠ ـ ٧١ الآتي:

(أجابهم يسوع أني أنا اخترتكم الاثني عشر وواحد منكم شيطان).

فلقد قال المسيح ذلك عن يهوذا الأسخريوطي لأنه كان متآمراً على تسليمه، وهو واحد من الاثني عشر تلميذاً، كما ورد في إنجيل لوقا ص ٢٢ عدد ١ ـ ٤ ما يؤيد تفسير استيلاء الشيطان على قلب يهوذا الأسخريوطي وهو الآتي:

(وقرب عبد الفطير الذي يقال له: الفصح، وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يقتلونه ـ أي المسيح ـ لأنهم خافوا الشعب، فدخل الشيطان في يهوذا الذي يدعى الأسخريوطي، وهو من جملة الاثني عشر، فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقوّاد الجند كيف يسلمه اليوم).

نفس هذا المعنى في إنجيل يوحنا ص ١٣ عدد ٢٦، ٢٧ عن المسيح:

(فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الأسخريوطي، فبعد اللقمة دخله الشيطان، فقال له يسوع: ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة).

فيهوذا الأسخريوطي هذا وصف مرتين بكونه الشيطان دخله، ووصف مرة على وجه المبالغة بأنه شيطان، مع أنه لم يكن مجنوناً، ولكن حيث إن فكره في المسيح كان ردياً قيل في حقه بأنه شيطان أو أن الشيطان دخله.

٣ ــ ورد في إنجيل متى ص ١١ عدد ١٨ مقالة اليهود عن يوحنا المعمدان بأنه شيطان، وجاء ذلك على لسان المسيح حكاية عن اليهود:

(لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان).

ولقد وصف اليهود يوحنا المعمدان بأنه شيطان لأنه ابتعد عنهم، وأقام في البرية فلم يأكل من طعامهم ولم يشرب من شرابهم، فعدّه اليهود مبتدعاً ووصفوه بأن فيه شيطاناً.

٤ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٤٨ قول اليهود للمسيح:

(إنك سامريّ وبك شيطان).

فلم يكن اليهود يرمون بهذا الكلام بأن المسيح مجنون، بل كانوا يقصدون بهذا القول أن المسيح ما دام يلقي تعاليم تخالف طريقتهم وتقاليدهم، فهو آثم وأن الشيطان دخل فيه فلهذا قالوا له: (وبك شيطان)[1].

النـتـيـجـة:

والنتيجة التي يمكن استخلاصها مما سبق أن معنى إخراج المسيح للشياطين من الناس، هو إبعاد سلطة الشياطين، وأفعالهم الشريرة على وجدانهم، وأفكارهم، وإبدال ذلك بالهدي والرشاد، والاستقامة والمثابرة على الأعمال الحسنة، وهذا لا يكون إلا بالتعاليم السامية التي يوحيها الله إليه دون أن تكون فيه طبيعة لاهوتية.

---

(١) السامريون: هم قبيلة أفرايم أحد أسباط بني إسرائيل التي قدَّست هيكل موسى الذي بناه خليفته يوشع بن نون في السامرة على جبل جرزيم المقدس عندهم قرب نابلس، ويعتقد السامريون أنهم فقط أتباع موسى بالحقيقة، المحافظون على توراته الأصلية وتعاليمه وأنهم هم فقط ذرية وبقية نسل الأسباط الاثني عشر أولاد يعقوب.

(٢)
مبحث (صَوْم المسيح أربعين يوماً وصالاً)

ورد بإنجيل متى ص ٤ عدد ٥ عن المسيح:

(فبعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً).

ويستخلص النصارى من ذلك أن المسيح كان فوق الطبيعة البشرية، بحيث لا يقدر على ذلك الصيام سوى من به طبيعة لاهوتية.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

١ ــ ورد في سفر التثنية ص ٩ عدد ٩ عن موسى عليه السلام وصيامه الآتي:

(أقمت في الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة لا آكل خبزاً ولا أشرب ماء).

فهنا صام موسى أربعين يوماً وأربعين ليلة، كلها متواصلة بلا أكل ولا شرب، بل وبلا جوع في نهاية الصيام، كما حدث للمسيح عليه السلام، ولم يذهب أحد إلى أن موسى فيه طبيعة لاهوتية.

٢ ــ ورد في سفر الملوك الأول ص ١٩ عدد ٧، ٨ عن إيليا:

(ثم عاد ملاك الرب ثانية فمسّه وقال: قم، وكل لأن المسافة كثيرة عليك، فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة أربعين نهاراً وأربعين ليلة إلى جبل الله حوريب)[١].

ولم يذهب أحد إلى أن في إيليا طبيعة لاهوتية، مع أنه كان ممتنعاً عن الأكل والشرب مدة أربعين نهاراً وأربعين ليلة.

---

(١) جبل حوريب هو جبل سيناء المقدس.

(٣)

مبحث (إحياء المسيح الموتَى)

ورد في إنجيل متى ص ٩ عدد ١٨، ١٩:

(وفيما هو يكلمهم، إذا رئيس قد جاء، فسجد له قائلاً: إن ابنتي الآن ماتت، لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا، فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذه).

وفي عدد ٢٢ ــ ٢٦ من نفس الإنجيل:

(ولما جاء يسوع إلى بيت الرئيس ونظر النادبين بالمزمار والجميع يصيحون، قال لهم: تنحوا فإن الصبية لم تمت لكنها نائمة فضحكوا عليه، فلما خرج الجميع، دخل وأمسك بيدها فقامت الصبية، فخرج ذلك الخبر إلى تلك الأرض كلها).

ويستخلص النصارى من تلك الواقعة، وما شابهها في باقي الأناجيل أن المسيح له سلطان على الموت، وأن ذلك بفعل الطبيعة اللاهوتية التي فيه.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن إحياء الموتى لم يختص به المسيح، بل وقع على يد غيره طبقاً للآتي:

١ ــ **بطرس يحيي الموتى**، دون أن يقول أحد إن فيه طبيعة لاهوتية:

فقد ورد في رسالة أعمال الرسل ص ٩ عدد ٣٦ ــ ٤٢:

(وكان في يافا تلميذة اسمها (طابيثا) الذي ترجمته غزالة، هذه كانت ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات كانت تعملها، وحدث في تلك الأيام أنها مرضت وماتت، فغسلوها، ووضعوها في عُليّة، وإذ كانت لُدّة[١] قريبة من يافا، وسمع التلاميذ أن بطرس فيها، أرسلوا رجلين يطلبان إليه أن لا يتوانى عن أن يجتاز إليهم، فقام بطرس وجاء معهما، فلما وصل صعدوا به إلى العلية[٢]، فوقفت لديه جميع الأرامل يبكين ويرتدين أقمصة

---

(١) لدة: هي مدينة اللد حالياً في فلسطين، وتقع بين مدينة يافا ومدينة القدس.

(٢) العلية: هي غرفة تكون في الدور العلوي من الدار.

وثياباً مما كانت تعمل غزالة، وهي معهن، فأخرج بطرس الجميع خارجاً، وجثا على ركبتيه، وصلى، ثم التفت إلى الجسد، وقال: يا طابيثا قومي ففتحت عينيها. ولما أبصرت بطرس جلست فناولها يده وأقامها، ثم نادى جميع القديسين والأرامل وأحضرها حية فصار ذلك معلوماً في يافا كلها، وآمن كثيرون بالرب).

٢ ـ **بولس يحيي الموتى**، ولم يقل أحد إن فيه صفة لاهوتية، فقد ورد في رسالة أعمال الرسل ص ٢٠ عدد ٧ ـ ١٢ ذلك في قوله:

(وفي أول الأسبوع إذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزاً، خاطبهم بولس وهو مزمع أن يمضي في الغد، وأطال الكلام إلى نصف الليل، وكانت مصابيح كثيرة في العُلّية التي كانوا مجتمعين فيها، وكان شاب اسمه (أفتيخوس) جالساً في الطاقة مثقلاً بنوم عميق، وإذ كان بولس يخاطب خطاباً طويلاً غلب عليه النوم، فسقط من الطبقة الثالثة إلى أسفل وحمل ميتاً، فنزل بولس ووقع عليه، واعتنقه قائلاً: لا تضطربوا لأنه نفسه فيه، ثم صعد وكسر خبزاً وتكلم كثيراً إلى الفجر، وأتوا بالفتى حياً وتعزوا تعزية ليست بقليلة.

٣ ـ **إيليا يحيي الميت**، ولم يقل أحد إن فيه طبيعة لاهوتية[١].

فقد ورد في سفر الملوك الأول ص ١٧ عدد ١٧ ـ ٢٤ الآتي:

(وبعد هذه الأمور مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتد مرضه جداً حتى لم تبق فيه نسمة، فقالت لإيليا: ما لي ولك يا رجل الله، هل جئت إلى تذكير إثمي وإماتة ابني؟ فقال لها: أعطيني ابنك؟ وأخذه من حضنها وصعد به إلى العلية التي كان مقيماً فيها، وأضجعه على سريره، وصرخ إلى الرب، وقال: أيها الرب إلهي أيضاً إلى الأرملة التي أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنها؟! فتمدد على الولد ثلاث مرات، وصرخ إلى الرب وقال: يا رب إلهي لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه، فسمع الرب إلى صوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش، فأخذ إيليا الولد ونزل به من العلية إلى البيت ودفعه لأمه، وقال إيليا انظري ابنك حيّ، فقالت المرأة لإيليا: هذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب في فمك حق).

---

(١) إيليا: هو أحد بني إسرائيل العظام.

٤ ــ أليشع خليفة إيليا في النبوة على بني إسرائيل يحيـي الموتى:

فقد ورد في سفر الملوك الثاني ص ٤ عدد ١٧ ــ ٣٧:

(فحبلت المرأة وولدت ابناً في ذلك الميعاد، نحو زمان الحياة كما قال لها أليشع. وكبر الولـد، وفي ذات يوم خـرج إلى أبيه إلى الحـصادين وقال لأبيه رأسي، رأسي، فقال للغلام: احمله إلى أمه فحمله وأتى به إلى أمه، فجلس على ركبتيها إلى الظهر، ومات، فصعدت وأضجعته على سرير رجل الله، وأغلقت عليه، وخرجت ونادت رجلها، وقالت: أرسل لي واحداً من الغلمان وإحدى الأتن، فأجري إلى رجل الله وأرجع، فقال: لماذا تذهبين إليه اليوم، لا رأس شهر ولا سبت؟ فقالت: سلام، وشدت على الأتان، وقالت لغلامها: سق وسر ولا تتعوق لأجلي في الركوب، إن لم أقل لك، وانطلقت حتى جاءت إلى رجل الله إلى جبل الكرمل، فلما رآها رجل الله من بعيد، قال لجيحزي غلامه: هو ذا تلك الشونميّة، اركض الآن للقائها، وقل لها: أسلام لك؟ أسلام لزوجك؟ أسلام للولد؟ فقالت: سلام، فلما جاءت إلى رجل الله إلى الجبل، أمسكت رجليه، فتقدم جيحزي ليدفعها فقال رجل الله: دعها لأن نفسها مُرَّة فيها، والرب كتم الأمر عني، ولم يخبرني، فقالت: هل طلبت ابناً من سيدي؟ ألم أقل: لا تخدعني، فقال لجيحزي: اشدد حقويك وخذ عكازي بيدك وانطلق، وإذا صادفت أحداً فلا تباركه، وإن باركك أحد فلا تجبه، وضع عكازي على وجه الصبـي، فقالت أمّ الصبـي: حيّ هو الرب، وحية هي نفسك، إني لا أتركك، فقام وتبعها وكان جيحزي قدّامها، ووضع العكاز، على وجه الصبـي، فلم يكن صوت ولا إحساس فرجع للقائه وأخبره قائلاً لم ينتبه الصبـي، ودخل أليشع البيت وإذا بالصبـي ميت مضطجع على سريره، فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما، وصلّى إلى الرب، ثم صعد واضطجع فوق الصبـي، ووضع فمه على فمه، وعينيه على عينيه، ويديه على يديه، وتمدد عليه، فسخن جسد الولد، ثم عاد وتمشى في البيت تارة إلى هنا وتارة إلى هناك، وصعد وتمدد عليه، فعطس الصبـي سبع مرات، ثم فتح الصبـي عينيه، فدعا جيحزي، وقال: ادع هذه الشونميّة فدعاها ولما دخلت إليه قال احملي ابنك، فأتت وسقطت على رجليه إلى الأرض ثم حملت ابنها وخرجت).

ومن هذه الواقعة يتبين أن أليشع أحيا ذلك الصبـي بعد أن مات بالفعل بشهادة أمه وجيحزي والنبـي أليشع، ولم يقل أحد إن في أليشع طبيعة لاهوتية نتيجة قيامه بإحياء ذلك الصبـي الميت.

٥ ـ بل أن عظام أليشع في قبره أحيت الميت، ومع ذلك فلم يقل أحد البتة إن في عظامه لاهوتاً، رغم أن هذه الواقعة أعظم جداً من واقعة إحياء المسيح للموتى، فقد ورد في سفر الملوك الثاني ص ١٣ عدد ١٢:

(وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر أليشع، فلما نزل الرجل ومس عظام أليشع عاش وقام على رجليه).

فإحياء العظم الرميم لأليشع للرجل الميت أعجب وأعظم من إحياء المسيح للميت.

والنتيجة من كل ما سبق هي:

إن إحياء الموتى كما وقع بيد المسيح، وقع بيد إيليا وأليشع وبطرس وبولس، والأعظم منه أنه وقع بمس عظم أليشع، فلو كان ذلك مقتضياً أن في المسيح طبيعة لاهوتية لكانت في هؤلاء المذكورين، ولم يقل به أحد البتة.

فصل منه: (هل كان إحياء المسيح للموتى استناداً إلى قوّته وسلطانه أي إلى الطبيعة اللاهوتية، أم استناداً إلى قوّة الله العلوية ؟):

١ ـ ورد بإنجيل متى ص ٩ عدد ٢٥ عن واقعة إحياء المسيح للصبية بنت بايروس اليهودي رئيس المجمع في كفر ناحوم:

(فلما أخرج الجمع، دخل وأمسك بيدها، فقامت الصبية).

٢ ـ وورد بإنجيل لوقا ص ٧ عدد ١٤، ١٥ عن واقعة إحياء المسيح لابن الأرملة في بلدة نابين:

(ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون، فقال: أيها الشاب أقول قم، فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه).

٣ ــ وورد بإنجيل يوحنا ص ١١ عدد ٤٣، ٤٤ عن واقعة إحياء المسيح العازر من بيت عنبا من قرية مريم ومرتا أختها بعد دفنه في القبر:

(ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم: لعازر هلمَّ خارجاً، فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطان بأقمطة، ووجهه ملفوف بمنديل، فقال لهم يسوع: حلوه ودعوه يذهب).

ومن هذه النصوص الثلاثة السابقة يستخلص النصارى أن المسيح كانت أقواله فعّالة فوراً، لأنها قول ذي سلطان، لا بد للموت والحياة من أن يطيعاه، مما يثبت الطبيعة اللاهوتية له، بعكس ما حدث لبطرس، فإنه إنما قدر على إحياء الميت ببركة أتباعه للمسيح وبما صلاه إلى ربه حينما جثا على ركبتيه.

وكذلك بولس فحينما أحيا الشاب الذي مات بسبب سقوطه من الطبقة الثالثة إلى أسفل فقد استند في ذلك على غير سلطانه وقوته، فعادت إلى الشاب الحياة، وأما إيليا فحينما أحيا الميت، فقد صلّى لله صلاة كانت متضمنة كل لجلجة، وكان مستنداً على قوة غير قوته، وكان يمارس أعمالاً.

وأما أليشع فحينما أحيا الميت استند بصلاته على قوة غير قوته، فدبت الحياة في الصبـي تدريجياً وكان يمارس أعمالاً أيضاً.

الــرد:

ولكن يُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: كما أن كلا من بطرس وبولس وإيليا وأليشع صلَّى لله، واعتمدوا على قوة الله السماوية التي هي فوق قواهم، فكذلك فعل المسيح حينما أحيا لعازر، فإنه ورد بإنجيل يوحنا ص ١١ عدد ٤١، ٤٢ عنه الآتي:

(دفع يسوع عينيه إلى فوق، وقال: أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي، وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني).

١ ــ فرفع يسوع عينيه إلى فوق، الذي هو دعاء قلبـي، ومناجاة سرية، وتوجه إلى الله بالقلب، لهو وأعظم أنواع الدعاء المحتوي للإخلاص الداعي للإجابة.

٢ ـ كما أن ذكره على أن الله طالما سمع له، هو كما لا يخفى ذريعة طلب المزيد، لأنه من المُسَلَّم به أن الثناء هو من أعظم أنواع الدعاء.

ثانياً: ولما كان الثابت في إحياء المسيح للعازر أنه دعا ربه قلبياً سرياً، فلا مانع أن يكون قد دعاه قلبياً أيضاً حينما أحييٰ ابنة بايروس ثم ابن الأرملة قياساً على ما حدث في واقعة إحيائه للعازر، بل إن القياس يحتم أنه وقع منه ذلك، لعدم وجود أي فارق بينهما.

ثالثاً: وكما كانت صلاة إيليا محتوية على لجاجة حينما أحييٰ الميت، فكذلك كان المسيح حينما أراد أن يحيي لعازر، فقد ورد في إنجيل يوحنا ص ١١ عدد ٣٣ أنه قبيل ذلك:

(انزعج بالروح واضطرب).

وفي عدد ٣٥ أنه (بكى) وفي عدد ٣٨ أنه أيضاً:

(فانزعج يسوع أيضاً في نفسه).

هذا من علامات اللجاجة.

رابعاً: وكما مارس إيليا وأليشع أعمالاً وقت الإحياء، فقد وقع نظيره للمسيح تقريباً إذ إنه سعى لمحل ابنة بايروس وأمسك بيدها نظير ما يفعله الطبيب في وقتنا الحالي، حينما يعود مريضاً ويجس جسمه ونبضه.

خامساً: إن قول المسيح لابنة بايروس: (طليثا قومي)، ولابن الأرملة: (لك أقول قم)، وللعازر: (هلمّ خارجاً)، ليس أعظم من قول إيليا لرئيس الخمسين رجل: (إن كنت أنا رجل الله فلتنزل نار من السماء وتأكلك أنت والخمسين رجل).

فقد وقع هذا الحادث المهول بمجرد أمر وإرادة إيليا، نظير ما وقع للمسيح في أمره الميت أن يقوم بلا فرق، **فإن هذا أَمَرَ فكان وهذا أَمَرَ فكان**، ولم يحصل من إيليا توسل ولا دعاء، ولا لجاجة، ولا اضطراب وبدون انزعاج. نظيره انغلاق النهر لإيليا، بمجرد ضربه إياه بردائه، كما ورد في سفر الملوك الثاني، ونصه:

(وأخذ إيليا رداءه ولفه وضرب الماء فانغلق إلى هنا وهناك).[1]. =

سادساً: إن كل ما فعله المسيح لا يفسره ولا يجسمه إلا قول المسيح نفسه.

١ ــ فقد قال مرة:

(ولست أفعل شيئاً من نفسي).

انظر إنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٢٨.

٢ ــ وقال مرة أخرى:

(الأعمال التي أنا أعملها باسم أبـي هي تشهد لي).

انظر إنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ٢٥.

والنتيجة التي نخلص منها مما سبق سرده هي:

أن النفوس التي أحياها المسيح إنما أحياها باسم الله سبحانه وتعالى، لا باسمه، **فهو لم يعملها بسلطانه ومجده بل بسلطان الله وحده.**

(٤)
مبحث (صعود المسيح إلى السماء)

١ ــ ورد في إنجيل مرقص ص ١٦ عدد ١٩ عن المسيح وتلاميذه:

(ثم إن الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء).

٢ ــ وورد في إنجيل لوقا ص ٢٤ عدد ٥١:

(وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأصعد إلى السماء).

٣ ــ وورد في سفر أعمال الرسل ص ١ عدد ٩:

(ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون).

ويستخلص النصارى من هذه النصوص أن المسيح صعد حياً إلى السماء، وهو حي فيها الآن مما يفيد بوجود لاهوتية فيه.

---

(١) سفر الملوك الثاني ص ١ عدد ١٠.

الـــرد:

ولكن يُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن أخنوخ وهو الجيل السابع من آدم عليه السلام صعد حياً إلى السماء وأنه حيّ فيها وهذا بنص سفر التكوين ص ٥ عدد ٢٤ وهو:

(وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد، لأن الله أخذه).

وقد فسر علماء اللاهوت هذا الأخذ بالرفع إلى السماء، وعبر عنه بولس في رسالته إلى العبرانيين بالنقل حيث ورد في ص ١١ عدد ٥ فيها:

(وبالإيمان نقل أخنوخ لكي لا يرى الموت، ولم يوجد لأن الله نقله).

ثانياً: إن إيليا رفع للسماء حياً وإنه للآن حيّ فيها، وهذا بنص سفر الملوك الثاني ص ٢ عدد ١١، و ١٢:

(وفيما هما ــ أي إيليا وأليشع ــ يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار فصلت بينهما، فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء، وكان أليشع يرى وهو يصرخ: يا أبـي مركبة إسرائيل وفرسانها ولم يره أحد).

ولم يقل أحد: إن بأخنوخ أو بإيليا طبيعة لاهوتية، رغم أنهما رفعا إلى السماء مثلهما مثل المسيح تماماً.

ثالثاً: إن النصرانية في اعتقادها بألوهية المسيح تقول: إن المسيح أخذ جسداً بشرياً لكي يوفى به ابن الله على الناس، فإذا كان الأمر كذلك، كان بعد موته لا لزوم لأخذه ذلك الجسد البشري إلى السماء عند صعوده، والاكتفاء بروحه فقط، الأمر الذي يمكن القول معه بأن رفعه إلى السماء كان بروحه فقط، وهي مرتبة أقل من مرتبة أخنوخ وإيليا.

فصل مــنه: (هل كان جلوس المسيح عن يمين الله بعد رفعه إلى السماء يدل على أن رفعه بالجسم والروح؟):

يستدل النصارى بما ورد في إنجيل مرقص ص ١٦ عدد ١٩ عن المسيح بقوله:

(ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله).

بأنه رفع إلى السماء بالجسم والروح.

الــرد:

لكن يُرد على ذلك بالآتي:

١ ــ إن هذا الجلوس ليس على حقيقته، بل هو كناية عن الاحترام وعلو المنزلة، والعادة كانت قديماً أن يضاف إلى الله تعالى ما يكون فيه الأبرار في عالم الغيب قبل البعث وبعده.

٢ ــ وشبيه بذلك ما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى:

(أ) ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً، بلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقون﴾، في وصف الشهداء[١].

(ب) ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَر، في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِر﴾[٢].

(ج) ﴿إِذْ قَالَ الله يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إليّ﴾[٣]، أي جاعلك في مكان رفيع عندي.

(د) ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ إِدْرِيس إِنَّهُ كَان صِدِّيقاً نَبِيّاً، وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾[٤].

٣ ــ كذلك فإن جلوس المسيح عن يمين الله، هو جلوس معنوي، ونظيره ما ورد في سفر الملوك الأول ص ٢٢ عدد ١٩، سفر أخبار الأيام الثاني ص ١٨ عدد ١٨ من قول (ميخا النبي)، وهو أحد أنبياء بني إسرائيل القدامى قبل الميلاد بزمن طويل، ونصه:

(قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

(٢) سورة القمر: الآيتان ٥٤، ٥٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

(٤) سورة مريم: الآية ٥٦، ٥٧.

فالوقوف والجلوس كلاهما معنوي والمقصود إظهار عظمة الله وقوته.

٤ ــ بل إن رؤية التلاميذ للمسيح عند رفعه إلى السماء رؤية باطنية روحية بمعنى أنها رؤية مجازية وليست حسية طبقاً للآتي:

(أ) ورد في إنجيل يوحنا ص ١٤ عدد ٢١ القول المنسوب للمسيح:

(الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبه أبـي، وأنا أحبه وأظهر له ذاتي).

وقد ذكر الدكتور وليم أدي في كتابه الخاص بتفسير الإنجيل أن الإظهار هنا ليس للحواس الظاهرة بل للقوى الباطنة.

(ب) ورد في رسالة يوحنا الأولى ص ٣ عدد ٦ من قول يوحنا:

(كل من يخطىء لم يبصره ولا عرفه).

فالمقصود هنا بالإبصار، الإبصار الروحي، ومنه يتبين تفسير رؤية التلاميذ للمسيح بعد قيامه إنها رؤية باطنية روحية.

(ج) وشبيه بذلك ما ورد في إنجيل يوحنا ص ١٤ عدد ١٩ من قول المسيح:

(بعد قليل لا يراني العالم أيضاً وأما أنتم فترونني).

فهذه رؤية للقوى الباطنية لأن المسيح قال بعد ذلك لهؤلاء التلاميذ في ص ١٦ عدد ١٠:

(فلأنني ذاهب إلى أبـي لا ترونني أيضاً).

فالمثبت في ص ١٤ عدد ١٩ الرؤية الباطنية، والمنفي في ص ١٦ عدد ١٠ الرؤية الحسية.

والنتيجة مما تقدَّم هي أن رؤية التلاميذ للمسيح بعد ذهابه عن العالم، رؤية روحية للقوى الباطنية فقط.

(٥)

مبحث (نزول المسيح من السماء إلى الأرض)

ورد في إنجيل يوحنا ص ١٤ عدد ٢٨ القول المنسوب للمسيح:

(سمعتم أني قلت لكم أنا ذاهب ثم آتي إليكم).

وقد فهم النصارى من هذا النص أن المسيح كما صعد إلى السماء بجسمه وروحه، فسينزل منها إلى الأرض مما يدل على وجود طبيعة لاهوتية فيه.

الرد على أن نزول المسيح من السماء ليس فيه طبيعة لاهوتية:

لكن يُرد على ذلك بالآتي:

١ ـ إن النبي إيليا الذي كان قد رفَعَه الله حياً إلى السماء، طبقاً لما توضح سابقاً، ينتظر اليهود مجيئه إليهم طبقاً لما ورد في سفر ملاخي ص ٤ عدد ٥، ونصه:

(ها أنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف).

٢ ـ إن النصارى تقول إن إيليا النبي هذا جاء في مجيء يوحنا المعمدان، أي أن يوحنا المعمدان هو إيليا أو حلّ فيه إيليا بروحه وقوته ومزاياه المنبثة فيه.

والنتيجة:

مما تقدَّم أنه لا فرق بين إيليا والمسيح في هذه المعجزة، ولم يقل أحد إن في إيليا طبيعة لاهوتية فلماذا إذاً تكون في المسيح مثل هذه الطبيعة مع أنهما في هذه المزية مشتركان بلا أي فارق بينهما.

• • •

الباب العاشر

في

الأسماء التي أُطلقت على المسيح

وهي خمسة، اعتقد معها النصارى بأنه له طبيعة لاهوتية. وهذه الأسماء هي:

(١) (يسوع).

(٢) (مسيح).

(٣) (مخلص).

(٤) (فادي).

(٥) (مختار).

والرد على هذه الأقوال.

(١)
مبحث (لفظ: يسوع)

ورد في أسفار العهد الجديد تسمية المسيح (يسوع) الذي معناه (مخلص)، وقد فهم النصارى من هذا الاسم أنه به، ويسمى به لأنه يخلص أمته تخليصاً روحانياً من عبودية الخطية وسلطتها.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن أصل كلمة يسوع هو يشوع قلبت سينه المعجمة سيناً مهملة، ومثالها موسى وموشى هما كلمة واحدة.

ثانياً: إنه تسمى باسم يسوع قبل المسيح كثيرون من بني إسرائيل، وما زال اليهود يسمون أبناءهم بهذا الاسم حتى الآن.

ثالثاً: ولقد تسمى بالاسم المذكور الآتي بيانهم ممن يعتقد أنهم قاموا بتخليص الأمة اليهودية دينياً ودنيوياً وهم.

١ ــ يشوع بن نون: فقد ورد في سفر العدد ص ١٣ عدد ١٦:

(ودعا موسى هوشع بن نون يشوع).

ويشوع هذا هو ابن نون وكان خادماً للنبـي موسى عليه السلام أي معيناً له في وظيفته ثم أصبح خليفة له بعد وفاته.

٢ ــ يشوع بن يوصاداق: وقد ورد ذكره في سفر عزرا ص ٥ عدد ٢ وهو خلاف يشوع بن نون:

(حينئذٍ قام زربابل[1] بن شالتئيل ويشوع بن يوصاداق[2] وشرعا يبنيان بيت الله الذي في أورشليم).

٣ ــ يشوع بن أزنباوبنوي من بني حيناداد، وقدميئيل، ورد ذكره في سفر نحميا ص ١٠ عدد ٩، ونصه:

(واللاويون يشوع بن أزنباوبنوي من بني حيناداد وقدميئيل).

٤ ــ وهناك يشوع رابع هو يشوع بن قدميئيل، وقد ورد ذكره في سفر نحميا ص ١٢ عدد ٢٤، ونصه:

(ورؤوس اللاويين حشبيا وشربيا ويشوع بن قدميئيل).

ويلاحظ أن يشوع بن نون كان نبيّاً، أما الثلاثة الباقون فكانوا كهنة، وقد تسموا باسم يشوع وخلَّصوا الشعب، روحياً أو دنيوياً طبقاً للمهام التي كانت ملقاة على عاتقهم.

(٢)
مبحث (لفظ: مسيح)

١ ــ ورد بإنجيل متى ص ١ عدد ١ :

(كتاب ميلاد يسوع المسيح).

٢ ــ ورد بإنجيل يوحنا ص ١ عدد ١٧ :

(أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا).

٣ ــ وورد في أعمال الرسل ص ١٨ عدد ٥ :

(كان بولس منحصراً بالروح وهو يشهد لليهود بالمسيح).

وقد فهم النصارى من هذه النصوص أن إطلاق لفظ المسيح على يسوع ميزة امتاز هو بها على سائر بني البشر.

---

(١) زربابل: كان قائداً لليهود الذين رجعوا من سبي بابل إلى بلاد اليهود في فلسطين.

(٢) يشوع بن يوصاداق: كان أحد كهنة اليهود الذين عادوا من سبي بابل.

الـــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: أطلقت الأسفار كلمة مسيح على أشخاص كثيرين غير يسوع طبقاً لما يلي:

١ ــ **أطلق على داوود لفظ المسيح**: فقد ورد ذلك في مزمور ١٨ عدد ٥٠ ونصه:

(برج خلاص لملكه والصانع رحمة لمسيحه لداوود ونسله إلى الأبد).

٢ ــ **أطلق على شاوول الملك لفظ مسيح** بالنصوص الآتية:

(أ) ورد في سفر صموئيل الأول ص ١٠ عدد ١:

(أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه ملكاً).

(ب) وفي سفر صموئيل الأول ص ١٢ عدد ٣، يقول:

(فاشهدوا عليَّ قدام الرب وقدام مسيحه).

(ج) وكان شاوول هذا ملكاً على بني إسرائيل كما في سفر صموئيل الأول ص ١٢ عدد ٥، ونصه:

(فقال لهم: شاهد الرب عليكم وشاهد مسيحه اليوم هذا عليكم).

٣ ــ **وأطلق على أي ملك في إسرائيل لفظ مسيح**، وهذه هي الأمثلة:

(أ) ورد في مزمور ٨٩ عدد ٣٨ من قول إيثان الأزراحي، وكان من سبط لاوي حيث اشتهر بالحكمة، ويقال: إنه هو الذي كتب أحد المزامير:

(لكنك رفضت ورذلت غضبت على مسيحك).

قبل هذا كان الملك ألياقيم أو صدقياه أو مطلق مسيح ليهوذا.

(ب) ورد في سفر صموئيل الأول ص ٢ عدد ١٠ عن حنة أم النبـي صموئيل في ترنيمها للرب:

(ويعطي عزاً لملكه ويرفع فوق مسيحه).

(ج) ورد في سفر صموئيل الأول ص ٢ عدد ٣٥ من قول مخاطبة الرب لِعالي الكاهن وكان قاضياً من العظماء عند بني إسرائيل:

(وأقيم لنفس كاهناً أميناً يعمل حسب ما بقلبي ونفسي، وأبني له بيتاً أميناً فيسير أمام مسيحي كل الأيام).

٤ ـ أطلق على أي نصراني بأنه ممسوح من الله:

ودليل ذلك ما ورد في رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس ص ١ عدد ٢١ قول بولس:

(ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله).

٥ ـ أطلق على كورش ملك الفرس لفظ مسيح:

ورد ذلك في سفر أشعيا ص ٤٥ عدد ١:

(هكذا يقول الرب لمسيحه كورش الذي أمسكت بيمينه لادوس أمامه أمماً).

٦ ـ ورد في الأسفار أن المسحاء كثيرون:

(أ) فقد ورد في سفر الأيام الأول ص ١٦ عدد ٢٢:

(لا تمسحوا مسحائي، ولا تسيئوا إلى أنبيائي).

(ب) كما ورد في مزمور ١٠٥ عدد ١٥ نفس المعنى:

(لا تمسحوا مسحائي ولا تسيئوا إلى أنبيائي).

والنتيجة:

مما تقدَّم يتضح أنه لا خصوصية ليسوع عليه السلام بلقب المسيح.

فصل (١) الادعاء بأن يسوع امتاز عن سابقيه بأنه ممسوح بدهن الابتهاج وليس بالزيت:

يقول النصارى إن يسوع المسيح مسح بدهن الابتهاج أما غيره من السابقين فقد مسحوا بالزيت المعتاد عندهم، والمعد لمسح الملوك ويستدلون على ذلك بالآتي:

١ ـ ما ورد في مزمور ٤٥ عدد ٧:

(أحببت البر وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلٓهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك).

ويذكر النصارى أن هذه نبوءة من داوود عن يسوع، ويزعمون أن علماءهم المدققين هم الذين وصل إلى علمهم هذا التفسير.

٢ ــ ما ورد في رسالة بولس إلى العبرانيين ص ١ عدد ٨، ٩:

(وأما عن الابن كرسيك يا الله إلى أبد الآبدين وهو الدهور، قَضيبٌ استقامة مُلْكك، أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلٓهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك).

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: لدى مراجعة المزمور ٤٥ يتبين أن ما ورد به من مقالة قد نظمها بنو قورح عن داوود أو عن ابنه سليمان عليهما السلام وليس عن يسوع.

ثانياً: إنه مع التسليم بأن ما ورد في رسالة بولس إلى العبرانيين عن يسوع فإن غاية ما تفيده عبارة:

(مسحك الله إلٓهك بدهن الابتهاج).

أن الله مبتهج به، أو أن يسوع مبتهج بالله، أو أنه مبتهج في نفسه بسبب ما يجري على يديه من معجزات بفضل الله عليه.

(أ) فإذا كان على معنى أن الله مبتهج به فإننا.. نجد شبيهاً بهذا المعنى فقد ابتهج الله بأورشليم كلها، كما ابتهج بالمسيح أيضاً، وهذا واضح في سفر صفنيا ص ٣ عدد ١٦، ١٧ ونصه:

(في ذلك اليوم يقال لأورشليم لا تخافي، ويا صهيون لا ترتخ يداك، الرب إلٓهك في وسطك، جبار يخلص، يبتهج بك فرحاً، يسكن في محبته، يبتهج بك يترنم).

(ب) وإذا كان على معنى الابتهاج بالله فإننا.. نجد شبيهاً بهذا المعنى طبقاً للآتي:

١ ــ ورد في سفر زكريا ص ١٠ عدد ٧ وصف زكريا لبني إسرائيل بعد عودتهم من الشتات:

(ويبتهج قلبهم بالرب).

٢ ــ ورد في مزمور ٦٧ عدد ٤ قول داوود:

(تفرح وتبتهج الأمم لأنك تدين الشعوب بالاستقامة وأمم الأرض تهديهم).

٣ ــ ورد في مزمور ٨٩ عدد ١٦ قول داوود في وصف الشعب ويخاطب الله:

(باسمك يبتهجون اليوم كله).

٤ ــ ومنها ما ورد في مزمور ٦٨ عدد ٣ من قول داوود:

(والصديقون يفرحون يبتهجون أمام الله ويطفرون فرحاً).

٥ ــ ومنها ما ورد في مزمور ٥ عدد ١١ من قول داود لله:

(ويبتهج بك محبو اسمك).

٦ ــ ومنها ما ورد بسفر أشعيا النبـي ص ٦١ عدد ١٠:

(تبتهج نفسي بإلّهي).

٧ ــ ومنها ما ورد بسفر صموئيل الأول ص ٢ عدد ١ من قول حنة والدة النبـي صموئيل في ترنيمها:

(لأني قد ابتهجت بخلاصك).

٨ ــ ومنها ما ورد بإنجيل لوقا ص ١ عدد ٤٧ قول القديسة مريم:

(وتبتهج روحي بالله مخلصي).

٩ ــ ومنها قول داوود مزمور ١١٩ عدد ١٦٢:

(أبتهج أنا بكلامك).

١٠ ــ ومنها قول حبقوق النبـي ص ٣ عدد ١٨:

(أبتهج بالرب وأفرح بإلّه خلاصي).

(ج) وإذا كان على معنى أنه يبتهج في نفسه فإننا نجد شبيهاً بهذا المعنى في الأسفار كالآتي:

١ ــ فقد ورد في سفر أشعيا ص ٦١ عدد ٧ عن بني إسرائيل بعد عودتهم من السبـي في بابل:

(بهجة أبدية تكون لهم).

٢ ــ ورد في مزمور ١٦ عدد ٩ قول داود:

(لذلك فرح قلبـي وابتهجت روحي).

٣ ــ ورد في إنجيل لوقا ص ١ عدد ١٤ قول الملائكة لزكريا:

(ويكون لك فرح وابتهاج).

٤ ــ ورد في إنجيل لوقا ص ١ عدد ٤٤ وصفاً ليوحنا المعمداني:

(ارتكض الجنين بابتهاج في بطني).

والنتيجة من كل ذلك:

أن الابتهاج بكل معانيه كما ثبت للمسيح فقد ثبت لغيره بلا فرق.

فصل (٢) الادعاء بامتياز يسوع بمسحه بالروح القدس دون غيره:

يزعم النصارى أن يسوع مَسَحه الله بالروح القدس، ولم يحدث هذا لغيره طبقاً للنص الوارد في أعمال الرسل ص ١٠ عدد ٣٨ وهو:

(يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس).

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: كما مسح المسيح بالروح القدس، فقد مسح داوود النبـي بدهن القدس..

وذلك وارد في مزمور ٨٩ عدد ٢٠ ونصه المنسوب إلى الله:

(وجدت داوود عبدي، بدهن قدس مسحته).

والمسح بدهن القدس لا يقل عن المسح بالروح القدس، لأن مآلها واحد، وهذا خاص بالقديسين والأنبياء والأصفياء.

وأما المسح للملك العالمي فلا يقال فيه (بدهن القدس) كما لا يقال فيه (بروح القدس) بل يقال فيه (بزيت المسحة) أو (من قرن المسح).

ثانياً: وقد ورد في الأسفار أن آخرين خلاف المسيح، امتلأوا من الروح القدس، ولا شك أن الامتلاء من الروح القدس أقدس وأمجد، وأعظم من المسح فقط بالروح القدس، وهؤلاء النفر هم الآتي:

١ ــ يوحنا المعمدان:

ورد عنه في إنجيل لوقا ص ١ عدد ١٥ أنه:
(من بطن أمه يمتلىء من الروح القدس).

٢ ــ اليصابات: أم يوحنا المعمدان:

ورد عنها في إنجيل لوقا ص ١ عدد ٤١ أنها:
(امتلأت اليصابات من الروح القدس).

٣ ــ زكريا والد يوحنا المعمدان:

ورد عنه في إنجيل لوقا ص ١ عدد ٦٧ أنه:
(امتلأ زكريا أبوه من الروح القدس).

٤ ــ تلاميذ يوم الخمسين الذين كانوا مجتمعين:

ورد عنهم في سفر أعمال الرسل ص ٢ عدد ٤:
(وامتلأ الجميع من الروح القدس).

(٣)
مبحث (لفظ: مُخَلِّص)

١ ــ ورد في رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس ص ٢ عدد ١٢:
(ومخلصنا يسوع المسيح).

٢ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ٣ عدد ١٧ عن المسيح:
(لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص العالم).

٣ ــ ثم ورد في مزمور ٦٠ عدد ١١ قوله:
(باطل هو خلاص الإنسان).

٤ ــ ورد في مزمور ٦٨ عدد ٢٠:

(الله لنا إلّه خلاص).

٥ ــ ورد في سفر أشعيا ص ٦٣ عدد ٩:

(وملاك حضرته خلصهم).

ويستخلص النصارى من مجموع النصوص السابقة أن في المسيح طبيعة لاهوتية أهّلته لأن يخلص كالله والملاك، فهو يخلص بصفته إلّهاً، لا بصفته إنساناً، كما ورد في مزمور ٦٠ عدد ١١ قوله:

(باطل هو خلاص الإنسان).

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

إن الخلاص ضربان: خلاص جسدي وخلاص روحي.

(أ) فالخـلاص الجسـدي:

يتم على أيدي الملوك، وقواد الجيش، ويتم ذلك بأن يقودوا أممهم إلى طرح نير الاستعباد والذل عن كاهلها، حتى يصلوا بها إلى الاستقلال والعزة والمجد.

(ب) أما الخلاص الروحي:

فيتحقق بالانتشال من ظلام الجهل والكفر إلى ذروة العلم والإيمان والمعرفة لله، كما يتحقق برجوع الناس عن التمسك بالتقاليد، والبدع، إلى أصل الدين وجوهره الحقيقي.

أولًا: إن الخلاص الجسدي ينسب تارة لله تعالى على وجه الحقيقة، وينسب تارة أخرى على سبيل المجاز للملاك وللملوك والقواد، بوصفهم نائبين عن الله سبحانه ومثال ذلك.

١ ــ **فمثال الخلاص الجسدي المنسوب لله تعالى على وجه الحقيقية**، ما ورد في سفر الخروج ص ١٤ عدد ١٣ وهو خلاص جسدي لا روحي، قول موسى وهو يخاطب بني إسرائيل عندما رأوا البحر أمامهم وفرعون وجيوشه خلفهم:

(قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه بكم).

٢ ــ ومثال الخلاص الجسدي المنسوب للملك على سبيل المجاز، ما ورد في سفر أشعيا ص ٦٣ عدد ٩ ونصه:

(وملاك حضرته خلصهم).

وهو المعبَّر عنه في سفر الخروج ص ٢٣ عدد ٢٠ بقوله:

(ها أنا مرسل ملاكاً أمام وجهك ليحفظك في الطريق، وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته).

فهنا الخلاص المنسوب في سفر أشعيا للملاك هو خلاص جسدي لا روحي، وقد فسر في سفر الخروج بالحفظ في الطريق والدلالة على أرض الميعاد.

٣ ــ ومثال الخلاص الجسدي المنسوب إلى الإنسان الآتي:

(أ) ما ورد في سفر صموئيل الأول ص ١٤ عدد ٤٥ عن يونثان: (وهو ابن شاوول الملك):

(أيموت يوناتان الذي صنع هذا الخلاص العظيم في إسرائيل).

(ب) ما ورد في سفر نحميا ص ٩ عدد ٢٧:

(فدفعتهم ليد مضايقيهم فضايقوهم، وفي وقت ضيقهم صرخوا إليك، وأنت من السماء سمعت، وحسب مراحمك الكثيرة أعطيتهم، مخلِّصين خلّوصهم من يد مضايقيهم).

وهذا القول كان على كل لسان كبار اللاويين في خطاب موجه إلى الله سبحانه، كله تذلل وخضوع وتضرع واستغفار، عما قام به بنو إسرائيل من مخالفات للوصايا، وارتكاب للخطايا بعد خروجهم من مصر، فهنا نسب الخلاص لغير الله تعالى، **أو نسب للإنسان مجازاً** فالله هو المخلص بالحقيقة، وسهل أسبابه على يد بني الإنسان.

ثانياً: أما الخلاص الروحي فإن المخلِّص في الحقيقة هو الله تعالى:

١ ــ وقد ينسب الخلاص الروحي للمسيح مجازاً، لكونه مرسلاً من الله.

فقيل عنه كما ورد في إنجيل يوحنا ص ٣ عدد ١٧ :

(ليخلص به العالم).

وكما ورد في رسالة بطرس إلى تيطس ص ٢ عدد ١٣ :

(مخلصنا يسوع المسيح).

٢ ــ وقد ينسب الخلاص الروحي إلى الإيمان والعمل الصالح ومثاله :

(أ) ما ورد في إنجيل لوقا ص ٧ عدد ٩٠ القول المنسوب للمسيح للمرأة الخاطئة :

(إيمانك قد خلصك).

(ب) كما ورد في إنجيل لوقا ص ١٧ عدد ١٩ القول المنسوب للمسيح الأبرص :

(قم وامضِ؛ إيمانك قد خلصك).

فهنا واضح أنه ليس المسيح هو المخلص بذاته، بل الإيمان به هو المخلص، أي هو السبب في الخلاص.

(ج) أما ما ورد بإنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ٩ من قول منسوب إلى المسيح :

(أنا هو الباب إن دخل بـي أحد فيخلص).

فيفسره ما ورد بإنجيل يوحنا ص ٥ عدد ٢٤ من قول المسيح أيضاً :

(الحق الحق أقول لكم : إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة).

(د) ويؤكد القول المذكور بأن الخلاص هو نتيجة الإيمان، ما ورد في رسالة بطرس الأولى ص ١ عدد ٩ قوله :

(نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس).

(هـ) وفي نفس هذا المعنى القول الوارد في إنجيل يوحنا ص ٢ عدد ١٧، ١٨ من قول يوحنا :

(لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم الذي يؤمن به لا يدان، والذي لا يؤمن قد دين).

ولنوضح ذلك الموضوع بشيء من التفصيل في الفصول الآتية:

فصل (١) الخلاص لا يتم إلاّ بالإيمان وبالعمل فقط:

١ ـ يقول يعقوب في رسالته ص ٢ عدد ١٤:

(ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد: إن له إيماناً ولكن ليس له أعمال، هل يقدر الإيمان أن يخلصه).

٢ ـ ويقول بولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس ص ٢ عدد ١٥:

(ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة والتعقل).

فخلاص الإنسان كما قال يعقوب عموماً، وخلاص المرأة كما قال بولس، ويعني به جنس النساء عموماً، لا يتحقق إلاّ بتوافر (الإيمان) وما يتفرع منه من أعمال صالحة.

٣ ـ ويؤيد هذا النظر ما ورد في سفر الأمثال ص ١٨ عدد ١٨ قول سليمان النبـي:

(السالك بالكمال يخلص).

٤ ـ كما يؤكد هذا المعنى ما ورد بسفر حزقيال ص ١٤ عدد ١٤ القول المنسوب لله:

(فإنهم إنما يخلصون أنفسهم بيدهم)

والنتيجة مما سبق إيراده تتبين بالحقيقة:

إن الخلاص الروحي يكون بالإيمان والأعمال البارة من **محبة وتعقل وكمال**، فلا يقال إن المخلص بالحقيقة هو المسيح، بل يقال إن المخلص بالحقيقة هو الله بواسطة **الإيمان والأعمال**.

فصل (٢) هل المسيح خلص أهل العالم ونجّى جميع الأمم؟

ورد برسالة بطرس الرسول الأولى ص ٣ عدد ١٨، ١٩، ٢٠ قوله عن المسيح:

(فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، فمع أنه هو البار، فقد تألم من أجلنا نحن المذنبين، لكي يقربنا إلى الله، فمات الجسد، ثم عاد حياً في الروح الذي فيه أيضاً، ذهب فكرز للأرواح التي في السجن، إذ عصت قديماً، حين كانت أناة الله تنتظر في أيام نوح).

ويستخلص النصارى من القول السابق اعتقاداً لهم بأن المسيح أتى ومات ثم قام وخلص أهل العلم ونجّى جميع الأمم.

الـــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

١ ــ إن هناك أمماً كثيرة عقيدتها تناقض وتخالف عقيدة النصرانية، فكيف يتسنى القول بأنها نجت بخلاص المسيح لها وتشمل تلك الأمم: المجوس وعباد النار والبوذيين والبرهميين وأهل ديانة زرادشت، وشعب اليهودية الذين تآمروا على قتل المسيح وصلبه في اعتقادهم.

٢ ــ بل إن أهل الملة النصرانية يتناقضون في بعض معتقداتهم، فكل طائفة تعتقد أنها هي التي على صواب، فطائفة الكاثوليك، وطائفة الأرثوذكس، وطائفة البروتستانت، والطوائف اليعقوبية، والنسطورية، والملكانية، كل منها يكفر الطوائف الأخرى، فهل يتسنى القول بأن المسيح خلص تلك الأمم ونجاها.

والنتيجة التي يمكن استخلاصها مما تقدَّم هي:

١ ــ أنه لا يصح ولا يصدق القول بأن المسيح قام وخلص العالم جميعه.

٢ ــ أن الخلاص مشروط بالإيمان والعمل الصالح، وهذه المزية ليست خاصة بالمسيح فقط، بل هي مزية مخصوصة بكل رسول، ومنحة ممنوحة لجميع الأنبياء، وذلك لهداية الناس إلى طريق الخلاص، وهو سبيل النجاة من النار والسير بهم إلى الجنة.

(٤)

مبحث (لفظ: فادي)

١ ــ ورد في إنجيل لوقا ص ١ عدد ٦٨ القول المنسوب لزكريا:

(مبارك الرب إلّه إسرائيل ــ لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه).

٢ ــ وقال بولس في رسالة رومية ص ٣ عدد ٢٤ عن المسيح:

(متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح).

٣ ــ وقال بولس في رسالته إلى أفسس ص ١ عدد ٧:

(الذي فيه لنا الفداء).

٤ ــ وقال بولس في رسالته إلى غلاطية ص ٣ عدد ١٣:

(المسيح افتدانا من لعنة الناموس).

٥ ــ وفي سفر أشعيا ص ٥٩ عدد ٢٠ قوله ومقصوده المسيح:

(ويأتي الفادي إلى صهيون).

ويستخلص النصارى من النصوص السابقة: أن المسيح وقد جاء فادياً، فكان لا بد أن تكون له طبيعة لاهوتية.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: يقتضي لتوضيح المعنى تحيق معنى الفداء.

فالفداء لغة هو التخليص والإنقاذ. يقال: فداه بنفسه يفديه فداء.

وفديته بمال كأنك اشتريته، وخلصته بذلك المال.

وفداه بذبح أي جعل الذبح فداء له وخلصه به من الذبح.

وفدت المرأة نفسها من زوجها أي أنها أعطت مالاً حتى تخلصت منه بالطلاق.

وفي القاموس الفدى والفداء هو حفظ الإنسان عن النائبة بما يبذل عنه[١].

---

(١) يرجع في ذلك إلى قاموس الراغب.

ثانياً: والفداء يسند إلى الله حقيقة وإلى غيره مجازاً.

(أ) فمثال الفداء المسند إلى الله حقيقة:

١ ــ ما ورد بسفر التثنية ص ٧ عدد ٨ من قول موسى عن الله:
(وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر).

٢ ــ ما ورد بسفر أشعيا ص ٥٢ عدد ٩:
(لأن الرب قد عزَّى شعبه فدى أورشليم).

٣ ــ وما ورد بمزمور ٣١ عدد ٥ من قول داوود:
(فديتني يا رب إلّه الحق).

(ب) ومثال الفداء المسند إلى غير الله مجازاً:

١ ــ ما ورد بمزمور ٧٢ عدد ١٤ من قول داوود يصف ولده سليمان بشفقته على الفقراء:
(من الظلم والخطف يفدي أنفسهم) أي يكون سبباً في تخليصهم.

٢ ــ ما ورد في سفر صموئيل الأول ص ١٤ عدد ٤٥:
(فافتدى الشعب يوناثان فلم يمت).
أي خلصه الشعب والحقيقة أن الذي خلص يوناثان إنما هو الله سبحانه، ولكن نسب الفداء للشعب مجازاً.

ثالثاً: وقد يطلق الفداء على الشيء توصلاً للخلاص من القتل في الدنيا ومثاله:

١ ــ ما ورد في سفر الخروج ص ٢١ عدد ٣٠ من قول موسى:
(إن وضعت عليه فدية يدفع فداء نفسه كل ما يوضع عليه).

٢ ــ ما ورد في سفر العدد ص ١٨ عدد ١٥:
(غير أنك تقبل فداء بكر الإنسان، وبكر البهيمة النجسة تقبل فداءه).

رابعاً: قد يطلق الفداء على الشيء المعطى، توصلاً للخلاص من عذاب الآخرة ومثاله:

ما ورد بإنجيل متى ص ١٦ عدد ٢٦ من قول المسيح:

(لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه، أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه).

والخلاصة أو النتيجة مما تقدم:

يتبين أن الفداء قد يسند إلى الله تعالى أي على الحقيقة، وقد يسند إلى غير الله على سبيل المجاز.

والغير هذا: **إما أن يكون إنساناً، وإما أن يكون مالاً.**

لأن كلاً منهما سبب في الفدى أي التخلص.

إسناد الفداء إلى المسيح:

وإسناد الفداء إلى المسيح هو على سبيل المجاز، لأنه وإن لم يخلص بني إسرائيل من عبودية الرومان، فقد خلص من خلص من عبودية الشياطين، ومن جمودهم على المعنى الحرفي إلى المعنى الروحي، ومن ابتداع التقاليد إلى اتباع نصوص الشريعة الموسوية، ومن الحرج الذي كانوا فيه بتشددهم على أنفسهم إلى التيسير الذي شرعه لهم، ومن انغماسهم في رذيلة الخطأ والأخلاق السيئة إلى التخلق بمكارم الأخلاق الحميدة شأن كل نبي كريم مع أمته.

هل جاء موسى فادياً مثل المسيح؟

جاء في سفر أعمال الرسل ص ٧ عدد ٣٥ عن موسى عليه السلام:

(هذا موسى الذي أنكروه قائلين من أقامك رئيساً وقاضياً؟ هذا أرسله الله رئيساً وفادياً بيد الملاك الذي ظهر له في العليقة).

وبحكم هذا النص فلا فرق بين موسى والمسيح فكلاهما جاء فادياً لقومه.

هل الفداء المتعلق بالمسيح هو بمعنى تحمله كل إثم عن النصارى..؟

يذكر النصارى بأن الفداء المتعلق بالمسيح، ورد بأنه فداء من كل إثم، ويستدلون بقول بولس الوارد في رسالته الثانية إلى تيموثاوس، ونصها:

(لكي يفدينا من كل إثم).

الـــرد:

لكن يُرد على ذلك بالآتي:

لقد جاء في كتاب السنن القديم في تفسير أسفار الكليم لمترجمه: إبراهيم الحوراني الآتي:

(إن حمل المسيح لآثام الشعب، هو كمعنى حمل هارون لإثم الأقداس التي يقدسها بنو إسرائيل).

كما قال في ص ٢٨ عدد ٣٨ من سفر الخروج، ونصه:

(فيحمل هارون إثم الأقداس التي يقدسها بنو إسرائيل جميع عطايا أقداسهم، وتكون ــ أي العمامة ــ على جبهته دائماً للرضا عنهم أمام الرب).

ويراد بالأقداس هنا التقدمات التي يأتي بها الشعب، وكانت لا تخلو من الآثام ومن النقص المتعلق بها أو بمقدسها، وكان الكاهن يدخل بتلك التقدمات إلى الرب بآثامها.

ولكن كان أخذ الكاهن لها، وترديده إياها أمام الرب يُعدُّ تكفيراً لإثم الأقداس وإزالة له.

وهذا هو معنى الحمل، ونظيره قول موسى يخاطب إلعازر وأيتامار ابنَي هارون.

كما ورد في سفر اللاويين ص ١٠ عدد ١٧ ونصه:

(ما لكما لم تأكلا ذبيحة الخطية في المكان المقدس لأنها قدس أقداس، وقد أعطاكما إياها لتحملا إثم الجماعة تكفيراً عنهم أمام الرب).

أي لتزيلا الإثم عنها، فإن ما كان يأتيه الكاهن أمام الرب في ذلك، كان تكفيراً عن الشعب، فكان يعطى الكاهن لحم ذبيحة الخطية، حتى يظهر بأكله إياه، أن الرب قبل الذبيحة وغفر بإحسانه.

انتهى كلام إبراهيم الحوراني.

ادعاء النصارى بأن الفادي معناه الباذل نفسه بدمه عن الغير والمسيح كذلك:

من العجيب أن النصارى يفهمون أن الفادي معناه الباذل نفسه، والمهرق دمه عن الغير، ويستدلون بالآتي من النصوص:

١ ـ ما ورد بسفر الخروج ص ١٣ عدد ١٣:

(كل بكر حمار تفديه بشاة).

٢ ـ ما ورد برسالة بولس إلى أفسس ص ١ عدد ٧ عن المسيح:

(الذي لنا فيه الفداء بدمه).

٣ ـ ما ورد برسالة بولس إلى تيطس ص ٢ عدد ١٤ عن المسيح:

(الذي بذل نفسه لأجلنا، لكي يفدينا من كل إثم، ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة).

٤ ـ ما ورد بإنجيل متى ص ٢٠ عدد ٢٨ قوله المنسوب للمسيح:

(كما أن ابن الإنسان لم يأت ليُخْدم بل لِيَخْدِم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين).

الـــرد:

ولكن يُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن الفداء لغة يعني التخليص والإنقاذ والأمثلة على ذلك من نصوص الكتاب المقدس.

١ ـ ما ورد بسفر التثنية ص ٧ عدد ٨ قوله:

(أخرجكم الرب بيد شديدة، وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر).

٢ ـ ما ورد بسفر الخروج ص ١٥ عدد ١٣ قوله:

(ترشد برأفتك الشعب الذي فديته).

٣ ـ ما ورد بمزمور ٧٨ عدد ٤٢ قوله:

(لم يذكروا يده يوم فداهم من العدو).

٤ ـ ما ورد بسفر صموئيل الثاني ص ٤ عدد ٩ إن الرب فدا داوود قوله:

(حيّ هو الرب الذي فدى نفسي من كل ضيق).

٥ ـ ما ورد بسفر أيوب ص ٣٣ عدد ٢٨ قوله في فداء أيوب من الموت:

(فدى نفسي من العبور إلى الحفرة).

٦ ــ ما ورد بسفر ميخا عن فداء أورشليم من الأعداء ص ٤ عدد ١٠ :

(هناك يفديك الرب من يد أعدائك).

٧ ــ ما ورد بسفر أشعيا ص ٥٢ عدد ٩ قوله :

(لأن الرب عزى شعبه فدى أورشليم).

٨ ــ ما ورد بسفر أشعيا ص ٤٤ عدد ٢٣ قوله :

(لأن الرب قد فدى يعقوب).

٩ ــ ما ورد بسفر أشعيا ص ٢٩ عدد ٢٢ قوله :

(الرب الذي فدى إبراهيم).

والنتيجة :

إنه مما سبق يتبين أن الفداء هنا يعني **التخليص والإنقاذ ولا يعني إطلاقاً** أن الله سبحانه بذل نفسه، وأهرق دمه عن شعب إسرائيل، وعن داوود وأيوب وأورشليم ويعقوب وإبراهيم.

ثانياً: إن ما ورد بسفر الخروج ص ١٣ عدد ١٣ عن بكر الحمار وفدائه بشاة، يعني تخليصه وإنقاذه فقط لا يليق إجراء الشبه بين الحمار والشاة من جانب، وبين المسيح عليه السلام من الجانب الآخر.

ثالثاً :

(أ) إن الفداء في قول بولس في رسالته إلى أفسس ص ١ عدد ٧ عن المسيح :

(والذي لنا فيه الفداء بدمه).

لا يعني أن الذي فداهم هو دم المسيح، بل هو فداهم أي خلصهم وأنقذهم بهديه، وإرشاده وتعاليمه، ولكن إن كان أريق دمه بعد ذلك، فإن ذلك الدم كان نتيجة عن الفداء والتخليص بالهدي والإرشاد، وعاقبة له. أو بعبارة أخرى إن المسيح فدى الشعب، ولكن ليس بدمه، بل بهديه وتعاليمه ــ أما حادثة الدم فقد صارت في عاقبة ذلك.

(ب) وكذلك الحال فيما ورد برسالة بولس إلى تيطس ص ٢ عدد ١٤ :

(الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم ويطهر لنفسه شعباً خاصاً).

(ج) إن ما ورد في إنجيل متى ص ٢٠ عدد ٢٨ قوله:

(ليبذل نفسه فدية عن كثيرين).

فالفداء هنا يعني التخليص بالهدى والإرشاد الذي جاء به، لكن بذل النفس جاء في عاقبة ذلك فاللام هنا هي لام العاقبة، وليست لام الباعثة كما هو ظاهر النص.

والأدلة على ما سبق الآتي:

١ ـ ما ورد في سفر صموئيل الثاني ص ٧ عدد ٢٣ قوله:

(وأية أمة على الأرض مثل شعبك إسرائيل؟! الذي سار الله ليفتديه لنفسه شعباً، ويجعل له اسماً).

فقوله ليفتديه لنفسه يؤيد أن الافتداء يعني التخليص والإنقاذ فقط.

٢ ـ مما يقطع بأن بذل النفس وإهراق الدم إنما جاء في العاقبة وليس هو العلة الباعثة.

(أ) كون المسيح طلب من الله أن ينجيه من القتل فقد ورد في إنجيل متى ص ٢٦ عدد ٣٧ ـ ٣٩ قوله:

(ثم أخذ معه بطرس وابنَيْ زيدي وابتدأ يحزن ويكتئب وقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا ههنا واسهروا معي، ثم تقدم قليلاً، وخر على وجهه وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت).

(ب) كما ورد في إنجيل مرقص ص ١٤ عدد ٣٢ ـ ٣٦ قوله:

(فقال لتلاميذه اجلسوا ههنا حتى أصلي، ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب، فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا ههنا واسهروا، ثم تقدم قليلاً وخرَّ على الأرض، وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن، وقال: أبَّا، يا أبـي كل شيء مستطاع لك، فأبعد عني هذه الكأس، ولكن ليكن لا ما أريد أنا، بل ما تريد أنت).

(ج) حتى إن المسيح كان يتوقع من الله أن ينجيه من المؤامرة التي حيكت ضده لقتله، بدليل أنه كان يقول طبقاً لما هو منسوب إليه في إنجيل متى ص ٢٧ عدد ٢٦، مرقص ص ١٥ عدد ٣٤:

(إيلي إيلي ــ لما شبقتني).

أي: إلّهي إلّهي لماذا تركتني.

فصلاته قبل ما وقع به، وما بعده، لهي دليل قوي على أن بذل نفسه لم يكن علة مجيئه، بل كانت علة مجيئه الهداية والتعليم الجديد، لكن صار بذل النفس في عاقبة ذلك.

(د) ما ورد بإنجيل متى ص ٢١ عدد ٣٧ قوله:

(فأخيراً أرسل إليهم ابنه ــ إلى المسيح ــ قائلاً: يهابون ابني).

وذلك عندما كان المسيح يقول لرؤساء الكهنة وشيوخ شعب إسرائيل حينما كان يعلمهم في الهيكل: إن صاحب الكرم ــ ويعني به الله ــ قد سلم كرمه إلى كرامين وسافر، وعندما قرب وقت الإثمار أرسل صاحب الكرم عبيده ليأخذ أثماره فجلد الكرامون بعضهم، وقتلوا البعض الآخر، ورجموا البعض الثالث، ثم أرسل صاحب الكرم عبيداً آخرين ففعل بهم الكرامون كذلك، فيعلم من الفقرة الأخيرة (قائلاً: يهابون ابني). العلة في إرسال المسيح باسم ابن ليست إرادة أن يقتل، أو بعبارة أخرى، إن علة الإرسال للمسيح ليست هي إرادة الفداء، بل هي إرادة أن يكون مهيباً أكثر من باقي إخوانه الذين جاءوا قبله باسم عبيد، ورسل، فهو لم يرسله ليموت، بل ليحيا من أجل هيبتهم له حيث جاء باسم ابن لصاحب الكرم.

رابعاً: إن بعض النصارى يصرّ بأن المسيح فداهم بدمه، وصلح أن يكون فادياً بما فيه من اللاهوت فإن صح ذلك وفقاً لمنطقهم يكون الآتي:

١ ــ إما أن يكون فدا الناس بلاهوته، وهنا يلزم القول بأن اللاهوت صلب، ومات، ودفن فأيّ إلّه يكون هذا؟

٢ ــ وإما أن يكون فدى الناس بناسوته، وهذا لا يجوز طبقاً لما ورد بمزمور ٤٩ عدد ٧ قوله:

(فالأخ لن يفدي الإنسان فداء).

فإذا كان الذي تألم وصلب وقتل هو الناسوت الإنساني فقط، لم يصلح طبقاً للنص السابق أن يكون فادياً.

(٥)
مبحث (لفظ: مختار)

أولاً: يذكر النصارى أن المسيح أطلق عليه لفظ (مختار الله).

ويستدلون على ذلك بالآتي:

١ ــ ما ورد بسفر أشعيا ص ٤٢ عدد ١ قوله:

(هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري).

٢ ــ ما ورد برسالة بطرس الأولى ص ٢ عدد ٤ قوله عن المسيح:

(ولكن مختار من الله كريم).

مما يفيد في زعمهم أن له طبيعة لاهوتية.

الــرد:

لكن يُرد على ذلك بالآتي:

إن الأسفار أطلقت لفظ (مختار الله) على كل من موسى وداوود والشعب كله، كما أطلق على المسيح طبقاً للآتي:

١ ــ عن موسى فقد ورد بمزمور ١٠٦ ص ٢٣ قول داوود:

(فقال بإهلاكهم لولا موسى مختاره).

أي أن داوود قال إن الله أراد إهلاك اليهود لولا موسى مختاره.

٢ ــ عن داوود ــ فقد ورد بمزمور ٨٩ عدد ٣ القول المنسوب لله:

(أ) (قطعت عهداً مع مختاري حلفت لداوود عبدي).

(ب) كما ورد عنه بمزمور ٨٩ عدد ١٩ ــ ٢٠ القول المنسوب لله:
(رفعت مختاراً من بين الشعب وجدت داوود عبدي بدهن قدس مسحته).
(ج) ورد بسفر أخبار الأيام ص ٢٨ عدد ٤ قوله عن داوود نفسه:
(وقد اختارني الرب إلّه إسرائيل).
(د) ورد بمزمور ٧٨ عدد ٦٨ قوله عن الله:
(واختار داوود عبده).

٣ ــ عن شعب الله، ما ورد بسفر أشعيا ص ٤٣ عدد ٢٠:
(لأني جعلت في البرية ماء ــ أنهاراً في القفر ــ لأسقي شعبي مختاري).

والنتيجة مما سبق:

يتبين أنه لا ميزة للمسيح على غيره ممن اختارهم الله في لفظ (مختاري)، لأن هذا اللفظ كما استعمل في الأسفار عن المسيح، استعمل بالنسبة لموسى وداوود وشعب الله، ولم يقل أحد إن لكل من هؤلاء الأخيرين موسى وداوود وشعب الله طبيعة لاهوتية.

ثانياً: يذكر النصارى أن وقوع الاختيار كان من الله على المسيح قديماً، ومنذ الأزل مما يعطي ميزة للمسيح على غيره، ويستدلون على ذلك بالآتي:

١ ــ ما ورد بإنجيل متى ص ١٢ عدد ١٨ قوله عن المسيح:
(هو ذا فتاي الذي اخترته).

٢ ــ إنه طبقاً لما ورد في سفر العدد ص ١٦ عدد ٧ من قول موسى:
(فالرجل يختاره الرب هو المقدس) يكون المسيح مقدساً.

٣ ــ وهذا ما يفسره قول داوود في مزمور ٦٥ عدد ٤:
(طوبى للذي تختاره).

الــرد:

لكن يُرد على ذلك بالآتي:

إنه أطلق نظير ما أطلق على المسيح على يعقوب وهارون وداوود وسليمان وزربابل، بل وشعب الله، بل أطلق على صهيون وأورشليم والأمثلة على ذلك هي:

١ ــ عن يعقوب:

فقد ورد في مزمور ١٣٥ عدد ٤ قوله:

(لأن الرب قد اختار يعقوب لذاته، وإسرائيل لخاصته).

٢ ــ عن هارون:

ورد في مزمور ١٠٥ عدد ٢٦ قوله عن الله:

(أرسل موسى عبده وهارون الذي اختاره).

٣ ــ عن داوود:

ورد بمزمور ٧٨ عدد ٦٨ قوله عن الله:

(واختار داوود عبده).

٤ ــ عن سليمان:

ورد بسفر الأيام ص ٢٩ عدد ١ عن الله:

(إن سليمان ابني الذي وحده اختاره الله إنما هو صغير).

٥ ــ عن زربابل:

ورد بسفر حجي ص ٢ عدد ٢٣ عن الله:

(في ذلك اليوم يقول رب الجنود آخذك يا زربابل عبدي بن شألتئيل يقول الرب: وأجعلك كخاتم لأني قد اخترتك يقول رب الجنود).

٦ ــ عن الشعب:

ورد بمزمور ٣٣ عدد ١٢ قوله:

(طوبى للأمة التي الرب إلّهها، الشعب الذي اختاره ميراثاً لنفسه).

وورد بسفر أشعيا ص ٤٤ عدد ١ قوله عن الله:

(والآن اسمع يا يعقوب عبدي وإسرائيل الذي اخترته).

وورد بسفر أعمال الرسل ص ١٣ عدد ١٧ قوله:

(إلّه شعب إسرائيل هذا اختاره آباؤنا).

٧ ــ سبط يهوذا:

ورد بمزمور ٧٨ عدد ٦٨ قوله عن الله:

أن الله (اختار سبط يهوذا).

٨ ــ عن صهيون:

ورد بمزمور ١٣٢ عدد ١٣:

(لأن الرب قد اختار صهيون).

٩ ــ عن أورشليم:

ورد بسفر زكريا ص ٣ عدد ٢:

(لينتهرك الرب الذي اختار أورشليم).

● ● ●

الباب الحادي عشر

في

دعاوَى النصارى في المسيح

وهي:

(١) أزلية المسيح وأقنوميته ولاهوته. أو دعوى اتحاد المسيح مع الآب ـ أو لاهوت المسيح ـ وتجسد الكلمة.

(٢) سبب تخصيص المسيح بعبارات التجلَّة والإكبار.

(٣) قولهم إن المسيح مصدر حياة الأحياء.

والرد على هذه الأقوال.

(١)
مبحث (أزلية المسيح)

يذكر علماء ومفسرو النصرانية نصوص إنجيل يوحنا الآتية ومقصودهم المسيح بها.

١ ــ ما ورد بإصحاح ١ عدد ١:

(في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله ــ وكان الكلمة الله).

٢ ــ ورد بإنجيل يوحنا ص ١ عدد ١٤:

(والكلمة صارت جسداً وحلّ بيننا).

ويستخلص النصارى من النصوص السابقة النتائج الآتية:

أولاً: أزلية المسيح لأنه عند بدء الكون وافتتاح العالم كان هو ــ وإذا كان قبل إنشاء الخلق كان غير مخلوق ــ ولا بداءة له فهو أزلي واجب الوجود.

ثانياً: أقنومية المسيح واتحاده مع الآب، فإن الابن ــ أي المسيح ــ وإن كان أقنوماً مميزاً عن أقنوم الآب ــ أي الله ــ بموجب الجملة الأولى، فهو مع ذلك بموجب الجملة الثانية متحد معه اتحاداً كاملاً، ومتفق اتفاقاً تاماً في كل رأي وقضاء وعمل معه، فما كان لأحدهما من المجد والعظمة والكرامة كان للآخر.

ثالثاً: لاهوت المسيح: إذ هو ليس ملاكاً، أو مخلوقاً آخر دون الآب، ولكنه مساو للآب في الجوهر، أي أن له صفات الآب نفسها، وقوته واستحقاقه الإكرام والطاعة والعبادة التي يستحقها الآب، فهو جوهر اللاهوت.

رابعاً: تجسد تلك الكلمة، يأخذ المسيح جسداً حقيقاً، وكانت له نفس بشرية وروح إنساني مع الروح الإلهي، الأمر الذي أمكنه به أن يتألم ويجرب ويتعلم وينمو ويصلي ويموت كسائر الناس، فهو إله تام ذو طبيعتين ممتازتين في أقنوم واحد.

الـــرد:

لكن يُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن النتائج الـتي استخلصها العلـماء ومفسرو النصارى هـي التي بُنيت عليها عقيدتهم، وهي فهم من أفهام غير الملهمين، لذلك فهي تحتمل الخطأ، كما أنها من باب الظن الذي لا يغني عـن الحق شيئاً، وهي كما احتملت لـدى النصارى التفسير السابق، فإنها تحتمل عند غيرهـم كعلماء الإسلام تفسيراً آخر هو:

(في البدء): أي في بدء تنزل الوحي العتيق على أنبياء الناموس.

(كان الكلمة): أي البشارة بالمسيح إذ كان منتظراً ومذكوراً على ألسنة الأنبياء ومسطوراً في أسفارهم باسم الكلمة الصالحة[1]، وسُمّي بذلك أيضاً على ألسنة اليهود المنتظرين ظهوره.

فالبدء كما يحتمل الأزل، يحتمل غيره، كما هو وارد في سفر التكوين ص ١ عدد ١ قوله مثل:

(أ) (في البدء خلق الله السموات والأرض).

أي في أول التكوين أو الخلق لا في الأزل.

(ب) وكما في قوله في إنجيل متى ص ٨:

(ولكن من البدء لم يكن هذا). أي منذ رسم عهد الزيجة.

(ج) وكما في قوله في إنجيل لوقا ص ١ عدد ٢:

(كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء).

أي من أول خدمة المسيح.

(د) وكما في قوله في إنجيل يوحنا ص ٦ عدد ٦٤:

(لأن يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون).

أي من ابتداء خدمته وإتيان التلاميذ إليه.

---

(١) انظر سفر أرميا ص ٣٣ عدد ١٤.

(هـ) وكما في قوله في إنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٤٤ :

(ذاك كان قتالاً للناس من البدء).

أي منذ خلق الإنسان الأول لا من بدء نفسه، لأنه كان في البدء ملاك نور.

(و) وكما في رسالة يوحنا الأولى ص ٢ عدد ٧ قوله :

(بل وصيته قديمة كانت عندكم من البدء).

أي أشار به إلى بداءة إيمانهم بالمسيح.

(ز) وكما في قوله في إنجيل يوحنا ص ١٦ عدد ٤ :

(ولم أقل لكم من البداءة لأني كنت معكم).

أي من بداءة خدمته.

(ح) وكما في رسالة يوحنا الأولى ص ٢ عدد ٥ قوله :

(والآن أطلب منك بالبرية لا كأني أكتب إليك وصية جديدة بل التي كانت عندنا من البدء).

أي منذ سمعنا الإنجيل.

ثانياً: أن عندية المسيح في قول يوحنا (والكلمة كان عند الله) هي عندية منزلة وتشريف، وليست عندية اتحاده بالله، فهذه العندية هي عندية معنوية، وليست عندية محسوسة ولا عندية اتصال واتحاد، لاستحالة ذلك كله على الله تعالى.

ونظير ذلك الآتي:

(أ) ما ورد في القرآن الكريم عن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام :

﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً﴾[1].

(ب) ماورد في القرآن الكريم في وصف الشهداء :

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2].

---

(١) سورة مريم: الآية ٥٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

(ج) وكما ورد في دعاء امرأة فرعون في صلاتها في قوله تعالى:

﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بيْتاً فِي ٱلْجَنَّةِ﴾[1].

(د) ونظيره ما ورد في سفر التكوين ص ٤ عدد ١ عن حواء:

(وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قابين، وقالت: اقتنيت رجلاً من عند الرب)[2].

(هـ) وما ورد بسفر التكوين ص ٩ عدد ٢٤ قوله:

(وأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب)[3].

ثالثاً: أما قول يوحنا (وكان الكلمة الله)فإنه من باب إطلاق لفظ (الله) على المسيح، كما أطلق على الملاك والقاضي الشرعي في بني إسرائيل والرجل الشريف والرجل القوي بلا فرق، وموضح كل ذلك تفصيلاً في الباب الثاني تحت بند الله من هذا الكتاب.

لأن الملاك سفير عن الله في إيصال الأوامر السماوية لعالم الكون الأرضي، والقاضي نائب عن الله سبحانه في الحكم بين الناس بشريعته، والمسيح هو سفير عن الله تعالى في إبلاغ شريعته للأمة المرسل إليها لهدايتهم لما فيه صلاح معاشهم ومعادهم.

وقد سمّى المسيح نفسه ابن الإنسان مراراً كثيراً، وما ذكره المسيح نفسه هو الذي يستقيم مع ما ورد في العهد القديم من أن الله لا يكون إنساناً، ولا ابن إنسان ونصّه كما في سفر العدد:

(ليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم)[4].

فإذا كان ذلك كذلك كان المسيح ليس هو الله على الحقيقة، ولكن لما أرسل بني إسرائيل نائباً عن الله في إبلاغ الشريعة والأحكام، وكان في اصطلاح كتبة الأسفار جارياً على إطلاق لفظ (الله) أو (إله) أو (رب) على النائب عن الله.

---

(١) سورة التحريم: الآية ١١.

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم.

(٣) الكتاب المقدس، العهد القديم.

(٤) الكتاب المقدس، العهد القديم سفر العدد ص ٢٣ عدد ١٩.

فقد أطلق على المسيح لفظ الله على سبيل المجاز نظير ما أطلق على موسى طبقاً للآتي:

(أ) أطلق على موسى عليه السلام لفظ (إله) عندما أرسل إلى فرعون كما جاء في سفر الخروج ص ٧ عدد ١ ونصه:

(فقال الرب لموسى: انظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك).

وكما جاء في سفر الخروج ص ٤ عدد ١٦ قوله عن هارون وموسى:

(وهو يكون لك فماً وأنت تكون له إلهاً).

(ب) فكما أطلق على موسى أنه (إله) لفرعون الرئيس السياسي الأكبر، وأنه أي موسى (إله) لهارون الرئيس الديني الأكبر وكل ذلك بالمعنى المجازي.

فكذلك يكون إطلاق لفظ (الله) على عيسى، بلا فرق بينهما، أي بلا فرق بين موسى والمسيح عليهما السلام.

رابعاً: وهناك احتمال آخر في معنى إطلاق الكلمة على المسيح، هو أن المسيح سمّي (كلمة الله) على معنى أنه شارح لكلمة الله تعالى، ومبين وموضح لها بعد ما حرفها اليهود عن معناها وموضعها، إذ جعل اليهود الذين تغلب عليه المادة لا روح فيهم، فجاء المسيح ليوقفهم على المعاني الروحية، ويرشدهم لمرامي كلمة الله الحقيقة.

ونظير ذلك:

ما يقولون: إن الملك الفلاني ظِلُّ الله في أرضه، أو أنه نور الله، وأن فلاناً هو لسان الملك بوصفه الوزير المختص بالكلام عنه، وقد يعبر عنه بأنه كلمة السلطان، وقد قال الدكتور وليم أدي في شرحه لإنجيل يوحنا: (يحق للمسيح أن يسمى كلمة) لأن الله كلمنا به، كما جاء في رسالة العبرانيين ص ١ عدد ١ قوله:

(الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي عمل به أيضاً عمل العالمين، ولأنه أعلن لنا أفكار الله ومشيئته، كما أن كلمة الإنسان تعلن أفكار الإنسان وإرادته، فالمسيح أعلن عن الله لنا بتعاليمه وبسيرته وبأعماله).

معنى الكلمة على ضوء القرآن الكريم:

قال تعالى في سورة مريم:[1]

﴿ذلك عيسى بن مريم قولَ الحق الذي فيه يمترون﴾[2].

وقول الحق تعني لسان الحق أو كلام الحق، وهو نظير كلمة الله، لأن الحق من أسماء الله الحسنى، وهذا المعنى للكلمة يوافق اصطلاح كتبة الأسفار في العهد القديم، والعهد الجديد من تسمية الوحي كلمة طبقاً للآتي:

أولاً ــ في العهد القديم:

١ ــ ورد في سفر أرميا ص ١ عدد ٣:

(فكانت كلمة الرب إليّ قائلاً).

٢ ــ ورد في سفر أرميا ص ٢ عدد ١:

(وصارت إليّ كلمة الرب قائلاً).

٣ ــ ورد في سفر الخروج ص ١٢ عدد ٨:

(وفي الصباح كانت إليّ كلمة الرب قائلة).

٤ ــ ورد في سفر صفنيا ص ١ عدد ١:

(كلمة الرب التي صارت إلى صفنيا).

٥ ــ ورد في سفر حجي ص ١ عدد ٣:

(فكانت كلمة الرب عن يد حجي النبي قائلاً).

٦ ــ جاء في سفر زكريا ص ١ عدد ٢:

(كانت كلمة الرب إلى زكريا).

٧ ــ جاء في سفر ملاخي ص ١ عدد ١:

(قول كلمة الرب لإسرائيل عن يد ملاخي).

---

(١) سورة مريم: الآية ٣٤.

(٢) يمترون أي يشكون ويتخاذلون فيه بالباطل.

٨ ــ جاء في سفر أرميا ص ١٨ عدد ١٨ :
(لأن الشريعة لا تبيد عن الكاهن، ولا المشورة عن الحكيم، ولا الكلمة عن النبـي).

٩ ــ ورد في سفر أرميا ص ٣٧ عدد ١٧ سؤال صدقيا لأرميا:
(هل توجد كلمة من قبل الرب؟).
فقال أرميا: (توجد).

١٠ ــ ورد بمزمور ١٤٧ عدد ١٩ قوله:
(يخبر يعقوب بكلمته وإسرائيل بفرائضه وأحكامه).

١١ ــ جاء في سفر أرميا قوله عن الله في ص ٢٣ عدد ٢٨، ٢٩:
(النبـي الذي معه حلم فليقص حلماً، والذي معه كلمتي فليتكلم بكلمتي بالحق، ما للتين مع الحنطة يقول الرب؟ أليست هكذا كلمتي كنار يقول الرب، وكمطرقة تحطم الصخر).

١٢ ــ جاء في سفر أشعيا ص ٤٠ عدد ٨:
(يبس العشب ، ذبل الزهر، وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد).

١٣ ــ ورد في سفر التثنية ص ٣٠ عدد ١٤:
(بل الكلمة قريبة جداً في فمك وفي قلبك لتعمل بها).

وقد فسر علماء اليهودية والنصرانية الكلمة بأنها الشريعة الموحى بها.

ثانياً ــ في العهد الجديد:

ورد برسالة بولس الثانية إلى تسالونيكي ص ٢ عدد ١ ، عدد ٢ قول بولس:
(ثم نسألكم أيها الإخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح، واجتماعنا إليه أن لا تتزعزعوا سريعاً عن ذهنكم، ولا ترتاعوا **لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة** كأنها منا أي أن يوم المسيح قد حضر).

فأشار بالروح وبالكلمة إلى من ادعوا النبوة والوحي كذباً إشارة إلى ما ورد بإنجيل متى ص ٢٤ عدد ١١:

(ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين).

٢ ــ ورد في سفر أعمال الرسل ص ١٤ عدد ٣:

(فأقاما زماناً طويلاً يجاهران بالرب الذي كان يشهد بكلمة نعمته).

أي يشهد بإنجيله الذي أوحاه للمسيح.

والنتيجة التي تُستخلص ممَّا تقدم:

إن كلمة الله تعني كلامه سبحانه الذي يوحي به إلى أنبيائه ورسله، وعلى ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾[1].

نعني الوحي الذي ألقاها على مريم.

وهو ما يضاهيه ما ورد بإنجيل يوحنا ص ١ عدد ١ عن المسيح أنه (كلمة) يعني كلمة الله، ووحي الله الذي أوحى به.

وبهذه النتيجة تسقط شبهات النصارى وأقوال مفسريهم الخاطىء الموضح بأول هذا البحث وما بنوا عليه من نتائج ضالة في الأزلية واللاهوت والتجسد والاتحاد التي خلعوها من أنفسهم على المسيح عليه السلام.

(٢)
مبحث (سبب تخصيص المسيح بعبارات التجلّة والإكبار)

يستخلص النصارى من عبارات التجلة والإكبار التي وردت عن المسيح عليه السلام في إنجيل يوحنا، وكذلك بما ورد عنه في القرآن الكريم، يستخلصون من تلك العبارات أن له طبيعة لاهوتية، لأنه لم ترد مثل هذه العبارات عن غيره من الأنبياء، حتى يكون مساوياً لهم.

الــرد:

لكن يُرد على ذلك بالآتي:

---

(١) سورة النساء: الآية ٧٠.

أولاً: إن ما وصف به المسيح من أوصاف مدهشة، لا تخرج عن كونها من أوصاف المدح والثناء في مقابلة الأوصاف المدهشة التي وصفه بها اليهود من نوع الطعن والبذاء طبقاً لما يلي:

١ ــ ورد أن اليهود قالوا للمسيح ما ذكره إنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٤٨:

(إنك سامري).

منكرين انتسابه إلى شعب بني إسرائيل، وملحقين نسبه بالسامرين الذين أتى بهم ملك آشور من بابل وما حولها، وأسكنهم في مدن السامرة، عوضاً عن بني إسرائيل، وواضح كل ذلك في سفر الملوك الثاني ص ١٧ عدد ٢٤، ونصه:

(وأتى ملك آشور بقوم من بابل وكوث وعّوا وحماه وسفروايم، وأسكنهم في مدن السامرة عوضاً عن بني إسرائيل، فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها).

ولما قالوا له ذلك: قال الله في مقابلة في القرآن الكريم:

﴿إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً، وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ذرية بعضها من بعض، والله سميع عليم﴾[1].

فنصّ القرآن الكريم على اصطفاء آل عمران الذي هو والد مريم ــ أُم المسيح ــ مع دخولهم في عموم آل إبراهيم رداً على اليهود الذين أنكروا انتساب يسوع المسيح إليهم، ملحقين نسبه بنسب السامريين الذين هم دونهم في النسب، وأكد ذلك الرد بقوله:

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾.

٢ ــ كانت اليهود تقول للمسيح: (بك شيطان) وورد ذلك في إنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٤٨:

أي أنه روح من الشيطان ــ فقال الله تعالى في القرآن الكريم بالمقابلة إنه:

﴿روح منـه﴾[2].

أي أنه روح من الله وليس روحاً شيطانياً.

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان ٣٣، ٣٤.

(٢) سورة النساء: الآية ١٧.

٣ ــ قالت اليهود عن المسيح إنه (أناثيما) ومذكور ذلك في رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ص ١٢ عدد ٣: ومعنى أناثيما محروم من الرحمة ــ أو موقوف للهلاك ــ أو مجعول تحت اللعنة فقال الله عنه في القرآن الكريم بالمقابلة عن ذلك وصفاً للمسيح: ﴿وجيهاً في الدنيا والآخرة﴾[1].

٤ ــ قالت اليهود عن المسيح إنه (يضل الشعب) ومذكور ذلك في إنجيل يوحنا ص ٧ عدد ١٢: كما قال اليهود عنه:

(كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم) ومذكور ذلك في إنجيل يوحنا ص ٧ عدد ١٥:

فقال الله تعالى في مقابلة ذلك في القرآن الكريم إنه: ﴿كلمته﴾[2].

ويفسر هذا قول المسيح نفسه في جواب اعتراضهم المذكور في إنجيل يوحنا ص ٧ عدد ١٦، ١٧، ١٨[3].

(تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني، إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله؟ أم أتكلم أنا عن نفسي، من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه، وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم).

ثانياً: إن القرآن الكريم أثنى على جميع الأنبياء والمرسلين بما هم أهل له، ولم يخصص واحداً فقط دون الباقين، كما يزعم النصارى، والمتتبع لسور القرآن يجد الكثير من عبارات المدح والثناء التي تليق بكل واحد منهم، لأن هؤلاء الأنبياء والمرسلين هم حلقات متصلة في سلسلة واحدة قوامها وحدة الرسالات السماوية بلا تفريق بين أي واحد منهم، طبقاً لما حكاه القرآن الكريم عنهم ونصه:

﴿آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَن بِٱللَّهِ وَمَلائكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُله، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِير﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٥.

(٢) سورة الآنساء: الآية ١٧١

(٣) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٣)

مبحث (هل المسيح مصدر حياة الأحياء)

أورد إنجيل يوحنا ص ١ عدد ٣، ٤ النص الآتي:

(كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء، مما كان فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس).

ويستخلص النصارى من هذا النص لاهوت الكلمة، أي لاهوت المسيح طبقاً لما يلي:

١ ــ إذ عزوا إليه خلق العالم كله بمادته، وأرواحه، وحيواناته وكل ما فيه، والخلق مما يختص بالله وحده، بدليل أنه جاء في سفر التكوين ص ١ عدد ١:

(في البدء خلق الله السموات والأرض).

٢ ــ كما عزا النصارى إليه أنه خلق كالآب، وما دام خلق كالآب تبين من أعماله أنه الله، إله **القدرة والحكمة والجود**، ومادام كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان.

٣ ــ بل إن قوله: (فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس)، تدل على نسبة شيء للمسيح، هو أعظم من خلق المادة، ذلك هو الإحياء، الذي يختص به الله وحده كما جاء في سفر التكوين ص ٢ عدد ٧، ونصه:

(وجبل الرب الإله آدم من الأرض ونفخ في أنفه نسبة حياة فصار آدم نفساً حية).

ويستخلص النصارى من ذلك أن المسيح هو مصدر حياة سائر الأحياء المحدثة، عقلية وغير عقلية، جسدية وروحية، زمنية وأبدية، لأن مفاد النص المشار إليه هو أنه قبل أن تظهر حياة الخليقة كانت للمسيح حياة في ذاته، وابتدأ في ذلك الوقت يهبها لبعض ما خلق، أي أن المسيح لم يزل يفعل ذلك منذ بدء الخليقة إلى أن جاء إلى هذه الدنيا.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

١ ــ إن جميع النتائج السابقة التي استخلصها النصارى من النص الوارد في إنجيل يوحنا ص ١ عدد ٣ كان بسبب تفسيرهم الخاطىء لعبارة:

(كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان).

فصرفوها إلى الخلق دون أي قرينة لهم على ذلك، **والصحيح أن هذه العبارة تتعلق بالديانة** الجديدة التي أتى بها المسيح، كالتخليص والتبشير والتعليم، وتفهيم الناس معاني الناموس الروحية، وهدايتهم وإرشادهم، وتقويم إعوجاجهم، وتحسين أخلاقهم وغير ذلك، مما يرجع لمعنى الحياة الجديدة الدينية الواردة هنا في الفقرة الرابعة أي في عدد (٤).

٢ ــ إن ما ورد بعدد ٤: قوله (فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس)، ليس الحياة التي عناها سفر التكوين ص ٢ عدد ٧ وهي الخلق، بل المراد بها الحياة الدينية الجديدة التي أتى بها المسيح، وقد فسرها أجلّ تفسير قول المسيح نفسه، والمنسوب إليه في إنجيل يوحنا ص ٥ عدد ٣٩:

(فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية). أي حياة روحية.

● ● ●

الباب الثاني عشر

فـي

دعـوة النصرانية إلى التثليث

ويتضمن المباحث الآتية :

(١) دعـوى التثـليث.

(٢) الرمز للثالوث أو للأقانيم الثلاثة.

(٣) الرمز للأقنوم الثاني.

(٤) الرمز للأقنوم الثالث.

(٥) القول بأن المعاني الرمزية الروحية مع المعاني الحرفية توضح الأقانيم الثلاثة أو الثالوث.

والـرد عـلى هـذه الأقـوال.

(١)
مبحث (دعوى التثليث)

ورد في سفر التكوين ص ١ عدد ١ من الكتاب المقدس الآتي:

(في البدء خلق الله السموات والأرض).

وقد عبر عن اسم الله في اللغة العبرانية بكلمة «ألوهيم» جمع (ألُوه).

ويقول النصارى بأن اسم الإلَه ما دام قد جاء على صيغة الجمع فهو دليل على التثليث أي تثليث الأقانيم في اللاهوت.

الــرد:

لكن يُرد على ذلك بالآتي:

١ ــ إن معنى (ألوه) قوة أو قدرة، وقد جاء بصيغة الجمع (ألوهيم) للتعظيم، أو لحمل الأفكار البشرية على تصور كل القوى في وحدانية ذي الصفات الحسنى والأفعال العظمى الحي الأزلي. فحصروا في ذلك الاسم الأعظم كل القوى والفواعل والحركات التي كونت بها البرايا أولاً، وتضبط وتحفظ بها الآن وحتى قيام الساعة، فنسبت في كتاب العهد القديم إلى (ألوهيم) إلَه واحد للإفصاح إلى أن الفاعل واحد وفعله واحد.

٢ ــ ومما يقرب المعنى السابق الإشارة إليه في واقعة صنع العجل وعبادة اليهود له:

(أ) فقد ورد في سفر الخروج ص ٣٢ عدد ٤ قوله عن العجل آلهة بصيغة الجمع مع أنه عجل واحد:

(فأخذ ذلك من أيديهم، وصوره بالإزميل وصنعه **عجلاً** مسبوكاً فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر).

(ب) ورد في سفر الخروج ص ٣٢ عدد ٨ قوله:

(صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له، وذبحوا له، **وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل** التي أصعدتك من أرض مصر).

(ج) ورد في سفر الخروج ص ٣٢ عدد ٣١ قوله:

(فرجع موسى إلى الرب وقال: آه أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة، فصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب).

فممّا تقدم من نصوص يتبين أن العجل الذهبي الذي صنع لبني إسرائيل هو لا شك أنه واحد بالإجماع، بإجماع اليهود والنصارى والمسلمين، وحسب نصوص العهدين القديم والجديد، وبموجب القرآن الكريم، وبحكم المراجع التاريخية، ولكن عبَّر عن ذلك العجل الواحد بالجمع **لكون الجمع للتعظيم**، أو لحمل الأفكار البشرية على تصور أن كل القوى الإلّهية العظيمة في ذلك العجل الواحد.

٣ ــ لقد ثبت أن المرأة التي كانت تستحضر الأرواح في شعب اليهودية قالت لشاول الملك لما رأت روح صموئيل النبي ــ كما هو وارد في سفر صموئيل الأول ص ٢٨ عدد ٣ ــ :

(رأيت آلهة يصعدون من الأرض).

وتريد بذلك روح صموئيل النبي، وقد عبرت عنه بلفظ آلهة وبالجمع.

فلذلك أجابها الملك شاول قائلاً كما عبر عنه في عدد ١٤ من نفس الإصحاح:

(ما هي صورته فقالت: رجل شيخ صاعد وهو مغطىً بجبّة، فعلم شاول أنه صموئيل فخرّ على وجهه إلى الأرض وسجد).

ومن ذلك يتبين أن الكتاب المقدس قد يستعمل **الجمع** بدل المفرد لأجل التعظيم والتفخيم، وهذا الاستعمال الاصطلاحي في اللغة معروف في كثير من اللغات الأخرى كاللغة العربية، يقول سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِم أن يفتنهم﴾[1].

فعبر بملئهم بصيغة الجمع بدلاً من ملأ فرعون بصيغة الفرد.

دعوى النصارى بأن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة:

ورد في سفر الخروج ص ٣ عدد ١٥ قول الله لموسى عليه السلام:

(هكذا تقول لبني إسرائيل ــ يهوه إلّه آبائكم ــ إلّه إبراهيم وإلّه إسحاق وإلّه يعقوب أرسلني إليكم).

ويستخلص النصارى من هذا النص أنه وإن كان عدد فيه في الظاهر ذكر التوحيد لكن تلاه بذكر الثالوث، حيث قال: إلّه إبراهيم، وإلّه إسحاق، وإلّه يعقوب، **فكرر بذلك القول ذكر الثلاثة الأقانيم** بعد **ذكر التوحيد**، أي أن الله وإن كان واحداً لكنه مع ذلك ذو أقانيم ثلاثة، لأنه أجمل في قوله: (إلّه آبائكم)، ثم قال مفصلاً ومكرراً: (إلّه إبراهيم، وإلّه إسحاق، وإلّه يعقوب)، أي كرر لفظ الألوهية ثلاث مرات، ولو لم يكن الإلّه الواحد ذو ثلاثة أقانيم لكان النص كالآتي (إلّه آبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب) ولكنه كرر ذلك لبيان أن في هذا الموضع سراً وهو أن الله واحد ذو ثلاثة أقانيم.

الــرد:

لكن يرد على ذلك بالآتي:

١ ــ بعد ورود النص السابق المشار إليه بسفر الخروج عدد ١٥ جاء ذكر الله في نفس الإصحاح ٣ عدد ١٦، وهو قوله لموسى عليه السلام:

(اذهب واجمع شيوخ إسرائيل وقل لهم: الرب إلّه آبائكم إلّه: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ظهر لي قائلاً: إني قد افتقدتكم وما صنع بكم في مصر).

ففي هذا النص الأخير لم يكرر لفظ **الألوهية** بل جعله بالمفرد.

٢ ــ ورد في سفر أخبار الأيام قول النبـي داوود عليه السلام وذلك في ص ٢٩ عدد ١٨:

---

(١) سورة يونس: الآية ٨٣.

(يا رب إلّه إبراهيم وإسحاق وإسرائيل).

ففي هذا النص لم يكرر لفظ الألوهية بل جعله بالمفرد أيضاً.

٣ ــ ورد في سفر أخبار الأيام الثاني ص ٣٠ عدد ٦ قول السعاة:

(ارجعوا إلى الرب إلّه إبراهيم وإسحاق وإسرائيل).

ففي هذا النص لم يكرر لفظ الألوهية بل جعله بالمفرد أيضاً.

٤ ــ ورد في سفر أعمال الرسل ص ٣ عدد ١٣ قول بطرس:

(إن **إلّه** إبراهيم وإسحاق ويعقوب ــ **إلّه** آبائنا ــ **قَدْ** مَجَّدَ فتاه يسوع الذي أسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس).

ففي هذا النص كرر **لفظ الألوهية** مرتين.

٥ ــ وورد في مزمور ٥٩ عدد ٥ قول النبي داوود:

(يا رب إلّه الجنود إلّه إسرائيل).

ففي هذا النص كرر لفظ الألوهية مرتين أيضاً.

ورد في سفر أرميا ص ٣٨ عدد ١٧ قوله:

(فقال أرميا لصدقيا هكذا قال الرب إلّه الجنود إلّه إسرائيل).

ففي هذا النص كرر لفظ الألوهية مرتين.

٧ ــ ورد في سفر أرميا ص ٤٤ عدد ٧ قوله:

(فالآن هكذا قال الرب إلّه الجنود إلّه إسرائيل).

وفي هذا النص كرر لفظ الألوهية مرتين.

٨ ــ ورد في سفر التكوين ص ٤٤ عدد ٣ قول إبراهيم عليه السلام لخادمه:

(فأستحلفك بالرب إلّه السماء، وإلّه الأرض أن لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم).

والخلاصة:

مما تقدَّم يتبين أن لفظة إلّه وردت بالأسفار على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول ــ وردت مفردة غير مكررة أصلاً.

الوجه الثاني ـ وردت مكررة مرتين.

الوجه الثالث ـ وردت مكررة ثلاث مرات.

ومما هو جدير بالملاحظة أن تكرار اللفظ هو تكرار لأمر واحد، أي تكرار للحق، لذلك كرره داوود مرتين وكذا النبي أرميا، وهكذا إبراهيم، وإلاَّ فهل يعني تكراره بالتثنية بمعنى التثليث.

إذاً لا بد من الرجوع إلى الأصل وهو الوحدانية وهي العقيدة التي سار عليها جميع الأنبياء خصوصاً إبراهيم عليه السلام ومن سبقه ومن جاء بعده.

دعـوى النصارى أنهم يؤمنون ويعبدون إلّهاً واحداً في ثالوث وثالوثاً في واحد:

يقرر النصارى أنهم يؤمنون ويعبدون إلهاً واحداً في الثالوث وثالوثاً في إلّه واحد، ومع أن هذا التثليث لم يتضح في كتاب العهد القديم، بل جاء فيه تقرير **الوحدانية** بمثل ما هو وارد في سفر التثنية ص ٦ عدد ٤ بقوله:

(اسمع يا إسرائيل الرب إلّهنا رب واحد).

إلاَّ أنه في العهد الجديد، ورد بوضوح حيث أرسل الآب الابن ليخلص العالم، ثم أرسل الآب والابن كلاهما الروح القدس للكنيسة[١]، ويستند النصارى في هذه الدعوى إلى النص الوارد في إنجيل متى ص ٣ عدد ١٦، ١٧ وهو:

(ولما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السموات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه، وصوت من السماء قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت).

فالله هو الأقنوم الأول، والابن هو الأقنوم الثاني، وروح الله هو الأقنوم الثالث.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

---

(١) الكنيسة تعني في مفهوم النصرانية جميع المؤمنين أو جماعة المؤمنين بعقيدة النصرانية.

١ ــ إنه لا يعقل أن يكون هناك إلّه واحد في الثالوث وثالوث في إلّه واحد، لأن جميع طوائف النصرانية تعتقد بأن كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس متميز عن الأقنومين الآخرين، في كل شيء، حتى في الجوهر، لدرجة أنهم يسمون كل واحد منهم إلّهاً على حدته.

٢ ــ وإذا كان الأمر كما توضح في البند السابق كان من غير المعقول وحدة جوهر الإلّه في ثالوث هو ثلاثة جواهر متميزة عن بعضها.

٣ ــ كما لا يعقل تثليث جوهر المتميز عن الباقين في إلّه واحد بالجوهر.

٤ ــ إن التثليث في مفهوم النصرانية كما أنه لم يتضح في كتاب العهد القديم من الكتاب المقدس لم يتضح أيضاً بهذا المفهوم في كتاب العهد الجديد، بل كان تقريره بذلك المفهوم نتيجة أفهام بعض رؤساء النصرانية غير المعصومين عن الخطأ في الفهم، فالتثليث هو عقيدة اجتهادية بحتة مصدرها فهم بعض الرؤساء الدينيين عندهم، بعد ذهاب المسيح بمئات السنين، وكان ذلك في سنة ٣٢٥ ميلادية.

٥ ــ بل إن ذلك الأقنوم الثاني المقال: إنه حلَّ في المسيح فأي أقنوم هو؟

(أ) هل هو أقنوم الآب؟

كما يفهم من قول المسيح في إنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٢١:

(أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك).

وقوله في إنجيل يوحنا ص ١٤ عدد ٩، ١٠:

(الذي رآني فقد رأى الآب.. ألست تؤمن أني أنا في الآب والآب فيَّ.. ولكن الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال).

(ب) أم هو أقنوم الروح القدس؟

كما يفهم من قول متى في إنجيله عن المسيح ص ١٢ عدد ١٨:

(أضع روحي عليه).

وكما يفهم من قول لوقا في إنجيله عن المسيح ص ٣ عدد ٢٣:

(ونزل عليه الروح القدس).

وكما ورد في إنجيل متى ص ٣ عدد ١٦ :

(فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه).

وكما جاء في سفر أعمال الرسل عن المسيح ص ١٠ عدد ٣٨:

(مسحه الله بالروح القدس).

(ج) أم هو الأقنوم الثاني أقنوم الابن؟

كما يفهم من قول إنجيل متى ص ٢١ عدد ٣٧:

(وأخيراً أرسل إليهم ابنه).

وكما يفهم من قول إنجيل يوحنا ص ٣ عدد ١٧ :

(لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم لِيدينَ العالم بل ليخلص به العالم).

وكما يفهم من رسالة بولس إلى رومية ص ٥ عدد ١٠ :

(لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه).

لا أحد يعرف أيّ أقنوم هو الذي حلَّ في المسيح، ولا أحد يدري؛ مما ينقض قضية الأقانيم من أساسها).

فصل (١) قول المسيح لتلاميذه فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس:

هذا القول ورد بإنجيل متى ص ٢٨ عدد ١٩ ويستدل به النصارى على عقيدتهم في التثليث والبرهنة بها عقيدة الثالوث، فهم يقولون إن هذا النص يقرر الآتي:

(أ) إن الله واحد في ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر والمجد والكرامة والقدرة.

(ب) ويدل على وحدانية قول المسيح في لفظه باسم وليس بأسماء.

(ج) وإن الآب هو الله ــ والابن هو الله ــ والروح القدس هو الله ــ وإلاَّ كان المعتمد، معتمداً باسم إلّه، وباسم مجرد إنسان، وباسم صفة من صفات الألوهية، وهذا محال فالاعتماد باسم الابن إقرار بكونه إلّهاً ونبياً وكاهناً وملكاً ووسيطاً بطاعته وموته.

والاعتماد باسم الروح القدس إقرار بأنه إلّه وأنه يقدس وينير ويرشد ويعلِّم.

الـــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن كل دين سماوي لا يقوم إلاَّ بثلاثة دعائم: مُرسِلٌ: وهو الله، ومُرسَلٌ وهو: النبـي الرسول كنوح وإبراهيم وموسى والمسيح ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وواسطة بينهما: سفيراً للوحي والإبلاغ وهو الملَك كجبريل، والمسمى في بعض الحالات روحاً أو روح القدس.

ولا يمكن نشر الدين السماوي الحق بواحد من هؤلاء الثلاثة فقط:

١ ــ فلا يمكن أن يأتي الله عز وجل للناس ويتكلم معهم.

٢ ــ ولا يمكن أن تأتي لهم الملائكة رسلاً مبشرين ومنذرين وتخاطبهم، بل الرسول لا بدَّ وأن يكون من جنس الناس المرسل إليهم.

٣ ــ كما لا يمكن للرسول الحق أن يستقل بالدعوة عن الله وعن وساطة الملَك، فالملَك هو وسيط الوحي والإلهام السماوي للرسول البشر.

وعناصر الإيمان السابقة يضاف إليها عنصر رابع هو:

٤ ــ الكلام الموصى به أو الشريعة الموحى بها من الله للاعتقاد والعمل بها.

والعناصر الأربعة السابقة هي ما يسمى أركان الدين وقد يعبر عنها بالآتي:

دال، ودليل، ومستدل به، وبيان:

١ ــ فالدال هو الله سبحانه وتعالى.

٢ ــ والدليل هو الرسول الذي أرسله الله برسالته.

٣ ــ والمستدل به هو جبريل سفير الوحي للأنبياء والمرسلين.

٤ ــ والبيان هو الكتاب السماوي الذي أنزله الله بواسطة سفير الوحي على الرسول الذي أرسله.

تفسير قول المسيح لتلاميذه: (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب

والابن والروح القدس)، على ضوء العناصر أو الأركان السابق شرحها.

لا شك أن التعميد[1] ليس باسم تلاميذ المسيح وإنما هو باسم أركان الدين المقومين له، وهم:

(أ) الله سبحانه وتعالى المعبر عنه بالآب.

(ب) والرسول المعبر عنه بالابن.

(ج) وجبريل المعبر عنه بالروح القدس.

(أ) فيكون معنى الاعتماد باسم الله هو:

الاعتراف بأنه لا إلّه غيره وحده لا شريك له وأنه هو المشرع الأول الحقيقي لهذا الدين.

(ب) ويكون معنى الاعتماد باسم المسيح هو:

الاعتراف به نبياً ورسولاً ومسيحاً ومبلغاً للدين الجديد عن الله، لشعب اليهودية ومن تبعهم.

(ج) ويكون معنى الاعتماد باسم الروح القدس هو:

الاعتراف بأنه سفير الوحي السماوي، وأن دين النصرانية وشريعتها مبلَّغاً للمسيح عن الله بواسطته.

* * *

ثانياً: وقد يذكر في مقام الاعتماد أو التبشير أو التلمذة الثلاثة الأركان المتقدمة جميعها، كما في إنجيل متى ص ٢٨ عدد ١٩ السابق الإشارة إليه:

(وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس).

وقد يقتصر فيه على ذكر واحد منها.

فهو إما (الله) سبحانه وتعالى طبقاً لما هو وارد في سفر أعمال الرسل ص ١٠ عدد ٤٨ ونصه:

---

(١) التعميد: يعني في مفهوم النصرانية الإدخال في الدين النصراني.

(وأصرَّ أن يعتمدوا باسم الرب).

وإما النبـي المرسل طبقاً لما هو وارد في إنجيل لوقا ص ٢٤ عدد ٤٧ عن المسيح:
(وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم)[١].

وكما هو وارد في سفر أعمال الرسل ص ٢ عدد ٣٨:
(فقال لهم بطرس: توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا).

وكما هو وارد في سفر الأعمال المذكور ص ٨ عدد ٥ عن فيليبس:
(فانحدر فيليبس إلى مدينة من السامرة وكان يكرز لهم بالمسيح).

وإما بالروح القدس فقط طبقاً لما هو وارد بإنجيل مرقص ص ١ عدد ٨ من قول يوحنا المعمدان عن المسيح:
(أنا عمّدتكم بالماء وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس).

هل هناك اعتماد نظير ذلك في الكتاب المقدس؟

يوجد اعتماد نظير ذلك وقد ورد هذا عن موسى عليه السلام دون أن يلحق به أي تثليث، فقد ورد في رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ص ١٠ عدد ٢ قوله:
(وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر).

* * *

ثالثاً: ومما لا جدال فيه أن الاعتماد هو باسم الله عز وجل على الحقيقة، وأما الاعتماد باسم المسيح عليه السلام فهو مجاز نسب إليه لكونه واسطة في هداية الناس المعتمدين منه.

١ ــ فالمسيح نفسه ما عمل الأعمال العجيبة، وشرع هذا الدين الجديد باسم نفسه قط، بل باسم الله تعالى كما قال في إنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ٢٥:
(الأعمال التي أنا أعملها باسم أبـي هي تشهد لي).

---

(١) الكرز يعني الوعظ والتبشير بالدين النصراني.

وكما قال في إنجيل يوحنا أيضاً ص ٥ عدد ٤٣، ٤٤ قول المسيح:

(أنا قد أتيت باسم أبـي ولستم تقبلوا مني. إن أتىَ آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه، كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجد بعضكم من بعض والمجد الذي من الإلّه الواحد لستم تطلبونه).

فهذه الأقوال تثبت أن مجيء المسيح للناس هادياً ومبشراً ومرشداً ومعلماً ومشرعاً ليس من نفسه، بل باسم الله تعالى، أي أن ذلك كله منسوب لله تعالى على الحقيقة، فهو سبحانه وتعالى مصدره.

٢ ــ وكذلك الحال بالنسبة للأعجوبات التي كان المسيح يعملها كان يعملها باسم الله تعالى، أي: بقوة الله واقتداره.

٣ ــ وإذا كان إتيان المسيح لم يكن باسم نفسه **والأعمال** التي كان يعملها **والأعاجيب** التي كان يقوم بها، والتي هي مبدأ دين النصرانية وأساسه، لم تكن باسم نفسه، فمن باب أولى: لا يكون اعتماد الناس باسم المسيح بالمعنى الحقيقي، بل بالمعنى المجازي لكونه واسطة فيه.

والخلاصة أو النتيجة:

إن ما ورد بإنجيل متى ص ٢٨ عدد ١٩ في قوله:

(وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس).

لا تدل على التثليث الذي تعتقده النصرانية ولا إشارة له فيها بتاتاً.

فـصـل (٢) دعوى النصرانية بأن آية البركة الرسولية تدل على صحة التثليث وتساوي الأقانيم الثلاثة:

ورد في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ص ١٣ عدد ١٤ قول بولس ونصه:

(نعمة ربنا يسوع المسيح، **ومحبة الله**، وشركة الروح القدس مع جميعكم. آمين) وهو في نهاية تلك الرسالة، ويقال لها البركة الرسولية، وقد اتخذتها الكنائس النصرانية منذ سنيها الأولى حتى الآن خاتمة للعبادة الجمهورية.

ويستخلص النصارى منها برهاناً دالاً على صحة التثليث وتساوي الأقانيم الثلاثة.

الـــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

١ ــ إن عبارة بولس السابقة ليست من الأناجيل الأربعة متى ومرقص ولوقا ويوحنا التي اعتبر مجموعها هو الإنجيل لا غير فلا تقوم بمفردها حجة.

٢ ــ إن القائل للعبارة السابقة وهو بولس لم يرَ المسيح، ولم يتتلمذ على يديه، بل كان شديد العداوة له ولأتباعه، وحتى بعد زعمه الانضواء تحت ظل النصرانية، فإنه ليس معصوماً من الخطأ حتى تؤخذ أقواله حجة.

٣ ــ إن عبارة بولس السابق الإشارة إليها مبنية على الاعتقاد بالثالوث وليس الاعتقاد بالثالوث صادراً عنها وعن أمثالها، بل تقرر الثالوث بموجب مجمع مقدس في الربع الأول من القرن الرابع الميلادي.

٤ ــ إن لفظ (الرب) الوارد ذكره في عبارة بولس سالفة الذكر ليس معناه الإلّه حتى يكون ثاني الأقانيم الثلاثة بل معناه: (المعلم) كما ورد في إنجيل يوحنا ص ١ عدد ٣٨ على لسان المسيح بقوله:

(فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال لها ماذا تطلبان؟ فقالا ربـي، الذي تفسيره يا معلم، أين تمكث).

وفي إصحاح ٢٠ عدد ١٦ من إنجيل يوحنا ما نصه:

قال لها يسوع: يا مريم، فالتفتت تلك، وقالت: (ربوني) الذي تفسيره يا معلم).

وفي إنجيل متى ص ٢٣ عدد ٧، ٨ ما نصه:

(وأن يدعوهم الناس سيدي).

والأصل في النسخة العبرانية والنسخة اليونانية:

(وأن يدعوهم الناس ربـي ربـي، وأما أنتم فلا تدعوا سيدي سيدي لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعاً إخوة).

فكلمة ربـي بحسب النسخة العبرية والنسخة اليونانية الثابتة في عدد ٧ معناها المعلم، كما يفيده التعليل في عدد ٨ بعدها لأن معلمكم واحد المسيح، كما يمكن القول

بأن معنى الرب السيد، كما نجده في كثير من المواضع، فسر فيها (الرب) الواقع في النسخة العبرية بالسيد في النسخ العربية، ومثال ما ورد في إنجيل مرقص ص ١٠ عدد ٥١ قوله:

(فقال له الأعمى: يا سيدي أن أبصر).

٥ ــ إن لفظ (يسوع) الوارد في قول بولس السابق الإشارة إليه ليس اسماً للأقنوم اللاهوتي بل هو اسم للناسوت أي أنه اسم للطبيعة الإنسانية.

٦ ــ كذلك لفظ (المسيح) الوارد في النص المذكور هو أيضاً اسم للناسوت لأنه سمّي مسيحاً لكون الله تعالى مسحه بالروح القدس، طبقاً لما هو وارد في سفر أعمال الرسل ص ١٠ عدد ٣٨ ومما لا جدال فيه أن من يحتاج أن يمسح بالروح القدس هو الناسوت، أي المسمى بالإنسان المركب من جسم وروح مخلوقين، أما أقنوم الابن فغنيّ عن المسح لأنه ليس أقل من الأقنوم الثالث حتى يمسح به.

٧ ــ إن لفظ الروح القدس في قول بولس ليس معناه الإلّه حتى يكون الأقنوم الثالث، بل يعني الموهبة القدسية، وهي الوارد ذكرها في الأسفار الآتية:

(أ) مزمور ٥١ عدد ١٠:

(قلباً نقياً أخلق فيَّ يا الله روحاً مستقيماً جدِّد في داخلي).

(ب) سفر حزقيال ص ١١ عدد ١٩:

(وأعطيهم قلباً واحداً وأجعل في داخلكم روحاً جديداً).

(ج) سفر الملوك الثاني ص ٢ عدد ٩:

(فقال إليشع ليكن نصيب اثنين من روحك عليّ).

(د) سفر دانيال ص ٥ عدد ١١:

(يوجد في مملكتك رجل فيه روح الآلهة القدوسين).

(هـ) سفر أشعيا ص ٤٤ عدد ١٣:

(اسكب روحي على نسلك وبركتي على ذريتك).

* * *

وهذه الروح هي التي امتلأ منها الآتي ذكرهم:

(أ) يوحنا المعمدان كما هو وارد في إنجيل لوقا ص ١ عدد ١٥ قوله:

(ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس).

(ب) كما امتلأ منها أبوه زكريا طبقاً لما ذكره إنجيل لوقا ص ١ عدد ٦٧.

(ج) كما امتلأت منها أمه اليصابات طبقاً لما هو وارد في إنجيل لوقا ص ١ عدد ٤١.

(د) وكانت على سمعان ــ كما ذكره إنجيل لوقا ص ٢ عدد ٢٥.

(هـ) وامتلأ الجميع بها يوم الخمسين كما حكاه سفر أعمال الرسل ص ٢ عدد ٤.

(و) وامتلأ منها بطرس كما حكاه سفر أعمال الرسل ص ٤ عدد ٨.

(ز) وكان استفانوس مملوءاً منها كما حكاه سفر أعمال الرسل ص ٦ عدد ٥، ص ٧ عدد ٥٥.

(ح) وكان برنابا ممتلئاً منها أيضاً كما حكته سفر أعمال الرسل ص ١١ عدد ٢٤.

(ط) وامتلأ منها بولس كما حكاه سفر أعمال الرسل ص ١٣ عدد ٩.

(ي) وكان التلاميذ يمتلئون منها كما حكاه سفر أعمال الرسل ص ١٣ عدد ٥٢.

والله يعطيهما للذين يسألونه (إنجيل لوقا ص ١١ عدد ١٣).

النتيجة:

إن قول بولس والمعنيّ عنه بآية البركة ليس من البراهين على صحة التثليث ولا على تساوي الأقانيم الثلاثة.

إذ ليس فيها ذكر للأقانيم الثلاثة، وإنما ذكر فيها الله وحده لا شريك له.

وأما المسيح فإنما ذكر بمعنى الإنسان الاعتيادي.

وأما لفظ الروح القدس فقد ذكر بمعنى الموهبة القدسية للعلة وطبقاً للنقول السابق الإشارة إليها.

(٢)
مبحث (الرمز للثالوث أو للأقانيم الثلاثة)

أولاً: إن النصارى يستخلصون رموزاً للثالوث الذي يعتنقونه من النصوص الآتية في الكتاب المقدس وهي:

١ ــ جاء في سفر التكوين ص ١٥ عدد ٩ من قول الله يخاطب إبراهيم عليه السلام:

(فقال له خذ لي عجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشاً ثلاثياً).

ففي كون الحيوانات ثلاثة، وفي أن كلاً منها ثلاثي، معنى رمزيّ للأقانيم الثلاثة في اللاهوت على حد قولهم.

٢ ــ ورد في سفر التكوين ص ١٨ عدد ٢ قوله:

(فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه).

فعدد الثلاثة يشير إلى تثليث الأقانيم في اللاهوت على حد قولهم.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

١ ــ إن ما ورد بسفر التكوين ص ١٥ عدد ٩ له جزء يكمله ونصه:

(ويمامة وحمامة).

فيكون النص خماسياً لا ثلاثياً، وبذلك يكون النص:

(فقال له: خذ لي عجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشاً ثلاثياً ويمامة وحمامة).

وبهذا صارت الحيوانات خمسة لا ثلاثة.

٢ ــ ورد في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ص ٤ عدد ٦ قوله:

(وحول العرض أربعة حيوانات مملوءة عيوناً من قدام ومن وراء). فلم يذكر ثلاثة حيوانات بل ذكر أربعة حيوانات.

٣ ــ جاء في سفر دانيال ص ٧ عدد ٣ قوله:

(وصعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة هذا مخالف ذاك). .

وهذا النص مثل سابقه ذكر أربعة حيوانات.

٤ ــ ورد في سفر حزقيال ص ١ عدد ٥، ٦ ذكر أربعة حيوانات أيضاً قوله:

(ومن وسطها شبه أربعة حيوانات، وهذا منظرها: لها شبه إنسان، ولكل واحد أربعة أوجه، ولكل واحد أربعة أجنحة).

٥ ــ ورد في سفر أعمال الرسل ص ١٢ عدد ٤ ذكر عدد أربعة ونصه:

(ولما أمسكه وضعه في السجن، سلّمه إلى أربعة أرابع من العسكر).

٦ ــ ورد في سفر التكوين ص ٢ عدد ١٠ انقسام نهر عدن إلى أربعة رؤوس: اسم أحدها فيشوت (سيجون)، واسم الثاني جيجون، واسم الثالث حواقل (دجلة)، واسم الرابع الفرات.

٧ ــ ورد في سفر حزقيال ص ٩ عدد ٢ ذكر عدد ستة قوله:

(وإذا بستة رجال مقبلين من طريق الباب الأعلى الذي هو من جهة الشمال، وكل واحد عدته الساحقة بيده وفي وسطهم رجل لابس الكتان).

فهل يجوز بعد الشواهد من النصوص أن نفهم أن اللاهوت مركب من أربعة أقانيم أي إشارة إلى الرابوع ــ وهو الأربعة ــ قياساً على القول بالتثليث، أو إشارة إلى أن اللاهوت حسب كلام حزقيال الأخير مركب من ستة أقانيم، أو من سبعة إذا حسبنا الرجل لابس الكتان.

طبعاً فلا رابوع ولا سادوس ولا سابوع وبالتالي لا ثالوث طبقاً لهذا المنطق.

* * *

ثانياً: يستخلص من تكرار كلمة (الرب) مرتين في فقرة واحدة دليلاً على الثالوث في النص الوارد في سفر التكوين ص ١٩ عدد ٢٤ قوله:

(فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء)[١].

---

(١) مدينة سدوم ومدينة عمورة كانتا تقعان بوادي السديم شمالي البحر الميت، دمرهما الله بسكانهما بسبب ارتكابهما للشر.

وقد ذكر مجمع سرميوم أن تكرار اسم يهوه، يدل على الثالوث الأقدس فيكون المعنى هنا هو (أن الله الابن أمطر من عند الله الأب ناراً)، وجاء مفسرو النصرانية واتبعوا قول ذلك المجمع.

الــرد:

ويُرد على ذلك:

بأن تكرار كلمة الرب مرتين ليس فيها رمز لثالوث أو غيره للآتي:

١ ــ إن جملة (من عند الرب) الواردة هي لتفسير ما قبلها لكي يتضح أن العذاب الذي أمطره الله على سدوم وعمورة رباني سماوي.

٢ ــ ذكر كلفن وهو أحد رجال الإصلاح الديني المسيحي، ما يؤكد التفسير السابق[1] فقال: إن المقصود في ذلك النص هو أن الرب الذي أظهر نواياه، وإرادته على الأرض بكلام الملائكة لإبراهيم، أمطر من عند نفسه في السماء النار بياناً أن عمله على الأرض على وفق إرادته في السماء.

* * *

ثالثاً: يستخلص النصارى مما ورد في نص سفر التكوين ص ١٩ عدد ١٨ وهو:

(فقال لهما لوط: لا يا سيد).

فإن مخاطبة لوط للرجلين بلفظ مفرد في فقرة واحدة تدل على أنهما الابن والروح القدس جاءا معاً.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

إن استخلاص التفسير السابق ليس له نصيب من الصحة، بل الصحيح أن لوطاً عليه السلام قال لكل من الرجلين المخاطبين في الفقرة السابقة (يا سيد) وهذا ما ذكره الأستاذ إبراهيم الحوراني في شرحه للإنجيل[2].

---

(١) كلفن كان أحد رجال الإصلاح الديني النصراني الذين ينكرون العشاء الرباني، ويقولون إن المسيح لا يتمثل بشخصه ولا بروحه في العشاء الرباني وإن العبرة فيه للذكرى.

(٢) كتاب السنن القديم للأستاذ إبراهيم الحوراني.

رابعاً: يدعي النصارى بأن ما قاله الله من كلمات بصيغة الجمع في بعض الأسفار هو دليل على أن الإلّه هو مجموع الأقانيم الثلاثة ومثاله:

١ ــ ما ورد في سفر التكوين ص ١ عدد ٢٦:

(وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا).

فعبارة نعمل بصيغة الجمع، كما أن لفظ (الله) المكتوبة في الأصل العبري ألوهيم إشارة إلى تثليث الأقانيم الإلّهية.

٢ ــ ما ورد في سفر التكوين ص ٣ عدد ٢٢ قوله:

(وقال الرب الإلّه هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر).

فلم يقل هنا: (قد صار كالإلّه الواحد) بل قال: (كواحد منا) إشارة إلى أن الإلّه هو مجموع الأقانيم الثلاثة، والتي منها روح القدس الذي وردت الإشارة إليه في سفرالتكوين ص ١ عدد ٢ بقوله: (وروح الله)، والذي تمَّ إعلانه في العهد الجديد.

الــرد:

هو من وجوه ثلاثة:

الرد الأول: إن العادة المضطردة أو الغالبة في الكتب الدينية أن العمل إذا كان الله مستقلاً بالعمل فيه، وليس للملائكة فيه دخل نسبه إليه بصيغة الفرد.

أما إذا كان للملائكة دخل فيه بطريق السببية نسبه إليه سبحانه وتعالى بصيغة الجمع، وفي النص السابق لما كان خلق آدم مما كان للملائكة فيه دخل عن طريق السبب العادي، نُسب لله تعالى الخالق الحقيقي، ولملائكته الذين هم أسباب عادية فيه

كان القول بصيغة الجمع، وقد ذكر الدكتور (كنس) وهو أحد مفسري النصرانية بما يقرب من ذلك الرد فقال:

(إنني أتصور أن الله سبحانه وتعالى قال لربوات الملائكة ورؤساء الملائكة لتعمل الإنسان)[١].

---

(١) الربوات في الحساب مئات الألوف.

الرد الثاني: من استقراء نصوص كتب اليهودية والنصرانية نجد تشابهاً في إطلاق لفظ روح على الله وعلى **الملك**، وإن كان من المسلم به أن روح الله خالقة، وروح الملك مخلوقة وإن كان كل منهما روحاً في الصورة الأدبية والشبه المعنوي على حد ما هو وارد بتلك الكتب المقدسة المشار إليها.

وبناء على ذلك يكون النص في تفسيره: **(وقال الله نعمل الإنسان على صورة الأرواح المضافة لنا)**، وهي الملائكة تشريفاً لهذا الإنسان وذريته، فقد نفخ فيه الروح فصار نفساً حية أي ذي روح أيضاً، فكان وجه الشبه من ذلك في الروح وإليك النصوص من الأسفار:

(أ) ورد في سفر التكوين ص ٢ عدد ٧ قوله:

(وجبل الرب الإلّه آدم تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية).

(ب) ورد بإنجيل يوحنا ص ٤ عدد ٢٤ قوله:

(الله روح).

(ج) ورد برسالة بولس الثانية إلى كورنثوس قول بولس في ص ٣ عدد ١٧:

(وأما الرب فهو روح).

(د) ورد بمزمور ١٠٤ عدد ٤ عن الملائكة:

(الصانع ملائكته رياحاً)، أي أرواحاً.

وفي رسالة بولس للعبرانيين ص ١ عدد ٧ قوله:

(وعن الملائكة يقول الصانع ملائكته رياحاً).

(هـ) ورد في سفر زكريا ص ٦ عدد ٥:

(فأجاب الملاك وقال لي هذه هي أرواح السماء الأربع).

(و) ورد في سفر حزقيال ص ٣٧ عدد ٩ قوله:

(فقال لي تنبأ للروح، تنبأ يا ابن آدم، وقل للروح هكذا قال السيد الرب، هلمَّ يا روح من الرياح الأربع، وهُبَّ على هؤلاء القتلى ليحيوا).

(ز) ورد في رسالة بولس إلى العبرانيين ص ١ عدد ١٤ قوله:
(أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص).

الرد الثالث: إن القول المنسوب إلى الله في سفر التكوين المشار إليه ص ١ عدد ٢٦:

(على صورتنا كشبهنا) و (كواحد منا).

تعني أن الإنسان المزمع خلقه سيكون على صورة الله وملائكته في الصورة الأدبية المعنوية من الاختبار، وكمال الحرية والاستقلال وقوة الإرادة وتمام القوة العاقلة، ومتبصِّراً في كل الأمور، وتمييز الخير والشر والنفع والضرر.

* * *

خامساً: يستند النصارى أيضاً في عقيدة التثليث إلى النص الوارد في رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس ص ٣ عدد ٣ قوله: (ظاهرين أنكم رسالة المسيح مخدومة منا مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحي).

ويقول النصارى: إن في هذه الفقرة إشارة إلى التثليث ففيها الله والمسيح وروحه عاملين معاً في قلوب المؤمنين للإخلاص.

الــرد:

إنه ليس في عبارة بولس السابقة ما يشير إلى ثالوث مركب من آلهة ثلاثة لأن عبارة (روح الله) أو (روح الرب) وردت وصفاً لعدد من قضاة وأنبياء بني إسرائيل، ولم يقل أحد أنهم آلهة طبقاً لما يلي:

١ ــ ورد في سفر القضاة ص ١ عدد ١٠ في وصف عثينئيل أول قضاة بني إسرائيل قوله: (فكان عليه روح الرب وقضى لإسرائيل)، ففي هذه الفقرة نجد الله وروحه وعثينئيل المذكور بالضمير عن الغائب، فلو كانت هذه العبارة تشير للاهوت مركب من ثلاثة أقانيم وأن كل واحد منها إلّه لوجب على بني إسرائيل أن يعتقدوا في عثينئيل أنه إلّه.

٢ ــ ورد في سفر القضاة ص ٦ عدد ٣٤ وصف جدعون القاضي الخامس قوله:
(ولبس روح الرب جدعون).

٣ ــ ورد في سفر القضاة ص ١١ عدد ٢٩ عن يفتاح القاضي الثامن:

(فكان روح الرب على يفتاح).

٤ ــ ورد في سفر القضاة ص ١١ ص ٦ قوله عن شمشون القاضي الثاني عشر:

(فحلَّ عليه روح الرب).

٥ ــ ورد في سفر صموئيل الأول ص ١٠ عدد ١٠ عن شاوول أول ملوك العبرانيين:

(فحل عليه روح الرب).

٦ ــ وجاء في سفر صموئيل الأول ص ١٦ عدد ١٣ عند داوود:

(وحلَّ روح الرب على داوود).

٧ ــ وجاء في سفر الأيام الثاني ص ٢٠ عدد ١٤ عن يحزيئيل اللاوي الملهم قوله:

(كان عليه روح الرب).

٨ ــ وجاء في سفر حزقيال ص ١١ عدد ٥ عن حزقيال قوله:

(وحل عليَّ روح الرب).

٩ ــ وقال النبي ميخا في سفر ميخا ص ٣ عدد ٨:

(لكنني أنا ملآن قوة روح الرب).

وخلاصة ما تقدم:

أنه لو كانت عبارة بولس تشير لثالوث مركب من آلهة ثلاثة لكانت هذه العبارات التي سبق الإشارة إليها تشير لذلك الثالوث، وبالتالي يكون كل من عثيئيل وجدعون ويفتاح وشمشون وشاؤل وداوود ويحزيئيل وحزقيال وميخا إلّهاً، وهو ظاهر البطلان.

* * *

سادساً: يستند النصارى في عقيدة التثليث إلى قول بولس في رسالته لأهالي أفسس عن المسيح ص ٢ عدد ١٨:

(لأن به لنا كلينا اقتراباً في روح واحد إلى الآب).

ويفسرونه أنه بالمسيح تحت مصالحة النصارى للآب بالابن في الروح.

الــرد:

لا يوجد في النص السابق أي إشارة إلى التثليث بل المقصود فيه: أن كلاً من مؤمني اليهود ومؤمني غيرهم يصلون إلى الله تعالى بطريق واحدة هي الطريق التي بيَّنها المسيح للخلاص وشرعها لهداية الناس عموماً.

* * *

سابعاً: ويستند النصارى في عقيدة التثليث إلى قول يوحنا المنسوب إليه في سفر رؤيا بوصا اللاهوتي ص ١ عدد ٤ (الكائن ــ والذي كان ــ والذي يأتي)، ويقولون إن (الذي يأتي) رمز لاسم المسيح الآتي:

الــرد:

١ ــ إن عبارة يوحنا السابق الإشارة إليها هي وصف لله تعالى وحده باعتبار كونه واجب الوجود في الحال وأزلاً أي قديماً ــ وفي الاستقبال ــ ومنزَّهاً عن التغيير، وفقاً لقول الله تعالى لموسى عليه السلام في سفر الخروج ص ٣ عدد ١٤:

(فقال الله لموسى أهيه الذي أهيه)، ومعناه (أكون الذي أكون).

فهذه صفة من صفاته تعالى تُعلِنُ سراً عظيماً، وهو أن حقيقة الله لا يمكن للإنسان إدراكها، وإنما يُعرف الله بصفاته التي يستلزمها أنه هو (أكون الذي أكون) أي الكائن الواجب الوجود غير المتغير الأزلي الأبدي.

٢ ــ إن لفظ (الذي يأتي) بمعنى الآتي، وأن يكون مقصوده المسيح غير صحيح، لأنه ليس اسماً من أسماء المسيح عليه السلام، ومما يؤكد هذا النظر أن الدكتور جورج بوست لم يذكره في جدول أسماء المسيح عليه السلام التي ذكرها مع كونه أراد الإتيان عليها جميعها[١].

ومع ذلك فإننا نرى أن هذا اللفظ وقع في الكتاب المقدس وصفاً للمسيح، بل وصفاً للنبـي محمد ﷺ، فكان لفظ (الآتي)، ولفظ (النبـي) في الأسفار نبوءة بمجيء النبـي محمد ﷺ للأسباب الآتية:

---

(١) قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست.

(أ) ما جاء في سفر أشعيا ص ٦٣ عدد ١ إلى ١٠ قوله:

(من ذا الآتي من أدوم بثياب حمر من بصرة).

هذا الذي يتباهى بملابسه، المتعظم بكثرة قوته، أنا المتكلم بالبر العظيم الخلاص، ما بال لباسك محمر وثيابك كدائس المعصرة، قد دُسْتُ المعصرة وحدي، ومن الشعوب لم يكن معي أحد، فدستهم بغضبي ووطئتهم بغيظي، فرش عصيرهم على ثيابي، فلطخت كلَّ ملابسي، لأن يوم النقمة في قلبي، وسنة مَقدِيَّتي قد أتت، فنظرت ولم يكن معين، وتحيرت إذ لم يكن عاضد، فخلصت لي ذراعي وغيظي عضدني، فدست شعوباً بغضبي، وأسكرتهم بغيظي، وأجريت على الأرض عصيرهم.

إحسانات الرب، أذكر تسابيح الرب حسب كل ما كافأنا به الرب والخير العظيم لبيت إسرائيل الذي كافأهم به حسب مراحمه، وحسب كثرة إحساناته، وقد قال حقاً إنهم شعبي بنون، لا يخدعون فصار لهم مخلصاً، في كل ضيقهم تضايق، وملاك حضرته خلصهم بمحبته ورأفته، هو فكهم ودفعهم وحملهم كل الأيام القديمة.

ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه فتحول لهم عدواً وهو حاربهم.

(ب) ورد بإنجيل يوحنا ص ٦ عدد ١٤ قوله:

(فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: إن هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم).

فلفظ (النبي الآتي) مقروناً بأل التعريف لا يجوز قطعاً أن تنزل على المسيح عليه السلام، وذلك بشهادة يوحنا المعمدان حين أرسل اليهود إليه من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه: من أنت؟ فاعترف ولم ينكر وأقرَّ بقوله:

(إني لست أنا المسيح، فسألوه: إذاً ماذا؟ إيليا أنت، فقال: لست أنا، النبي أنت؟ فأجاب: لا).

(انظر إنجيل يوحنا ص ١ عدد ١٩ ـ ٢١).

فيظهر من ذلك القول السابق المتبادل بين يوحنا المعمدان والكهنة واللاويين الذين هم أعرق من غيرهم في الشؤون الدينية، أن اليهود كانوا ينتظرون ثلاثة أشخاص هم المسيح وإيليا والنبي، وإن هذا النبي هو من جهة غير المسيح وغير إيليا.

ومن جهة أخرى هو معروف لكهنة اليهود ولاوييهم كما يظهر من حكايته بأداة التعريف (ال)، إذاً فلا يجوز أن يكون هو المسيح، ولا جائز أن يكون هو إيليا، بل هو النبي المعروف الممتاز غير ذات المسيح، وغير ذات إيليا ومما يدل على ذلك دلالة قاطعة قوله:

(فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبي، آخرون قالوا هذا هو المسيح).

انظر إنجيل يوحنا ص ٧ عدد ٤٠، ٤١.

فقول الآخرين هذا هو المسيح بعد قول الأولين (فكثيرون) هذا بالحقيقة هو النبي، ومخالفتهم لهم في فكرهم، لهو برهان جليّ على أن اليهود كانوا ينتظرون ذاتين ممتازتين أولاهما ذات هي المسيح، وثانيهما ذات هي النبي.

وقول بعض الناس الذين رأوا الآية التي صنعها المسيح: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم، خلط منهم في فهمهم أن المسيح هو النبي الممتاز المنتظر، هذا مع الاحتياط في القول بأن المسيح عليه السلام كان نبياً أيضاً، لكن لم يكن هو النبي المنتظر الممتاز، والمعروف بأنه غير المسيح طبقاً لما حكاه إنجيل يوحنا في ص ١ عدد ١٩ – ٢١، ص ٧ عدد ٤٠، ٤١.

والنتيجة:

ومما سبق إيضاحه: إن كلمة (الآتي) الواقعة في إنجيل يوحنا ص ٦ عدد ١٤ تشير إلى النبي محمد ﷺ، ومما يؤكد ذلك ما ورد بعدها من قول (إلى العالم) أي إلى شعوب العالم جميعاً، أي أن دعوته عالمية، وليست دعوى خاصة لشعب اليهودية، كما هو الحال في دعوة السيد المسيح.

* * *

ثامناً: مما يستند فيه النصارى إلى القول بالرمز للثالوث:

إن اليهود قديماً كانوا يقسمون الليل إلى ثلاثة هزع طبقاً لما حكاه سفر القضاة عنهم في ص ٧ عدد ١٩ بقوله:

(فجاء جدعون والمائة رجل الذين معه إلى طرف المحلة في أول الهزيع الأوسط).

والـــرد:

ويرد على ذلك بالآتي:

١ ــ إن الرومان بعد استيلائهم على بلاد الشام ومنها أرض فلسطين قسموا الليل إلى أربعة هزع عبروا عنها إما بالعدد أو بالأسماء وهي:

(المساء ــ ونصف الليل ــ وصياح الديك ــ والصباح).

٢ ــ ورد في إنجيل مرقص ص ١٣ عدد ٣٥ هذا التقسيم الرباعي للَّيل في القول المنسوب للمسيح عليه السلام إلى تلاميذه ونصه:

(اسهروا، لأنكم لا تعلمون متى يأتي رب البيت، **أمساءً أم نصف الليل، أم صياح الديك، أم صباحاً**).

٣ ــ ذكر في إنجيل مرقص ص ٦ عدد ٤٨ قوله عن المسيح عند مجيئه لتلاميذه:

(ونحو الهزيع الرابع من الليل أتاهم ماشياً على البحر وأراد أن يتجاوزهم).

٤ ــ وورد في إنجيل متى ص ١٤ عدد ٢٥ قوله عن المسيح:

(وفي الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشياً على البحر).

والـنـتـيـجـة:

أنه كما قسم الليل إلى ثلاثة، قسمه الرومان إلى أربعة، وورد هذا التقسيم الرباعي في الأناجيل المتداولة، مما لا يرمز إلى ثالوث بل إلى رابوع، فهل يعني ذلك وجود رابوع؟ والحقيقة أنه لا يقول بذلك أيّ عاقل فلا ثالوث ولا رابوع.

* * *

تاسعاً: يدَّعي النصارى ورود عدة ألفاظ في الأسفار المقدسة عن الله بصيغة الجمع مدللين على كونه واحداً في الجوهر، وذا ثلاثة أقانيم في العدد، وهذه الألفاظ وردت في النصوص الآتية:

١ ــ جاء في سفر التكوين ص ١١ عدد ٧ عن الله قوله:

(هلمَّ ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض).

فقد جاء بصيغة الجمع، ولم يقل (أنزل وأبلبل)، ويقول النصارى إن هذا الرمز للجمع أي رمز للثالوث والأقانيم الثلاثة.

الـــرد:

ويُرد على ذلك:

بأن العادة المضطردة أو الغالبة في الكتب الدينية (كما فصلناه سابقاً) أن العمل إذا كان الله مستقلاً بعمله، وليس للملائكة فيه دخل بطريق السبب العادي، نسب إلى الله تعالى بصيغة الإفراد.

وإذا كان للملائكة دخل فيه بطريق السببية نسب إليه بصيغة الجمع، وههنا لما كان النزول والبلبلة مما للملائكة فيه دخل نسب لله تعالى وللملائكة، فقيل بصيغة الجمع (ننزل ونبلبل)[1].

* * *

عاشراً: يدَّعي النصارى بأن تقديس الملائكة والحيوانات لله ثلاث مرات يرمز إلى الأقانيم الثلاثة وأنها في إلّه واحد، ويستدلون على ذلك بالنصوص الآتية:

١ ـــ ما ورد في سفر أشعيا النبـي ص ٦ عدد ٣ من قول الملائكة:

(**قدوس قدوس قدوس** رب الجنود، مجده ملء كل الأرض).

٢ ـــ ما ورد برؤيا يوحنا اللاهوتي ص ٥ عدد ٨ من قول الحيوانات الأربع:

(قدوس قدوس قدوس الرب الإلّه القادر على كل شيء).

الـــرد:

ويرد على ذلك بالآتي:

لا حجة على ذلك التثليث، لأن الأسفار في العهدين القديم والجديد أوردت وصف الله تعالى بالإفراد مرات عديدة كما يلي:

١ ـــ فقد ورد في مجموع أسفار العهدين القديم والجديد وصف الله تعالى بأنه قدوس (بالإفراد)، نحو أربعين مرة طبقاً لما أورده في ذلك الدكتور جورج بوست في

---

(١) انظر في هذا الباب ـــ تحت عنوان الرمز للثالوث أو للأقانيم الثلاثة ـــ بند: رابعاً كما يدعي النصارى بأن ما قاله الله من كلمات بصيغة الجمع.

قاموس الكتاب المقدس، ولم يرد وصفه بالقدوس تكراراً ثلاث مرات إلاَّ في الموضعين السابق الإشارة إليهما فقط.

٢ ــ إن ما ورد في وصف الله بالقدوس ثلاث مرات في الوضعين السابقين ليس فيه ما يرمز للتثليث في اللاهوت، وإنما هو جري على ما هو مألوف منذ القدم عند كافة أجناس البشر، أنهم إذا أرادوا تأكيداً لقول أو فعل كرروه ثلاث مرات والأمثلة التالية توضح ذلك:

أولاً في العهد القديم:

ورد بسفر صموئيل الأول، وبسفر صموئيل الثاني، أن داوود مُسح ثلاث مرات:

(أ) ففي سفر صموئيل الأول ص ١٦ عدد ١٣:

(فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته، وحلّ روح الرب على داوود من ذلك اليوم فصاعداً).

(ب) وفي سفر صموئيل الثاني ص ٢ عدد ٤:

(وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داوود ملكاً على بيت يهوذا).

(ج) وورد في سفر صموئيل الثاني ص ٥ عدد ٣:

(وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك إلى حبرون فقطع الملك داوود معهم عهداً في حبرون أمام الرب ومسحوا داوود ملكاً على إسرائيل).

ثانياً في العهد الجديد:

(أ) ورد بإنجيل متى ص ٢٦ من عدد ٣٦ ــ ٤٤:

أن المسيح صلى لله تعالى ثلاث مرات بغية أن تعبر عنه كأس الآلام.

(ب) ورد بإنجيل لوقا ص ٢٣ عدد ٢٢ شهادة بيلاطس ببراءة المسيح ثلاث مرات:

(فقال لهم ثالثة فأي شيء عمل هذا).

(ج) وجاء بإنجيل يوحنا ص ٢١ عدد ١٤:

(هذه مرة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه).

(د) وورد بإنجيل يوحنا ص ٢١عدد ١٥ ـ ١٧ :

أن المسيح كرر قوله لبطرس أتحبني ثلاث مرات.

(هـ) وجاء في سفر أعمال الرسل ص ١٠ عدد ١٥ ـ ١٦ :

(فصار إليه أيضاً صوت ثانية ما طهَّر الله لا تدنسه أنت، وكان هذا على ثلاث مرات ثم ارتفع الإناء أيضاً إلى السماء).

(و) وورد في سفر أعمال الرسل ص ١١ عدد ٩، ١٠ :

(فأجابني صوت ثانية من السماء، ما طهره الله لا تنجسه أنت، وكان هذا على ثلاث مرات).

(ز) ورد برسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ص ١٢ عدد ١٤ قوله إنه أتى إليهم للمرة الثالثة:

(هو ذا المرة الثالثة أنا مستعد أن آتي إليكم ولا أثقل عليكم).

* * *

حادي عشر: يدعي النصارى بأن ذكر روح واحد، ورب واحد، وأب واحد في كلام بولس إلى أفسس، هو دليل على الثالوث، فقد ورد في رسالته إلى أفسس ص ٤ عدد ٤ ـ ٤ :

(جسد واحد وروح واحد، كما دعيتهم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد، رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة، إلّه وأب واحد، للكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم).

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

(أ) إن معنى (روح واحد) ليس هو روح القدس الذي يقول النصارى عنه إنه الأقنوم الثالث، بل يعني النفس الناطقة سر الحياة بدليل كونه مقابلاً للجسد، وبدليل أنه لم يذكر عنده لفظ إلّه كما ذكره عند الآب.

(ب) إن الرب الواحد هنا ليس بمعنى الإلّه حتى يكون هو الأقنوم الثاني في اعتقاد

النصرانية بل هو بمعنى المعلم طبقاً لما هو وارد في إنجيل يوحنا ص ١ عدد ٣٨، ص ٢٠ عدد ١٦، بوضوح وطبقاً لما هو واضح في إنجيل متى ص ٢٣ عدد ٧، ٨ بحسب النسخ العبرانية واليونانية، أو بمعنى السيد طبقاً لما عبَّر عنه في إنجيل مرقص ص ١٠ عدد ٥١. ومما يدل على كون لفظ (رب) هنا ليس بمعنى (إلّه) كونه أتى بلفظ إلّه عند ذكره لفظ (أب) ـ ولم يأت به عند ذكره لفظ (رب).

(ج) إن لفظ (أب) هنا ليس هو بمعنى جزء اللاهوت، بل هو بمعنى الإلّه وحده، ولذلك وصف بقوله إلّه، ولم يوصف به غيره من قوله (روح واحد)، و (رب واحد).

ولهذا: نجد أن معنى قوله (للكل) أنه سبحانه وتعالى إلّه لكل ما تقدم ذكره، مما يشمل الروح بمعنى النفس الناطقة، والرب بمعنى المعلم أو السيد.

(٣)
مبحث (الرمز للأقنوم الثاني)

أولاً: هل كان المسيح مقنياً..؟

يستخلص النصارى مما ورد في سفر الأمثال ص ٨ عدد ١٢ ـ ٣١ أن المسيح كان «مقنياً عند الله منذ القدم» مما يدل على أنه رمز (للأقنوم الثاني) من الثالوث الأقدس، وقد رمز له بالحكمة وهذا هو النص:

(أنا الحكمة أسكن الذكاء، وأجد معرفة التدابير، مخافة الرب بغض الشر. الكبرياء والتعظم وطريق الشر وفم الأكاذيب أبغضت، لي المشورة والرأي، أنا الفهم لي القدرة، بـي تملك الملوك، وتقضي العظماء، عدلاً بـي تترأس الرؤساء والشرفاء كل قضاة الأرض، أنا أحب الذين يحبونني، والذين يبكون إلي يجدونني، عندي الغنَى والكرامة، قنية فاخرة وحظ، ثمري خير من الذهب، ومن الإبريز وغلتي خير من الفضة المختارة، في طريق العدل أتمشى، في وسط سبل الحق فأورّث مُحِبّي رزقاً وأملأ خزائنهم...

الرب قناني أول طريقة من قبل أعماله منذ القديم، منذ الأزل مسحت منذ البدء منذ أوائل الأرض، إذ لم يكن ينابيع كثير المياه من قبل أن تقررت الجبال قبل التلال أبدِئت، إذ لم يكن قد صنع الأرض بعد ولا البراري، ولا أول عقار المسكونة، لما ثبت السموات

كنت هناك أنا لما رسم دائرة على وجه القمر، لما أثبت السحب من فوق، لما تشددت ينابيع القمر، لما وضع للبحر حده فلا تتعدى المياه تخمه، لما رسم أسس الأرض، كنت عنده صانعاً وكنت كل يوم لذته فرحة دائماً قدامه، فرحة في مسكونة أرضه ولذاتي مع بني آدم).

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

١ ــ إن المراد بالحكمة هنا.. الحكمة الحقيقية، وإن المراد من مسحها تكريسها لله مثلما قد يراد بمسح الشيء تكريسه لله ومثال ذلك:

(أ) ما ورد في رسالة يوحنا الأولى ص ٢ عدد ٢٠:

(وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس، وتعلمون كل شيء).

(ب) ما ورد في رسالة يوحنا الأولى ص ٢ عدد ٢٧ قوله:

(وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم).

(ج) في رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس ص ١ عدد ٢١ قوله:

(فالكلام الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله).

٢ ــ لا دليل على ارتكاب المجاز من الحكمة الحقيقية، وحملها على السيد المسيح، وإذا كان النصارى يحملون الكلام على المسيح بقوله وجود كلمة (مُسِحَتْ) فإن هذه الكلمة استعملت في تعبيرات كثيرة دون أن تحمل على السيد المسيح ومثاله الآتي:

(أ) ورد في سفر التكوين ص ٣١ عدد ١٣ عن العمود الذي مسحه يعقوب في القول المنسوب لله:

(أنا إلّه بيت إيل ــ حيث مسحت عموداً).

(ب) ورد في سفر الخروج ص ٣٠ عدد ٢٤ ــ ٢٨ قوله:

(ومن زيت الزيتون هبنا، وتصنعه دهناً مقدساً للمسحة، عطر عطارة صنعة العطار، دهناً مقدساً للمسحة يكون، وتمسح به خيمة الاجتماع، وتابوت الشهادة، وكل آنيتها والمنارة وآنيتها، ومذبح البخور، ومذابح المحرقة، وكل آنيته، والمرحضة

وقاعدتها)[1].

(ج) جاء في سفر صموئيل الأول ص ١٠ عدد ١ عن شاول الملك:

(فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه وقبله، وقال: أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيساً).

(د) وجاء في سفر أشعيا ص ٤٥ عدد ١:

(هكذا يقول الرب لمسيحه، لقُورش الذي أخذت بيمينه).

والنتيجة:

مما تقدَّم يتضح أن الكلام الخاص بالحكمة كله في الحكمة الحقيقية، ولا دليل على ارتكاب المجاز، بحملها على المسيح عليه السلام.

* * *

ثانياً: هل كان ملاك العهد هو «الأقنوم الثاني» كما تعتقد النصرانية:

ورد في سفر الخروج ص ٢٣ عدد ٢٠ القول المنسوب إلى الله:

(ها أنا مرسل ملاكاً أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته).

ويستخلص من هذا النص أن ملاك العهد المذكور هو الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس الحال في المسيح الابن.

الـرد:

لكن يُرد على ذلك بالآتي:

١ ــ لا دليل على أن هذا الملاك الوارد في سفر الخروج ص ٢٣ عدد ٢٠ هو ملاك العهد، لعدم وجود برهان نقلي على ذلك من الكتاب المقدس يدعم تفسير النصرانية الوارد آنفاً.

---

(١) المرحضة: هي إناء مستدير كان يستعمله النبي موسى في خيمة الشهادة ــ وكان مصنوعاً من النحاس ــ وكان الكهنة يغسلون أيديهم فيها قبل الشروع في الخدمة الدينية.

٢ ـ مما يؤكد هذا الرأي أن المفسر النصراني (كاليش) يرى أن المقصود بالملاك الوارد في سفر الخروج هو (الرسول) أي أنه موسى عليه السلام، وقد رأى بعض المفسرين خلافه، فقد يكون بعض الجيوش السماوية، وقد يكون ملاكاً من الملائكة المخلوقين بدليل التنكير، إذ قال (ملاكاً).

٣ ـ أما الاستناد إلى القول الوارد في سفر ملاخي ص ٣ عدد ١ ونصه:

(ها أنا أرسل ملاكاً فيهيِّىء الطريق أمامي ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه، وملاك العهد الذي تسرون به، هو ذا قال رب الجنود).

بأنه المسيح، فغير صحيح للأسباب الآتية:

(أ) إن النص السابق الموجود في كتب النصرانية يخالف النص الموجود في النسخ العبرانية التي بيد اليهود، وهذه النسخ العبرانية هي الأصل، وهي التي يجب التعويل عليها، والنص كما هو في اللغة العبرانية ترجمته كالآتي:

(ها أنا أرسل رسولي فيعزل طريقاً بحضوري، وحينئذٍ يأتي إلى هيكله الولي الذي أنتم تلتمسون، و**رسول الختان** الذي أنتم راغبون أيضاً، ، هو ذا آت قال الله رب الجنود).

(ب) إن اليهود يدعون أن الذي يعزل الطريق هو المهدي المنتظر، وأن المراد من رسول الختان هو نبـي ينتظر مجيئه في آخر الزمان المرموز اسمه في آخر سفر ملاخي و (إيليا).

(ج) **والصحيح أن هذا هو الوصف لا يصدق إلاَّ على النبـي محمد ﷺ، وله فيه مناسبة تامة**، لأنه عليه الصلاة والسلام قد سنَّ الختان بعد أن أبطلته الأساقفة والرهبان، استناداً إلى تعاليم بولس ومن شابهه، وقد رمز في هذا السفر لذلك الرسول بإيليا، فإذا روعيت قاعدة حساب الجُمَّل التي يراعيها اليهود في شريعتهم على هذا الاسم إيليا، نراه موافقاً لاسم ـ أحمد ـ لأن كلاً منها ٥٣ (إيليا) و (أحمد).

ولو كان إيليا من أنبياء بني إسرائيل كما تدعي اليهود الذين ينتظرون مجيئه آخر الزمان، لما لقب برسول الختان، لأن أنبياء بني إسرائيل كلهم تابعون لحكم الختان، ولا يقال لأحد منهم رسول الختان.

ونخلص مما تقدم بأن النص الموجود بسفر ملاخي ص ٣ عدد ١ هو بشارة بمجيء الرسول محمد ﷺ للأسباب التي ذكرناها سابقاً[١].

٤ ــ إن ذلك الملاك المذكور في سفر الخروج ص ٢٣ عدد ٢٠ يبدو أنه هو الملاك المذكور في إنجيل لوقا، والذي ظهر للمسيح من السماء ليقويه حينما كان في جهاده، وكان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض، طبقاً لما حكاه إنجيل لوقا في ص ٢٢ عدد ٤٣، ٤٤ بقوله:

(وظهر له ملاك من السماء يقويه، وإذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض).

ويستخلص من هذا النص الأخير الآتي:

(أ) إذا كان أقنوم الابن متحداً بالمسيح وحالاً فيه فأي حاجة بعد ذلك لنزول الملك لتقويته أي لتقوية المسيح.

(ب) إذا كان المسيح يحتاج إلى تقوية من ذلك الملك فكيف يكون إلَهاً، وهو يفتقر إلى هذه التقوية من الملك.

(ج) إذا كان هناك حلول من الله في المسيح فكيف احتاج المسيح إلى تقوية من الملك لأن القول بهذه القضية يعني أن الملك كان أقوى من الله الحالّ في المسيح، ولذلك نجح الملك في تقوية المسيح.

والخلاصة:

مما تقدَّم يتضح عدم سلامة أو استقامة القول بحلول الأقنوم الثاني في المسيح بل هو باطل من أساسه.

* * *

ثالثاً: دعوى النصرانية بأن الملاك الذي ظهر لموسى هو الأقنوم الثاني لأنه دعي (رباً) ودعي (الله).

مما يستند إليه النصارى في الإشارة إلى (الأقنوم الثاني) ما ورد في سفر الخروج ص ٣ عدد ٢، ٣، ٤ ونصه:

---

(١) كتاب فتح الملك العلام في بشائر دين الإسلام لمحمد أفندي حبيب.

(وظهر له ــ أي لموسى ــ **ملاك الرب** بلهيب نار من وسط عليقة، فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار، والعليقة لم تكن تحترق، فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم، لماذا لا تحترق العليقة، فلما رأى **الرب** أنه مال لينظر ناداه **الله** من وسط العليقة وقال: موسى موسى، فقال: هأنذا).

ويدلل النصارى على دعواهم بأن (ملاك الرب) في الفقرة الثانية دعي (رباً) في الفقرة الرابعة كما دعي (الله) مما يشير إلى الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس الذي ظهر للنبـي موسى عليه السلام في هيئة ملاك.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

١ ــ إن ذلك الملاك الذي ظهر لموسى عليه السلام والمعبر عنه (بملاك الرب) هو نفسه المعبر عنه بـ (الرب) في عدد ٣ وبـ (الله) في عدد ٤ إذ جرت العادة، واضطرد اصطلاح الأسفار المقدسة على إطلاق لفظي (الرب ــ و ــ الله) على الملك[١].

وإذا تقرر ذلك تبين أن لفظي (الرب) و (الله) الواقعتين في سفر الخروج المشار إليه قد أريد بهما الملاك المذكور في عدد ٢ فليس في العبارة شيء من الرمز للأقنوم الثاني ولا غيره.

(٤)
مبحث (الرمز إلى الأقنوم الثالث)

يرى النصارى أن الروح المنسوبة إلى الله هي الروح القدس وهي رمز للأقنوم الثالث من الثالوث اللاهوتي.

ويستند النصارى في ذلك إلى ما ورد في سفر التكوين ص ١ عدد ٢ وهو:

(وروح الله يرف على وجه الحياة).

لذلك يقول النصارى إن المقصود (بالروح) هنا (روح المسيح) وإن هذا النص يرمز إلى **الروح القدس**، وهو **الأقنوم الثالث في اللاهوت**، ومن فعله الخلق والقدرة الإلّهية، قدرة الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس.

---

(١) انظر الباب الثاني من هذا الكتاب مناقشة ألفاظ ــ الله ــ إلّه ــ رب.

الـــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

١ ــ ذكر الأستاذ إبراهيم الحوراني في أبحاثه أن أكثر مفسري اليهود يفسرون (الروح) هنا (بريح عظيمة من الله)، أي أن الروح هنا هي الريح[١].

٢ ــ إن سبب نسبة الشيء إلى الله، هو الإشارة إلى تعظيمه حسبما اعتاد العبرانيون ذلك قديماً، طبقاً لما ذكره صاحب كتاب السنن القويم، والأمثلة على ذلك كالآتي[٢]:

(أ) ورد في سفر التكوين ص ٢٣ عدد ٦ عن تعظيم بني حث لإبراهيم عليه السلام قولهم:

(أنت رئيس من الله).

(ب) ورد في سفر التكوين ص ٣٠ عدد ٨ نقلاً عن راحيل:

(مصارعات الله قد صارعت).

(ج) جاء بمزمور ٣٦ عدد ٦ قوله:

(عد لك مثل جبال الله).

(د) جاء بمزمور ٨٠ عدد ١٠ قوله:

(أغصانها أرز الله).

(هـ) ورد بسفر صموئيل الأول ص ٢٦ عدد ١٢ قوله:

(لأن سبات الرب وقع عليهم).

(و) ورد بسفر الخروج ص ٢١ عدد ٨ قوله:

(الأرز في جنة الله).

فهل يا ترى كان إبراهيم والمصارعات والجبال والأرز والسبات والجنة أقنوماً من الثالوث الأقدس، حيث نسب كل إلى الله مثل نسبة روح الله أو روح من الله..؟

(١) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار الكليم، للأستاذ إبراهيم الحوراني.

(٢) نفس المرجع السابق.

طبعاً حاشا وكلا: إذاً فإن السبب في نسبة الشيء إلى الله، هو الإشارة إلى تعظيمه، طبقاً لما تعوده العبرانيون منذ القدم، وبناء على ماتقدم لا يصح القول بتلك الأقانيم ولا بذلك الثالوث الذي يعتنقه النصارى.

(٥)

مبحث (القول بأن المعاني الرمزية الروحية مع المعاني الحرفية توضح الأقانيم الثلاثة أو الثالوث)

يعتقد النصارى أن اعتناقهم لعقيدة الثالوث أو الأقانيم الثلاثة يستندون فيه إلى **المعنى الرمزي**، وهذا المعنى الرمزي هو معنى روحي **ظاهر من اللفظ ومضاف إلى معنى حرفي** يبيحه اللفظ، وإن كان من المُسَلَّم به لديهم، أن هذه الرموز ليست ببراهين غير أنها توضح الأمر بعد بيانه وتزيينه.

الـــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

١ ــ إن علماء اللغات اتفقوا على أن المعنى المعتبر في التفسير هو:

إما المعني الحقيقي ــ أو المعنى ــ **المجازي** ــ أو ــ **الكنائي**، مرسلاً كان أو استعارة أو مجازاً عقلياً، وما عدا ذلك فليس من المعاني التي تنهض برهاناً على دعوى من يدعيها.

٢ ــ إن المعاني الرمزية الروحية التي يستخلصها النصارى ليست مما ذكره علماء اللغات بل ولا من قبيل التعريض أو التلميح، بل ولا من قبيل الجد الذي يراد به الهزل.

٣ ــ إن انسياق النصارى في تيار مثل هذه المعاني التي يخلعون عليها قولهم أنها معاني رمزية روحية أضرّ بعقائدهم ضرراً بليغاً جداً فنقلهم إلى الإشراك بالله وإضافة **الابن، والصاحبة والأقانيم**، رغم البراهين الواضحة في الكتاب المقدس التي تنطق صراحة بتوحيد الله، وتنزيهه عن الشريك والابن والثالوث.

• • •

الباب الثالث عشر

في

المسيح هو الله في النصرانية

اعتقادات النصرانية الآتية والرد عليها:

(١) لاهوت المسيح.

(٢) مساواة الابن للآب في الجوهر.

(٣) مساواة الابن للآب في القدرة والحكمة والمعرفة.

(٤) مساواة الابن للآب في العمل.

(٥) أزلية المسيح وأبديته.

(٦) المسيح صورة الله.

(٧) نبوّة المسيح وبنوته.

(٨) هل الله يكون إنساناً.

(١)
مبحث (لاهوت المسيح)

تعتقد النصرانية بألوهية المسيح، ويستندون إلى النص الوارد في رسالة بولس إلى أفسس ص ٣ عدد ٩ قوله:

(في الله خالق الجميع بيسوع المسيح).

ويفهمون من هذا النص أن جميع العالم بمادته وأرواحه وحيواناته وجميع ما فيه خلقوا بالمسيح.

فهذا القول في اعتقادهم يبين لاهوت الابن أي (المسيح) لأن الخلق، مما يختص بالله وحده بدليل أنه ورد عنه في سفر التكوين ص ١ عدد ١:

(في البدء خلق الله السموات والأرض) فالمسيح خلق كالآب أي (الله) وأنه كان عاملاً معه، فتبين من أعماله أنه الله، وأنه إلٰه القدرة، والحكمة والجودة.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن ما فهمته النصرانية من قول بولس السالف الذكر محض خطأ، أو مغالطة، نتيجة عدم فهم لكلام بولس الوارد في رسالته لأفسس ص ٣ عدد ٩، لأن الخلق في كلام بولس لا يعني الإيجاد من العدم بل معناه **التجديد الروحي بواسطة المسيح وتعاليمه**.

والخلق بهذا المعنى الروحي معروف ومعهود قديماً ومصطلح عليه حديثاً في سائر الأسفار بالكتاب المقدس والأمثلة كالآتي:

١ ــ ورد بمزمور ٥١ عدد ١٠ قول داوود:

(قلباً نقياً أخلق فيّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدِّد في داخلي).

٢ ــ ورد برسالة بولس الثانية إلى كورنثوس ص ٥ عدد ١٧:

(إذاً: إنْ كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً). فهذه الخليقة الجديدة هي تغير الشخص بالإيمان والتوبة تغيراً عظيماً، ودعي (خليقة) لأنه بدء حياة جديدة في النفس تدوم إلى الأبد.

٣ ــ ورد في رسالة بولس إلى غلاطية ص ٦ عدد ١٥ قول بولس:

(لأنه في المسيح ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة)[1].

٤ ــ ورد في رسالة بولس إلى أفسس ص ٢ عدد ١٠ قوله:

(لأننا نحن عمله، أي نحن عمل الله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة).

فما هي هذه المخلوقية في المسيح يا ترى...؟ لا شك أنها هي الخليقة الجديدة الروحية، وهي حياة الروح بواسطة الإيمان بالمسيح والتوبة لله.

٥ ــ ويوضح ذلك بجلاء ما ورد برسالة بولس إلى أفسس ص ٤ عدد ٢٢ ــ ٢٥ قوله:

(أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتتجددوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان **الجديد المخلوق** بحسب الله في البر وقداسة الحق، لذلك اطرحوا عنكم الكذب، وتكلموا بالصدق ... إلخ).

فالإنسان العتيق تعني الطبيعة الفاسدة، والمبادىء العوجاء التي كانت قواعد سيرتهم يوم كانوا غير مؤمنين، **والإنسان الجديد** المخلوق بحسب الله، هو تطهير القلب بالإيمان والتوبة والآراء الطاهرة والمقاصد الخيرية والمعيشة بالبر والتقوى، والتي عبّر عنها بقداسة الحق.

٦ ــ ورد برسالة بولس إلى كولوس ص ١ عدد ١٥ قوله:

(الذي هو صورة الله الغير المنظور بكر كل خليقة...).

---

(١) الغرلة هي الجلدة التي تغلف رأس الذكر وتقطع عند الختان وتسمى القلفة أيضاً.

فهو يريد بالخليقة المخلوقات الجديدة بعد تجددها روحياً، فالمسيح هو أول قومه في الخليقة الجديدة طهراً وبراً وتقوى فكان بهذا المعنى (بكراً بين أخوة كثيرين)، طبقاً لما ورد برسالة بولس إلى رومية ص ٨ عدد ٢٩ وهم أتباعه المؤاخون له في التجديد الروحي.

٧ ـ ونظير ذلك قول يوحنا اللاهوتي في شأن المسيح طبقاً لما ذكره في رؤياه ص ٣ عدد ١٤ :

(بداءة خليقة الله).

والمعنى أن المسيح هو أول خليقة الله الجديدة الروحية، ثم كما كان المسيح بكراً في هذه الخليقة الجديدة الروحية، كان أتباعه الأولون السابقون باكورة فيها كما ورد في رسالة يعقوب ص ١ عدد ١٨ قوله:

(شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه).

غير أن المسيح هو البكر الحقيقية فيها لأنه أول من تجدد، ثم إن أتباعه السابقين من تلاميذ وحواريين هم الباكورة بعده في الخليقة الجديدة، لأنهم أول من تجدد في أمة النصرانية بعده.

ونظير ذلك نجده في قول القرآن الكريم عن النبـي محمد ﷺ:

﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

أي أنه هو بكر المتجددين روحياً. ثم إن أتباعه من أصحابه السابقين كأبـي بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وسعد بن أبـي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة بن الجراح، وعلي بن أبـي طالب، وبلال بن رباح، وعمار بن ياسر، هم الأبكار في هذا التجديد الروحي.

* * *

ثانياً: مما يؤكد أن المعنى في قول بولس في رسالته إلى أفسس ص ٣ عدد ٩ :

(في الله خالق الجميع بيسوع المسيح).

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٦٣.

أن المسيح ليس هو الخالق ولا هو الموجد للشيء من العدم، بل المعنى (بالمسيح) صار الخلق، أي صار التجديد الديني الروحي، بدليل أن الأقوال الواردة في الأسفار تسند التجديد الروحي لله، ثم تعبر عن المسيح بحرف يشعر بالسببية والوساطة (كالباء) وبكلمة (في) فمثلاً:

١ ــ ورد برسالة بولس إلى أفسس ص ٢ عدد ١٠ قوله عن الله:

(لأننا نحن عمله، مخلوقين (في) المسيح يسوع لأعمال صالحة).

٢ ــ ورد برسالة بولس إلى أفسس ص ٣ عدد ٩ بقوله:

(في الله خالق الجميع بيسوع المسيح).

٣ ــ ورد برسالة إلى كولوس ص ١ عدد ١٢ ــ ١٦ قوله:

(شاكرين الآب الذي أهَّلنا لشركة ميراث القديسين في النور الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته، الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا، الذي هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة فإنه (فيه) خلق الكل، ما في السموات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل (به وله) قد خلق).

٤ ــ ورد برسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ص ٥ عدد ١٧، ١٨ قوله:

(هوذا الكل قد صار جديداً، ولكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح).

٥ ــ ورد برسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ص ٨ عدد ٦ قوله:

(لكن لنا إله واحد، الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح الذي (به) أي المسيح جميع الأشياء ونحن به)[1].

٦ ــ وقال بولس في رسالته للعبرانيين ص ١ عدد ٢ عن الله:

(الذي به أي بالمسيح أيضاً عمل العالمين).

---

(١) لفظ رب = يعني المعلم أو السيد ويرجع في ذلك إلى الباب الثاني من هذا الكتاب عن مناقشة ألفاظ: الله، إله، رب.

فالمراد بالعمل الخلق الروحي الجديد بالإيمان بالله ورسوله المسيح، كما أن المقصود بالعالمين أهل الديانة النصرانية الجديدة الذين آمنوا بالمسيح.

وخلاصة هذا المبحث أن **الخلق والإنقاذ والنقل**، ونحو ذلك من كل ما هو محمول على الخلقة الجديدة الروحية (أي الإيمان الجديد) هو من الله وحده، ثم تجعل ذلك بالمسيح أو فيه، أي بواسطته، ونستبين أن هذه العبارات وأشباهها إنما عبرت في جانب الله بالكلمة (من) المفيدة أن الله وحده هو مصدر ذلك العمل، ثم نراها تعبّر في جانب المسيح بما يفيد السببية، من (الباء) أو من (في)، دون أن تخالف الأسفار المقدسة في العهد الجديد هذه القاعدة مطلقاً، الأمر الذي يثبت بجلاء أن المسيح لم يكن عاملاً قط بل الله سبحانه وحده هو الفاعل والعامل، أما المسيح فكان كآلة بيد الله في العمل، أي أنه واسطة في عمل الله فقط.

(أ) فصل منه:

قد يقول قائل النصرانية رداً على ما عرضناه سابقاً لو كان المراد بالخلق ونحوه الوارد في أسفار العهد الجديد التجديد الروحي للخليقة الجديدة الروحية التي هي خصوص اتباع المسيح، لما عبر كتبة الأسفار المذكورة بما يفيد **عموم المخلوقات وجميع الكائنات** ومثاله:

١ ــ قول بولس الوارد في رسالته إلى كولوس ص ١ عدد ١٦:

(فإنه فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى، سواء كان عروشاً أم رياسات أم سلاطين ــ **الكل به وله قد خلق**).

٢ ــ كما قال بولس في رسالته إلى أفسس ص ٣ عدد ٩:

(في الله خالق الجميع بيسوع المسيح).

٣ ــ وقال يعقوب في رسالته ص ١ عدد ١٨:

(شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه).

الــرد:

لكن يُرد على ذلك بالآتي:

إن كتبة الأسفار المقدسة اصطلحوا على المبالغة في التعبير، فلفظ الكل والجميع هو من قبيل المبالغة في التعبير اللفظي فقط ليس إلا، لنذلل على ذلك بالأمثلة الآتية:

أولاً ــ في العهد القديم:

١ ــ ورد في سفر التثنية ص ١ عدد ١٠ القول المنسوب لموسى عليه السلام لبني إسرائيل:

(وهوذا أنتم اليوم كنجوم السماء في الكثرة).

فهل كانوا حقيقة من الكثرة مثل ذلك أم أن هذا بصيغة المبالغة.

٢ ــ ورد في سفر القضاة ص ٧ عدد ١٢ عن المديانيين والعمالقة وكل بني المشرق:

(وجمالهم لا عدد لها كالرمل الذي على شاطىء البحر في الكثرة).

فهل كانوا حقيقة كذلك أم أن هذا كان بصيغة المبالغة.

* * *

ثانياً ــ في العهد الجديد:

١ ــ ورد بإنجيل مرقص ص ١ عدد ٣٧ قوله عن المسيح:

(ولما وجدوه، قالوا له: إن الجميع يطلبونك).

فهل كان بالحقيقة جميع مخلوقات الله كانوا يطلبون المسيح، أم جميع أعدائه فقط.

٢ ــ ورد بإنجيل مرقص ص ١٢ عدد ٣٢ قوله:

(ولما كانت الساعة السادسة كانت الظلمة على الأرض كلها).

فهل يفهم من ذلك النص أن الظلمة كانت على جميع أرض الدنيا أم أنها كانت فقط قاصرة على مدينة أورشليم.

٣ ــ ورد برسالة بولس الثانية إلى كورنثوس ص ٥ عدد ١٧ قوله: (الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً).

فهل يفهم من هذا النص أن كل المخلوقات التي على ظهر الأرض صارت جديدة؟ أم أن هذا الأمر قاصر على أتباع المسيح فقط.

٤ ـ جاء في إنجيل يوحنا ص ٢١ عدد ٢٥ قوله:

(وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع، إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة).

فهذا كله من قبيل المبالغة في التعبير، وإلا فهل يُعقل أن العالم نفسه يضيق بما كتب عن المسيح أو بما فعله السيد المسيح نفسه.

(ب) فصل ثان منه:

قد يقول قائل النصرانية: إن اعتقادهم في ألوهية المسيح نابع من قول بولس في رسالته إلى العبرانيين ص ١ عدد ٢ من أن الله به عمل العالمين:

(الله بعد أن كلم الآباء بالأبناء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء، الذي به أيضاً عمل العالمين).

الـــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

لا شك أن المراد بعمل العاملين، عالم مخصوص محدود روحياً بالمسيح، وهم تلاميذه والمؤمنون به وليس كل العالمين، لأن أناساً كثيرين لم يؤمنوا بالمسيح وقتئذٍ، أي لم يخلقوا خلقة روحية جديدة، وهذا التعبير المذكور في رسالة بولس إلى العبرانيين هو من قبيل المبالغة أيضاً.

ونظير تلك المبالغة القول الوارد في إنجيل يوحنا ص ١٢ عدد ١٩:

(هوذا العالم قد ذهب وراءه).

فهل يفهم من ذلك أن العالم جميعه قد ذهب وراء المسيح...؟ كلا ولكن لا شك أن المراد بهذا العالم عالم مخصوص محدود هو عالم مدينة أورشليم.. مدينة القدس حالياً.

(ج) فصل ثالث منه:

قد يقول قائل النصرانية إن اعتقادهم في ألوهية المسيح راجع إلى قول بولس في رسالته إلى أهل كولوس ص ١ عدد ١٦، وفيها يظهر التعميم من النص مما ينافي التفسير للخلق بمعنى التجديد الديني وهذا النص هو:

(فإنه فيه خلق الكل، ما في السموات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خلق).

الــرد:

ويرد على ذلك بالآتي:

إنه لا تعارض بين هذا النص وبين التفسير للخلق بمعنى التجديد الديني للأسباب التالية:

١ ــ لأن المراد بقوله (ما في السموات) هو الوحي ولا ريب أنه تجدد بمعنى أنه تغير شكله وروحه بمجيء المسيح عليه السلام.

٢ ــ والمراد بقوله (وما على الأرض) هي خصوص الأرض التي عليها النصارى المتجددون تجدداً روحياً، وكثيراً ما أطلق كتبة الأسفار كلمة الأرض وأرادوا جزءاً منها، كما هو وارد في إنجيل متى ص ٢٧ عدد ٥١ قوله:

(والأرض تزلزلت)، مع أن الذي تزلزل هو أورشليم فقط، أو الموضع الذي تم فيه صلب المسيح (على مفهوم معتقداتهم) وليس المراد جميع الأرض المعمورة، لأنه لو كان كذلك لذكره المؤرخون مع أن أحداً منهم لم يذكر زلزالاً وقع آنئذٍ قط.

وشبيه بهذا الخصوص القول المنسوب للمسيح في إنجيل لوقا ص ٤ عدد ٢٥:

(لما كان جوع عظيم في الأرض كلها).

مع أن الجوع إنما كان في خصوص أرض مملكة السامرة بدليل ما هو وارد عن هذا الجوع في سفر الملوك الأول ص ١٨ عدد ٢:

(وكان الجوع شديداً في السامرة).

٣ ــ أما قوله (مايرى) كالآدميين المتجددين بالإيمان بالمسيح، وأعمالهم المحسوسة.

٤ ــ وعن قوله (ما لا يرى) كالأعمال التي تخطر داخل النفس مما لا يحس بها فإن ذلك كله مما تجده دينياً.

٥ ــ وعن قوله: (سواء كان عرشاً أم سيادات أو رياسات).

فإن المراد أن كافة الناس الذين اعتنقوا الديانة النصرانية هم خليقة جديدة بالمسيح، حتى ولو كانوا من الملوك والرؤساء والسلاطين، ومما يؤكد هذا التفسير أن النصرانية كانت قد انتشرت في سوريا وفلسطين وبلاد العراق وفي آسيا الصغرى، واليونان وإيطاليا ومصر وإسبانيا في سنة ٦٣ بعد الميلاد، وبولس لم يتكلم بعباراته الآنفة الذكر إلا بعد ذلك حيث ألف رسالته المذكورة وأرسلها إلى أهل مدينة كولوس في آسيا الصغرى (والتي أصبحت بلاد الأناضول التركية) في السنة المذكورة عينها أيضاً.

(د) فصل رابع منه:

إذا تقرر معنى الخلق بأنه التجدد الروحي بالإيمان بالمسيح ورسالته فما مقصود الآتي:

١ ــ ما هو المقصود إذاً بالنص الوارد بإنجيل يوحنا ص ١ عدد ٣:

(كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. . .؟).

والمعنى على ضوء ما سبق شرحه أن كل شيء من نوع التجديد الديني والحياة الروحية والنور القلبي، كان بواسطة المسيح، بدليل قوله على أثر هذا النص في ص ١ عدد ٤ مباشرة:

(فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس).

أي الحياة الروحية بالإيمان به لأنها هي الحياة الحقيقة، أما الحياة المادية فليست حياة بل يشترك فيها الحيوان مع الإنسان، وليس ذلك فقط، بل يشترك في هذه الحياة المادية الحشرات والهوام مع الإنسان.

٢ ــ وما هو المقصود بالنص الوارد في إنجيل يوحنا ص ١ عدد ١٠ وهو:

(كان في العالم، وكون العالم به، ولم يعرفه العالم).

والمعنى: أن المسيح وجد بين أتباعه الذين تكوَّنوا دينياً وروحياً به فعندما كان في العالم، تكوَّن العالم دينياً وروحياً به، أي بالمؤمنين به، تكوَّن عالم المؤمنين أو أمة المؤمنين.

ومع ذلك فلم يعرفه العالم حق المعرفة الخاصة به، أما المعرفة العامة فهي قطعاً حاصلة لأتباعه، وهذا هو المعنى المراد في إنجيل متى ص ١١ عدد ٢٧ بقوله:

(وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ولا أحد يعرف الآب إلا الابن).

أي المعرفة الخاصة.

(٢)
مبحث (هل هناك مساواة بين الابن والآب في الجوهر)

يعتقد النصارى بأن المسيح مساوٍ لله في الجوهر والذات وسائر الصفات اللاهوتية، ويستندون في ذلك إلى النص الوارد بإنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ٣٠ وهو قوله:

(أنا والآب واحد).

فيدَّعون أن هذا النص يتضمن أن الآب ـ أي الله ـ والابن ـ أي المسيح واحد في الجوهر والذات وسائر الصفات اللاهوتية.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن الواجب فهمه من النص السابق هو أن المسيح مساوٍ لله في إرادة الخير والهداية، والمحبة للمؤمنين، وهذا الفهم هو مقصود كتبة الأسفار ولندلل بالأمثلة الآتية:

١ ـ ورد في رسالة بولس إلى أهل غلاطية ص ٣ عدد ٢٨ قوله:

(لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع)[1].

---

(١) غلاطية هي ولاية في آسيا الصغرى، زارها بولس في رحلاته وكتب لأهلها رسالة من رسائله التي ضُمت لأسفار العهد الجديد.

فهل يعني هذا القول أن أهالي غلاطية متحدون في الجوهر والقوة وسائر صفات الإنسان، أو أن المقصود أنهم متحدون في الإيمان بالمسيح وفي شرف متابعته كما هو ظاهر النص، هو أقرب إلى الفهم والعقل.

٢ ــ ورد في رسالة بولس إلى أهالي أفسس ص ٢ عدد ١٤ قوله:

(لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً).. أي أن المسيح جعل الاثنين، وهما الأمم واليهود واحداً، فهل يعني ذلك أن بولس أراد بقوله: إن الأمم واليهود متحدون في الجوهر والذات وسائر الصفات، وهذا باطل ومستحيل إذاً المقصود أن الأمم واليهود صاروا على اتفاق تام، وأنهم متحدون في المحبة القلبية، ومتابعة المسيح حتى صاروا كإنسان واحد وكفريق واحد.

٣ ــ ورد بإنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ١١ القول المنسوب للمسيح في صلاته لتلاميذه:

(أيها الآب القدوس ــ احفظهم في اسمك الذي أعطيتني ــ ليكونوا واحداً كما نحن)..

فهل يفهم أن هذا الاتحاد بين التلاميذ هو اتحاد في الجوهر والذات وسائر الصفات؟ لا شك أن هذا الفهم محال. إذاً لا بد أن يكون المقصود أن يكونوا جميعاً واحداً في حب الخير ــ وأن تكون غايتهم ورغباتهم واحدة، نظير الاتحاد الذي بين المسيح وبين الله في إرادة الخير والمحبة للمؤمنين، كما يقيده قوله: كما نحن، وكما يفيده قوله الوارد بإنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٢٢:

(وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد).

ثانياً: إن فهم النصرانية من قول المسيح الوارد في إنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ٣٠:

(أنا والآب واحد)، بأن المسيح مساوٍ لله في الجوهر والصفات اللاهوتية هو فهم يهودي بحت.

وذلك أن اليهود لما سمعوا من المسيح هذه الجملة أنكروها عليه، فعرَّفهم المسيح وجه خطأهم في الفهم بأن هذه العبارة لا تقتضي لاهوتاً بالمرة، ولنقرأ هذه المحاورة بين

المسيح وأولئك اليهود، كما وردت في إنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ٣٠ إلى ٣٦:

(أنا والآب واحد، فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه، أجابهم يسوع: أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبـي بسبب أي عمل منها ترجموني..؟ أجابه اليهود قائلين: لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلّهاً، أجابهم يسوع: أليس مكتوباً في ناموسكم: أنا قلت إنكم آلهة؟ فإذا كانت الشريعة تدعو أولئك الذين صارت إليهم كلمة الله آلهة، ولا يمكن أن يُنقض المكتوب، فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف.. لأني قلت إني ابن الله)؟

لا شك أن معنى هذه المحاورة أن اليهود فهموا خطأً من قول المسيح (أنا والآب واحد) إنه يدَّعي الألوهية فأرادوا لذلك أن ينتقموا منه، ويرجموه، فرد عليهم المسيح خطأهم، وسوء فهمهم قائلاً: إن هذه العبارة لا تستدعي دعواه الألوهية، لأن آساف قديماً أطلق على القضاة أنهم آلهة، بقوله الثابت في مزمور ٨٢ عدد ٦:

(أنا قلت: إنكم آلهة، وبنو العلي كلكم).

ولم يفهم أحد من هذه العبارة تأليه هؤلاء القضاة، ولكن المعنى المسوغ لإطلاق لفظ آلهة عليهم أنهم أعطوا سلطاناً أن يأمروا ويتحكموا ويقضوا باسم الله.

ومقصود المسيح من هذه المحاورة بينه وبين اليهود معناه:

(أن هذا المعنى المسوغ لإطلاق لفظ آلهة على القضاة مع أنهم ليسوا آلهة في الواقع، هو موجود فيه أي في المسيح، بل يوجد فيه بما هو أكثر من ذلك، لأن هؤلاء القضاة غاية مجدهم أنهم حكام شريعة الله، وأما هو أي المسيح فمقدس من الله، بمعنى أنه معين لخدمة شريعته ورسالته المكلف بها لقومه، ولا شك ولا مراء أن الرسول المكلف من الله بالرسالة له مكانة مجيدة تزيد بمراحل كثيرة عن الحاكم أو القاضي المكلف بالحكم بالشريعة).

وبموجب هذا المنطق السهل الذي شرحه المسيح لليهود، ساغ للمسيح أن يعبِّر عن نفسه بمثل ما عبَّر به آساف عن أولئك القضاة الذين صارت إليهم كلمة الله.

ولا يقتضي كل من التعبيرين أن في المسيح، أو أن في القضاة لاهوتاً حسبما فهمه اليهود خطأً.

(٣)

مبحث (مساواة الابن والآب في القدرة والحكمة والمعرفة)

يعتقد النصارى بأن المسيح، وهو الابن مساوٍ للآب، الذي هو الله في القدرة والحكمة والمعرفة ويستندون في ذلك إلى النص الوارد بإنجيل يوحنا ص ٥ عدد ١٩ :

(فأجاب يسوع وقال لهم: الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلاَّ ما ينظر الآب يعمل، لأن مهما عمل ذلك، فهذا يعمله الابن كذلك).

الــرد:

ويرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن لفظ ابن الله في الأسفار المقدسة لم يقتصر على المسيح فقط، بل أطلق على سليمان وعلى الشرفاء أو الأقوياء وعلى كل إسرائيلي طاهر، وعلى كل نصراني مؤمن، كما أطلق على كل عبد بار سواء كان نصرانياً أو غير نصراني كما بيَّنَّاه فيما سبق[1].

ثانياً: وقد اصطلح المسيح في تعاليمه أن يطلق على الرجل البار لفظ (ابن الله) مجازاً لكون الله باراً[2]، كما يطلق على الرجل الخاطىء (ابن إبليس) مجازاً، لأن إبليس خاطىء، وعند المسيح أن الابن يرث أعمال أبيه، ولا يخرج عنها، ولا يقدر أن يتجاوزها فلذلك قال:

(لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلاَّ ما ينظر الآب يعمل، لأنه مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك).

وهذا المعنى يؤكده النص الوارد بإنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٣٨ ــ ٤٤ وهو:

(أنا أتكلم بما رأيت عند أبي، وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم، أجابوا، وقالوا له: أبونا هو إبراهيم ــ قال لهم يسوع ــ لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال

---

(١) يرجع في ذلك إلى الباب الثاني من هذا الكتاب مناقشة ألفاظ: ابن ــ آب ــ ولادة.

(٢) من أسماء الله الحسنى في الإسلام البَر، قال تعالى في سورة الطور: الآية ٢٨: ﴿إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم﴾.

إبراهيم، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسان قد كلمتكم بالحق الذي سمعه من الله، هذا لم يعمله إبراهيم، أنتم تعملون أعمال أبيكم، فقالوا له: إننا لم نولد من زنى، لنا آب واحد وهو الله، فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني، أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا، ذاك كان قتّالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق.

ثالثاً: إن الناظر للنص الوارد في إنجيل يوحنا ص ٥ عدد ١٩ وما قبله من نصوص يجد أنه لا يدل على مساواة المسيح بالله إطلاقاً لا في القدرة ولا في الحكمة ولا في المعرفة أو غيرها، بل بالحرى نجد النصوص تفيد عكس ما فهمته النصرانية، ولنرجع إلى نصوص الموضوع في إنجيل يوحنا ص ٥ من عدد ٨ إلى عدد ٢٠ وهي تحكي قصة المريض المقعد الذي مضى على مرضه ٣٨ سنة:

(قال له يسوع: ـ أي قال للمريض ـ قم احمل سريرك وامشِ، فحالاً برىء الإنسان وحمل سريره ومشى، وكان في ذلك اليوم سبت، فقال اليهود للذي شُفي: إنه سبت لا يحل لك أن تحمل سريرك، أجابهم: إن الذي أبرأني هو قال لي احمل سريرك وامشِ، فسألوه من هو الإنسان الذي قال لك احمل سريرك وامشِ. . .؟

أما الذي شُفي فلم يكن يعلم من هو، لأن يسوع اعتزل، إذ كان في الموضع جمع، بعد ذلك وجده يسوع في الهيكل وقال له: ها أنت قد برئت، فلا تخطىء أيضاً لئلا يكون لك أثر، فمضى الإنسان وأخبر اليهود أن يسوع هو الذي أبرأه، ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه، لأنه عمل هذا في سبت، فأجابهم يسوع: أبـي يعمل حتى الآن وأنا أعمل، فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه، لأنه لم ينقضِ السبت فقط بل قال أيضاً: إن الله أبوه!! مساوياً نفسه بالله!! فأجاب يسوع وقال لهم: الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلاَّ ما ينظر الآب يعمل، لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك، لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما يعمله وسيريه أعمالاً أعظم من هذه لتتعجبوا أنتم).

والمتأمل في النصوص السابقة يجد أن حاصل مراد المسيح: هو أن الله يعمل حتى يوم السبت أعمال الخير والبر والشفاء، وعمل الله هذا اعتبره المسيح بمثابة إذن أو فتوى

من الله بجواز عمل الخير والشفاء في كل وقت وحين، فكما أن الله يعمل كما هو مشاهد في نظام الكون المحسوس في كل يوم أعمال الخير والبر، فالمسيح يعمل في كل يوم، ولو لم ينظر إلّهه عاملاً يوم السبت لم يعمل هو تلك الأعمال الخيرة البارة دون أن يتضمن ذلك الكلام السابق أي إشارة للمساواة، بل على العكس فإن كلام المسيح هنا يفيد بوضوح عدم المساواة طبقاً لما يلي:

١ ـ إن المسيح بيَّن أنه دون الله بسبب أنه نفى عن نفسه القدرة حيث قال في ص ٥ عدد ١٩:

(لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً).

٢ ـ نفى المسيح عن نفسه العلم حيث قال في الفقرة السابقة:

(إلاَّ ما ينظر الآب يعمل).

أي ينظر نتائج أعمال الله، ولم يقل كلمة (يعلم) بدل كلمة ينظر، ثم قال في عدد ٢٠:

(لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله وسيريه أعمالاً أعظم).

فقوله: (يريه) و (سيريه) يدل بوضوح على أن المسيح لا يعلم الغيب إلاَّ ما أراد الله إطلاعه عليه.

٣ ـ إن ما يؤكد هذا النظر ـ وهو أن المعطي القوة للمسيح هو الله تعالى ـ قول بولس الوارد في رسالته الأولى إلى كورنثوس ص ١٥ عدد ٢٧:

(لأنه ـ أي الله ـ أخضع كل شيء تحت قدميه).

أي قدمي المسيح، وقد تكرر ذلك النص في رسالة بولس إلى أهل أفسس ص ١ عدد ٢٢.

كما ذكر بولس في رسالته الأولى لكورنثوس ص ١٥ عدد ٢٨ استكمالاً للنص السابق قوله، فحينئذٍ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل.

٤ ـ ذكر المسيح صراحة في أقواله أن الله هو إلّهه حيث قال في إنجيل مرقص ص ١٥ عدد ٣٤:

(إلّهي إلّهي لماذا تركني).

٥ ــ ذكر بولس في رسالته الأولى إلى كورنثوس ص ١١ عدد ٣:

(أن رأس كل رجل هو المسيح، وأما رأس المرأة فهو الرجل، ورأس المسيح هو الله).

٦ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ٥ عدد ٢٧ قوله عن الله:

(كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان).

فحياة المسيح وإدانته هما معطيان له من الله طبقاً لهذا النص.

٧ ــ إن الله خاطبه بواسطة الملاك المرسل منه، كما هو مذكور في رؤيا يوحنا اللاهوتي ص ١٤ عدد ١٤، ١٥ قوله:

(ثم نظرت وإذا سحابة بيضاء وعلى السحابة جالس شبه ابن إنسان له على رأسه إكليل من ذهب، وفي يده منجل حاد، وخرج ملاك آخر من الهيكل يصرخ بصوت عظيم إلى الجالس على السحابة أرسل منجلك واحصد لأنه قد جاءت الساعة لحصاد إذ قد يبس حصيد الأرض).

٨ ــ وورد أن أقواله وأعماله ليست له بل هي لله، وقد ذكر ذلك إنجيل يوحنا ص ١٤ عدد ١٠:

(الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال).

كما ورد في ص ١٤ عدد ٢٤ قوله:

(والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني).

٩ ــ وأن الله هو الذي جعله رئيساً، كما جاء في رسالة بولس إلى أهل أفسس ص ١ عدد ٢٢ قوله:

(وإياه جعل رأساً فوق كل شيء).

١٠ ــ وأن الصانع للعجائب هو الله تعالى، ولكن على يد المسيح، كما ورد في أعمال الرسل ص ٢ عدد ٢٢:

(يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده من وسطكم).

١١ ــ وورد أن الله هو الإله الواحد الذي هو مصدر العمل، وبالمقابلة فإن المسيح هو رب واحد أي سيد واحد هو الواسطة في العمل، وقد ورد ذلك في رسالة بولس إلى كورنثوس ص ٨ عدد ٦:

(لكن لنا إله واحد، الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به).

وخلاصة ما تقدَّم:

أن المسيح ليس بقادر ولا بعالم الغيب إلاَّ ما أطلعه الله عليه، وأن الله هو الذي أعطى له القوة لما فعله من معجزات وأعجوبات، وأن المسيح خاضع لله، لأنه إلهه، وأن الله هو الذي جعله رئيساً، وأن الله أيضاً هو رئيس المسيح، وأنه هو الذي أعطاه الحياة والإدانة، وخاطبه بواسطة ملاك أرسله إليه، وأن الكلام والأعمال التي تصدر منه هي ليست له بل لله الآب، وأن الله الآب هو الصانع للمعجزات والأعجوبات التي جرت على يديه، وأن الله هو الإله، وأما المسيح فهو سيد أو معلم.

وكل هذه الأمور السابقة تنفي دعوى مساواة المسيح لله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(٤)
مبحث (مساواة الابن للآب في العمل)

يؤمن النصارى بأن الابن وهو المسيح مساوٍ للآب وهو الله في العمل ويستندون في ذلك إلى النصوص الآتية:

١ ــ ما ورد بإنجيل يوحنا ص ٥ عدد ١٧ قوله:

(فأجابهم يسوع، أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل).

٢ ــ ثم قال بعد ذلك بما ورد بإنجيل يوحنا ص ٥ عدد ١٩ :

(لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلاَّ ما ينظر الآب يعمل).

٣ ــ ثم قال بعد ذلك:

(لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك).

* **أي أن المسيح صرح في النص الأول** بأنه (ابن الله) وأنه يعمل كأبيه.

* **وصرح في القول الثاني** باستحالة الانفصال بين الأقنومين في الرأي أو في العمل واستحالة استقلال الابن عن الآب إلى الاتحاد الكلي بينهما والمحبة الكاملة.

* **وصرح في القول الثالث** بمساواة الابن للآب في كل أعماله المتنوعة بلا أدنى نقص أو تغيير، وهذا كله يشير أو يرمز إلى لاهوت المسيح على حد قولهم.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن الأعمال التي كان المسيح يعملها لم يعملها باسم نفسه، بل باسم الله، وهو الآب كما هو معبر عنه في الأسفار، إن الله سهل وأجرى بقوته تلك الأعمال على يد المسيح بدليل الآتي:

١ ــ ما ورد بإنجيل يوحنا ص ١٤ عدد ١٠ قول المسيح:

(الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الآب الحالّ فيَّ هو يعمل الأعمال).

٢ ــ ما ورد بإنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٤ قوله:

(أنا مجدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته).

٣ ــ ما ورد بأعمال الرسل ص ٢ عدد ٢٢ بطرس عن المسيح:

(يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات، صنعها الله بيده في وسطكم).

٤ ــ ما ورد بإنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ٢٥ قول المسيح:

(الأعمال التي أنا أعملها باسم أبـي هي تشهد لي).

ونظير هذا القول قول بولس المذكور في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ص ١ عدد ١٠:

(أطلب إليكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع أن تقولوا جميعكم قولاً واحداً، ولا يكون بينكم انشقاقات)..

فبولس كلف لوعظ هؤلاء الإخوة لكن لا باسم نفسه، بل باسم المسيح، فكما لم يلزم من هذه الجملة التي نطق بها بولس أن يكون بولس هو عين المسيح، أو أن المسيح حالّ فيه، فكذلك لا يلزم من قول المسيح: (الأعمال التي أنا أعملها باسم أبـي) أن يكون المسيح هو الله أو أن الله حالّ فيه.

* * *

ثانياً: إن الأسفار اصطلحت كما قدمنا سابقاً مراراً أن تسمي الابن البار ابن الله، والابن الشرير ابن إبليس، وأن الأول يعمل أعمال الله البار ولا يتجاوزها، وأن الثاني يعمل أعمال إبليس الشريرة ولا يتجاوزها، فإذا كان الإنسان الصالح البار سمّي في الأسفار (ابن الله)، لأن الله صالح وبار، فأولاده البررة مجازاً يرثون صفاته ويتخلقون بأخلاقه.

وإن كان الإنسان الشرير سمّي (بابن إبليس)، فلأن إبليس شرير وخاطىء فأولاده الأشرار الخطاة مجازاً يرثون ميوله ويسيرون سيرته.

ولا يستطيع أحد من الاثنين أن يخرج عن أخلاق أبيه، ولا أن يعمل أعمالاً لا يعملها أبوه.

وبنوة الله للأبرار الصالحين وبنوة إبليس للخطاة الأشرار، كان اصطلاحاً شائعاً لدى اليهود، متداول وجودهم لحين ظهور المسيح عليه السلام بينهم، وقد جرى المسيح على هذا الاصطلاح في كلامه المنسوب إليه في أسفار العهد الجديد من الكتاب المقدس، كما جرى عليه تلاميذه طبقاً للأمثلة الآتية والقاعدتين الآتيتين:

(أ) القاعدة الأولى: (البنوّة):

١ ــ ورد في رسالة يوحنا الأولى ص ٧ عدد ٤:

(أيها الأحياء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة من الله وكل من يحب فقد ولد من الله).

٢ ــ ورد برسالة بولس إلى أهل رومية ص ٨ عدد ١٤ :

(لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله).

٣ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٣ عدد ٨ :

(ومن يفعل الخطيئة فهو من إبليس لأن إبليس من البدء يخطىء).

٤ ــ ورد برسالة أعمال الرسل ص ١٣ عدد ١٠ قول بولس في عليم الساحر :

(أيها الممتلىء كل غش وكل خبث يا ابن إبليس).

(ب) القاعدة الثانية، التي تتفرع عن القاعدة الأولى ألا وهي : (قاعدة العمل):

١ ــ ورد في رسالة يوحنا الأولى ص ٣ عدد ٩ :

(كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة، لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطىء لأنه مولود من الله).

٢ ــ ورد في رسالة يوحنا الأولى ص ٥ عدد ١٨ قوله:

(تعلم أن كل من ولد من الله لا يخطىء بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه).

٣ ــ ورد بإنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٤٤ قوله :

(وأنتم من آب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا، ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق).

٤ ــ كما ورد بإنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٣٨ ــ ٤٤ قوله :

(أنا أتكلم بما رأيت عند أبـي وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم، أجابوا وقالوا له: أبونا هو إبراهيم، قال لهم يسوع: لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلَّمكم بالحق الذي سمعه من الله، هذا لم يعمله إبراهيم، أنتم تعملون أعمال أبيكم، فقالوا له: إننا لم نولد من زنى لنا أب واحد وهو الله).

فقال لهم يسوع: (لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني، لأنني خرجت من قبل الله وأتيت، لأني لم آتِ من نفسي، بل ذاك أرسلني، لماذا لا تفهمون كلامي؛ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي، أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا، ذاك كان قتالاً للناس من البدء، ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق).

وخلاصة ما تقدم:

يتفرع مما تقدم الخلاصة الآتية:

الأمر الأول: أن العبد البار الصالح مولود من الله، ومتفرع عنه، وأنه يعمل أعمال الله البارة ولا يقدر أن يعمل إلاَّ ما يعمله الله.

الأمر الثاني: أن العبد الشرير مولود من الشيطان أي إبليس ومتفرع عنه، وأنه يعمل شهوات أبيه الشريرة ولا يقدر أن يعمل إلاَّ ما يعمله إبليس.

وعلى ضوء هذه الخلاصة:

نجد معنى كلام المسيح عليه السلام المشار إليه في بداية هذا الفصل، وهو قوله:

١ ــ قوله: (أبـي يعمل حتى الآن وأنا أعمل) بإنجيل يوحنا ص ٥ عدد ١٧ يعني أن الله البار يعمل أنواع البر والخير والشفاء من ضمنها حتى في يوم السبت، فأنا بحسب بنوتي لله (المجازية) وإرثي أخلاقه البارة أعمل كذلك.

٢ ــ قوله: (لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلاَّ ما ينظر الآب يعمل) بإنجيل يوحنا ص ٥ عدد ١٩ يعني أن ابن الله لا يستطيع أن يفعل شراً، لأن الشر ليس من الله، ولكن ما يصح لله الآب أن يعمله من أنواع الخير والبر فذاك يعمله الابن.

٣ ــ قوله: (لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك) بإنجيل يوحنا ص ٥ عدد ١٩ أيضاً يعني أنه مهما عمل الله الآب من صنوف الإحسان والشفاء والبر والعطف يعمله الابن سواء كان المسيح، أو غيره من الصالحين، أو الأبرار بحكم الوراثة والتخلق بأخلاق الله.

ومن كل ما تقدم يتبيَّن بجلاء أنه ليس في تلك الأقوال المشار إليها ما يدل أي دلالة على أن في المسيح شيئاً من اللاهوت كما تدَّعي النصرانية.

* * *

ثالثاً: أنه ليس في المسيح أي لاهوت بالمرة استناداً إلى صريح أقواله:

فقد ورد في إنجيل يوحنا ص ١٤ عدد ١٢ قول المسيح:

(الحق الحق أقول لكم من يؤمن بـي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها).

فإذا سلمنا جدلاً بأن مساواة المسيح لله كانت بسبب أنه أتى بأعمال الله البارة كان بمقتضى هذا النص الأخير أن من آمن بالمسيح، وعمل أعماله كان مساوياً لله، وكان فيه من اللاهوت كما في المسيح.

ولكن إن عمل أعمالاً أعظم من أعمال المسيح كان أشد مساواة لله، وكان فيه من اللاهوت ما هو أعظم مما في المسيح لأنه عمل أعمالاً أعظم من أعمال المسيح.

إذاً لا بد للخروج من هذا المخرج إلى القول أنه لا مساواة بالمرة بين المسيح وبين الله.

(٥)

مبحث (أزليَّة المسيح وأبديَّته)

يعتقد النصارى أن المسيح كان قبل بدء الكون، وأنه أزلي واجب الوجود ويستندون في ذلك للآتي:

١ ــ ما ورد بإنجيل يوحنا ص ١ عدد ١ قوله:

(في البدء كان الكلمة).

مما يتضمن أزلية المسيح، لأنه في اعتقادهم كان عند بدء الكون وافتتاح العالم، وإذ كان قبل إنشاء الخلق كان غير مخلوق ولا بداءة له، فهو أزلي واجب الوجود.

٢ ــ وقد رمز لذلك سفر الأمثال ص ٨ عدد ١٢ ــ ٣١ مُصَرِّحاً عن المسيح بالحكمة قوله:

(أنا الحكمة أسكن الذكاء، وأجد معرفة التدابير، الرب قناني أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم، منذ الأزل مُسحت منذ البدء منذ أوائل الأرض).

فلم يستطع أن يكون المسيح معلناً للناس أفكار الله، ومقاصده إلَّا بأن كان مقنياً عنده منذ القدم، بحيث يعرف أفكاره منذ الأزل، على حد قولهم.

الـــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

١ ــ إن تفسير عبارة (في البدء كان الكلمة) ببدء الكون، وافتتاح العالم لا أساس له من الصحة، خصوصاً وأن إنجيل يوحنا لم يتضمن تفسيراً لهذه العبارة حينما ذكرت فيه بل سكت على تفسيرها.

والمعنى كما قال مفسرو النصرانية: في البدء أي عند نزول الوحي على أنبياء الناموس كانت البشارة بالكلمة أي البشارة بالمسيح[١].

ومما يؤيد هذا المعنى ما ورد بإنجيل يوحنا ص ٦ عدد ٦٤ قوله عن المسيح: (لأن يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون)، أي أن يسوع علم من بدء خدمته لله أو من بداية نزول الوحي عليه من هم الذين لا يؤمنون.

٢ ــ إن الحكمة الواردة في سفر الأمثال ص ٨ عدد ١٢ ــ ٣١، هي الحكمة الحقيقة، وإن المراد من مسحها تكريسها لله مثلما يراد بمسح الشيء تكريسه[٢]، ولا دليل على حمل لفظ الحكمة على المسيح عليه السلام.

فــصــل مــنــه:

قد يقول قائل النصرانية: إن اعتقادهم بأن المسيح أزلي الوجود وأبديه يستند إلى الأقوال المنسوبة إليه في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ومثلما هو منسوب إليه الآتي:

١ ــ فقد ورد في رؤيا يوحنا اللاهوتي ص ١ عدد ٨، ص ٢١ عدد ٦ القول المنسوب إلى الله:

(١) يرجع في ذلك إلى الباب الرابع في تسمية المسيح كلمة، وإلى الباب الحادي عشر مبحث أزلية المسيح من هذا الكتاب.

(٢) يرجع في ذلك إلى الباب الحادي عشر عن الرمز للأقنوم الثاني.

(أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية).

٢ ــ ونفس التعبير ورد في القول المنسوب للمسيح في نفس رؤيا يوحنا اللاهوتي ص ١ عدد ١١ قوله:

(أنا هو الألف والياء الأول والآخر).

وتكرر عنه في عدد ١٧ أيضاً قوله (أنا هو الأول والآخر).

٣ ــ كما ورد أيضاً نفس التعبير في ص ٢٢ عدد ١٣ من نفس سفر الرؤيا قوله المنسوب للمسيح:

(أنا الألف والياء البداية والنهاية الأول والآخر).

فالألف والياء والكل عبارة عن الأزلية والأبدية، فكما ورد هذا الوصف جميعه لله الآب، جاء وصفاً للمسيح الابن، فيكون معنى ذلك أن المسيح الابن الأزلي أبدي كالله الآب، فليس قبله شيء وليس بعده شيء، وهو دليل واضح في اعتقادهم على لاهوت المسيح.

الـــرد:

ولكن يُرد على ذلك بالآتي:

١ ــ لقد ثبت لدى علماء النصرانية المحققين أن القول المنسوب للمسيح في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ص ١ عدد ١١ إضافة بعض أولئك النساخين الذين كتبوا هذا السفر، ولذلك نرى هذا القول موجوداً في بعض النسخ دون البعض الآخر.

٢ ــ يتبين كل ذلك من الإنجيل ذي الشواهد، كما اعترف به مفسرو سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي من النصارى.

٣ ــ ويبدو أن بعض النساخين القدماء للأسفار أرادوا ألا يتميز الله على المسيح بأي ميزة ما حتى يجعلوها للمسيح أيضاً، ويثبتوها له على حسب عادتهم المألوفة، فكأن هناك منافسة بين الله وبين المسيح، فلما كان هذا الوصف لله في ص ١ عدد ٨، ص ٢١ عدد ٦ جاء أولئك النساخون أو الكتبة للأسفار وزادوها بإضافتها للمسيح في ص ١ عدد ١١.

٤ ــ ما دام أنه ثبت أن تلك العبارة المضافة عن المسيح في ص ١ عدد ١١ هي عبارة مضافة ومزيدة في هذا السفر فلا اعتبار ولا قيمة لها عند أهل الإنصاف والنظر.

٥ ــ وحيث أنه إذا أمكن أن تزاد عبارات في سفر الرؤيا ليست منه كما قدمنا فلا اعتبار لكل العبارات التي من هذا القبيل والحاكية هذا المعنى عن المسيح لاحتمال أن تكون مزيدة كسابقتها المماثلة لها، وهذه العبارات هي الواردة في نفس الرؤيا ص ١ عدد ١٧ ، ص ٢٢ عدد ١٣ .

(٦)
مبحث (المسيح صورة الله)

يعتقد النصارى بأن المسيح هو صورة الله، وأنه الله القدير، ويستندون إلى النصوص الآتية على كونه متجسداً.

١ ــ ما هو وارد في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ص ٤ عدد ٤ قوله:
(إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله).

٢ ــ ما ورد في رسالة بولس إلى أهل فيلبيي ص ٢ عدد ٥، ٦ قوله:
(الذي في المسيح يسوع أيضاً الذي إذ كان في صورة الله).

٣ ــ ما ورد برسالة بولس إلى مؤمني كولوسي ص ١ عدد ١٥ :
(الذي هو صورة غير المنظور بكر كل خليقة).

٤ ــ ما ورد برسالة بولس إلى أهل كولوسي ص ٢ عدد ٩ قوله:
فإن فيه، جَسدياً، يَحلُّ الله بكل مِلئِه.

الــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن القول بكون المسيح (هو صورة الله) معناه أنه هو غير الله سبحانه وتعالى، لأن كون شيء على صورة شيء لا يقتضي أنه هو، بل بالعكس يفيد أنه غيره، فمثلاً صور الآلهة المعبودة من دون الله والمصنوعة من الذهب والنحاس والخشب هي بالقطع ليست

عين الإله المعبود، وبناء على هذا المثال فإن القول بأن المسيح (هو صورة الله) يفيد بلا شك أنه غيره لا عينه.

ثانياً: إن كون المسيح (هو صورة الله) معناه أن الله جعله نائباً عنه في إبلاغ شريعته الأدبية والروحية إلى من أرسل إليهم، والدليل على ذلك قول بولس نفسه في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ص ١١ عدد ٧:

(فإن الرجل لا يتبقى أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده، وأما المرأة فهي مجد الرجل).

فهذا معناه أن الله أناب الرجل عنه في سلطانه على المرأة، ومقتضى هذا السلطان أن لا يغطي رأسه بخلاف المرأة.

ثالثاً: إن الله خلق آدم كما خلق المسيح، فلا مزية للمسيح في هذا المعنى فقد ورد في سفر التكوين ص ١ عدد ٢٦، ٢٧ قوله:

(قال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه).

كما ورد نفس المعنى في سفر التكوين ص ٩ عدد ٩ قوله:

(لأن الله على صورته عمل الإنسان).

فصل منه:

قد يقول قائل النصرانية إن هناك فرقاً عظيماً بين صورة الله في الخليقة القديمة التي منها آدم وبين صورة الله في الخليقة الجديدة التي منها المسيح، فصورة الله في الخليقة الثانية الجديدة التي هي المسيح أجّل من صورة خليقة الله الأولى التي هي آدم بقدر مقدار قيمة وميزة للمسيح عند الله في الخليقة الجديدة.

الـــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

إنه لا ميزة للمسيح على غيره في الخليقة الجديدة، فلقد ورد في أسفار العهد الجديد أن جميع النصارى هم كذلك طبقاً لما يلي:

١ ــ ورد برسالة بولس إلى أهل كولوس ص ٣ عدد ٩، ١٠ قوله:

(لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلقتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه).

أي أن النصارى خلعوا الخليقة القديمة ولبسوا الخليقة الجديدة التي هي حسب صورة الخالق وهو الله.

٢ ــ كما ورد في رسالة بولس إلى أهل أفسس ص ٤ عدد ٢٤ قوله:

(وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق).

وخلاصة ما تقدم:

أنه لا ميزة للمسيح على غيره في هذا المعنى.

(٧)
مبحث (نبوَّة المسيح وبنوَّته)

يؤمن النصارى بأن المسيح ليس نبياً فقط بل هو ابن الله أيضاً، لكونه الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، ويستندون في ذلك إلى النص الثابت في إنجيل متى ص ٢١ عدد ٣٣ ــ ٣٨ قوله:

(كان إنسان رب بيت، غَرَس كرماً وأحاطه بسياج، وحفر فيه معصرة، وبنى برجاً وسلمه إلى كرامين وسافر، ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ ثماره، فأخذ الكرامون عبيده، وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً، ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأول ففعلوا بهم كذلك.

وأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً: يهابون ابني، وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه. . .) إلخ.

ففي هذا النص المنسوب إلى المسيح سمى من أرسل قبله عبيداً، وهم الأنبياء ثم سمّى نفسه ابناً، ذلك لكونه الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس على حد قولهم.

الـــرد:

ويُرد على ذلك بالآتي:

أولاً: إن الأسفار المقدسة قديمها وجديدها أطلقت لفظ (ابن الله) على كثير من الأنبياء ولفظ (أبناء الله) على الشرفاء أو الأقوياء وعلى بني إسرائيل وعلى كل النصارى وعلى كل الأبرار طبقاً للآتي.

١ ــ فلقد سمّى آدم (ابن الله) كما حكاه إنجيل لوقا ص ٣ عدد ٣٨.

٢ ــ كما سمى سليمان (ابن الله) كما ذكره سفر صموئيل الثاني ص ٧ عدد ١٢ ــ ١٤، وكما حكاه سفر الأيام الأول ص ١٧ عدد ١٣.

٣ ــ كما سمى إسرائيل وهو يعقوب (ابن الله) كما حكاه سفر هوشع ص ١١ عدد ١.

٤ ــ ورد إطلاق لفظ (ابن الله) على الشرفاء أو الأقوياء كما حكاه سفر التكوين ص ١ عدد ٢، ٤ ومزمور ٢٩ عدد ١ وسفر أيوب ص ١ عدد ٦.

٥ ــ كما أطلق على جميع بني إسرائيل كما حكاه سفر هوشع ص ١ عدد ١٠ ــ وكما حكاه سفر أشعيا ص ١ عدد ٢:

(إسمعي أيتها السموات وأصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلم: ربيت بنين وأنشأتهم).

كما جاء في سفر أشعيا عن الله ص ٤٣ عدد ٦ قوله:

(أتيت ببنيّ وبناتي من أقصى الأرض).

كما جاء نفس المعنى في سفر أشعيا ص ٤٥ عدد١١ قوله:

(هكذا يقول الرب. . . من جهة بني ومن جهة عمل يدي أو صوتي).

كما جاء في سفر أشعيا ص ٦٣ عدد ٨ قوله عنهم:

(وقد قال حقاً إنهم شعبي بنون لا يخونون).

كما جاء في سفر أرميا ص ١٠ عدد ٢٠ قوله:

(بني خرجوا عني).

وجاء في سفر التثنية ص ٣٢ عدد ١٩ قوله:

(فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته).

٦ ـ وأطلق لفظ ابن الله على جميع النصارى كما حكاه إنجيل لوقا ص ٢٠ عدد ٣٦ قول المسيح:

(إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة).

٧ ـ بل وأطلق لفظ (ابن الله) على كل الأبرار الذين يفعلون مشيئة الله كما حكاه إنجيل متى ص ٥ عدد ٩ عن المسيح قوله:

(طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون).

وفي ص ٥ عدد ٤٥ قول المسيح:

(لكن تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات).

وفي ص ٥ عدد ٤٨ قوله:

(فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات كامل).

وفي رسالة بولس إلى رومية ص ٨ عدد ١٤ قوله:

(لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله).

وفي سفر رؤيا يوحنا ص ٢١ عدد ٧ قوله:

(من يغلب يرث كل شيء وأكون له إلهاً وهو يكون لي ابناً).

وفي رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ص ٦ عدد ٨ قوله:

(وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لي بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء).

ثانياً: إن تسمية المسيح (ابناً) في النص الوارد بإنجيل متى ص ٢١ عدد ٣٣ ـ ٣٨ على فرض أنه يعود على المسيح، ليست علته كما تزعم النصرانية بأن ذلك لكونه هو الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، بل لأن المسيح نفسه ينقل تعليل هذه التسمية عن الله:

(قائلاً: إن اليهودية يهابونه).

أي أرسل هذا الرسول أو النبـي وهو المسيح باسم (ابن) لأجل أن يخاف اليهود منه ويهابوه، فلا يقتلوه، كما قتلوا كثيرين من الأنبياء قبله بل ليحيا بينهم.

أو بمعنى آخر إن صلة إرسال المسيح بهذا الاسم إرادة المحافظة على حياته.

فهل يليق ترك العلة التي ذكرها المسيح عن سبب مجيئه باسم (ابن) وعدم الالتفات إليها ثم الجري وراء علة أخرى ابتكرها البطارقة والكهان...؟ إن العقل والمنطق لا يوافقان على ذلك.

ثالثاً: إن المسيح نفسه والمؤمنين به وأحبابه وأعداؤه اتفقت كلمتهم على (صفة النبوة) إثباتاً له من نفسه، والمؤمنين به وأحبابه أو إنكاراً له من جانب أعدائه طبقاً للآتي:

١ ــ ورد بإنجيل لوقا ص ٢٤ عدد ٢٩ قوله:

(يسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب).

ذلك القول السابق قاله تلميذان من تلاميذ المسيح وهو يمشي معهما دون أن يعرفاه، وذلك بسماع المسيح ولم ينكر عليهما أنهما قصرا في نعمته الذي يجب الإيمان به.

٢ ــ ورد بإنجيل يوحنا ص ٤ عدد ١٩ قول على لسان امرأة السامرية:

(يا سيد أرى أنك نبـي).

٣ ــ ورد بإنجيل؟ ص ٩ عدد ١٧ قول الأعمى:

(قالوا أيضاً للأعمى ماذا تقول أنت عنه من حيث أنه فتح عينيك فقال: إنه نبـي).

٤ ــ وفي رسالة أعمال الرسل ص ٣ عدد ٢٢ حمل بطرس قول موسى الوارد في العهد القديم على المسيح قوله:

(إن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به).

٥ ــ وفي رسالة أعمال الرسل ص ٧ عدد ٣٧ استفانوس قول موسى لبني إسرائيل على المسيح فقال:

(هذا هو موسى الذي قال لبني إسرئيل نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون).

٦ ــ ورد بإنجيل متى ص ٢١ عدد ١١ قول الجموع المؤمنين الذين دخلوا مع المسيح مدينة القدس:

(هذا يسوع النبي من ناصرة الجليل).

٧ ــ ورد بإنجيل يوحنا ص ٦ عدد ١٤ قول الناس الذين رأوا الآية التي صنعها المسيح فآمنوا به:

(إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم).

٨ ــ ورد بإنجيل يوحنا ص ٧ عدد ٢٥ قول بعض أعداء المسيح ونفيهم النبوة عنه:

(إنه لم يقم نبي من الجليل).

٩ ــ جاء بإنجيل لوقا ص ٧ عدد ٣٦ قول الفرِّيسي وهو من أعداء المسيح:

(لو كان هذا نبياً لعلم من هذه المرأة) وهي امرأة خاطئة جاءت بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحها بشعر رأسها.

١٠ ــ جاء بإنجيل لوقا ص ١٣ عدد ٥٧ إقرار المسيح لنفسه بالنبوة فقط، عندما رأى أهل الناصرة يعثرون به:

(ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته).

١١ ــ وورد بإنجيل لوقا ص ١٣ عدد ٣٣ قول المسيح وهو يعرض بنفسه:

(لا يمكن أن يهلك نبي خارجاً عن أورشليم).

وخلاصة ما تقدَّم:

إنه إذا كان المؤمنون بالمسيح وأعدائه، والمسيح نفسه كان كلامهم لا يتعدى نبوة المسيح إثباتاً ونفياً، فهل يجوز لأحد بعد ذلك أن يرفض تلك الأقوال جميعها في صراحتها إلى القول بأنه إله أو ثلث إله. . . ؟ حاشا لكل عاقل من هذا القول المحال.

رابعاً: إن المسيح نفسه قال عن نفسه مراراً بأنه: «رسول من الله».

كما يتبين ذلك من النصوص التالية التي تتضمن أكثر الكلمات المشتقة من الإرسال والرسالة طبقاً للآتي وهي على سبيل المثال:

١ ــ ورد بإنجيل لوقا ص ٤ عدد ٤٣ قوله عن المسيح:

(إنه ينبغي لي أن أبشر المدن الأخر أيضاً بملكوت الله لأني لهذا قد أرسلت).

٢ ــ وجاء بإنجيل متى ص ١٥ عدد ٢٤ قوله:

(لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرئيل الضالة).

٣ ــ وجاء في إنجيل يوحنا ص ٩ عدد ٤ قوله:

(ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني).

٤ ــ وجاء في إنجيل يوحنا ص ١٢ عدد ٤٤، ٥٤ قوله:

(الذي يؤمن بـي ليس بمؤمن بـي بل بالذي أرسلني، والذي يراني، يرى الذي أرسلني).

٥ ــ وجاء في إنجيل يوحنا ص ١٢ عدد ٤٩ قوله:

(لأني لم أتكلم من نفسي، لكن الآب الذي أرسلني، هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم).

٦ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٣ قوله:

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته).

٧ ــ وجاء في إنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ١٨ قوله قبل رفعه:

(كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم).

٨ ــ وذكر إنجيل يوحنا ص ٢٠ عدد ٢١ قوله بعد رفعه:

(كما أرسلني الآب أرسلكم).

٩ ــ وذكر في إنجيل يوحنا قوله في ص ١٧ عدد ٢٥:

(أيها الآب البار، إن العالم لم يعرفك أما أنا فعرفتك، وهؤلاء عرفوا أنك أرسلتني).

١٠ ــ وجاء في إنجيل متى ص ١٠ عدد ٤٠ قوله:

(من يقبلكم يقبلني، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني).

١١ ــ وجاء في إنجيل لوقا ص ١٠ عدد ١٥ قوله:

(والذي يرذلكم يرذلني، والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني).

١٢ ــ وجاء في إنجيل يوحنا ص ٤ عدد ٣٤ قوله:

(طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني).

١٣ ــ وجاء في إنجيل يوحنا ص ٥ عدد ٢٣ قوله:

(من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله).

١٤ ــ وجاء في إنجيل يوحنا ص ٥ عدد ٢٤ قوله:

(من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية).

١٥ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ٧ عدد ١٧ ــ ١٨ قوله:

(تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني، إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله، أم أتكلم أنا من نفسي، من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه، وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم).

١٦ ــ ورد في إنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٢٦ قوله:

(لكن الذي أرسلني هو حق، وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم).

١٧ ــ وجاء في إنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٢٩ قوله:

(والذي أرسلني هو معي).

١٨ ــ وجاء في إنجيل يوحنا ص ١١ عدد ٤١ ــ ٤٣ قوله في قصة لعازر التي تتضمن أن المسيح قد أحياه من الموت:

(أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي، وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي،

ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني، ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هَلُمَّ خارجاً . . . إلخ).

ما جاء في تلك القصة:

١٩ ـ وجاء في إنجيل يوحنا ص ٥ عدد ٣٦ ـ ٣٧ قوله:

(لأن الأعمال التي أعطاني الرب لأكملها هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها، هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني).

خامساً: إن يوحنا المعمدان قرر كما جاء في إنجيل يوحنا ص ٣ عدد ٣٤ بأن المسيح (رسول)، (لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله).

سادساً: إن المؤمنين بالمسيح يصفونه بأنه (معلم) واقتصروا على هذا الوصف، وقد أقر المسيح لهم بذلك طبقاً للآتي وهذا على سبيل المثال:

١ ـ فقد جاء في إنجيل لوقا ص ٩ عدد ٣٨ عن رجل قال:

(يا معلِّم إليك انظر إلى ابني فإنه وحيد لي).

٢ ـ وجاء في إنجيل لوقا ص ١٢ عدد ١٣ قول رجل آخر له:

(يا معلم قل لأخي أن يقاسمني الميراث).

٣ ـ وجاء في إنجيل لوقا ص ١٧ عدد ١٣ قول عشرة رجال برص للمسيح:

(يا يسوع يا معلم ارحمنا).

٤ ـ وجاء في إنجيل يوحنا ص ١ عدد ٣٨ قوله عن المسيح:

(فالتفت يسوع ونظرهما يتبعانه فقال لهما: ماذا تطلبان؟ فقالا: ربي الذي تفسيره يا معلم أين تمكث).

٥ ـ وجاء في إنجيل يوحنا ص ٤ عدد ٣١ قول تلاميذه له:

(يا معلم: كل).

٦ ـ وفي إنجيل يوحنا ص ٦ عدد ٢٥ قال له تلاميذه عندما وجدوه في عبر البحر:

(يا معلم متى صرت هنا).

٧ ــ كما جاء في إنجيل يوحنا ص ١١ عدد ٨ قول التلاميذ له:
(يا معلم الآن كل اليهود يطلبون أن يرجموك).

٨ ــ وفي إنجيل يوحنا ص ٩ عدد ٢ سؤال التلاميذ له عن شخص أعمى قولهم:
(يا معلم من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى).

٩ ــ وفي إنجيل يوحنا ص ١١ عدد ٢٨ قول مرتا لأختها مريم عن المسيح:
(المعلِّم قد حضر وهو يدعوك).

١٠ ــ وجاء قول المسيح في إنجيل يوحنا ص ١٣ عدد ١٣، ١٤:
(أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك، فإن كنت أنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض).

١١ ــ وجاء في إنجيل متى ص ٢٣ عدد ١٠ قول المسيح:
(ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح).

١٢ ــ كما جاء في إنجيل متى ص ١٩ عدد ١٦ قول أحد الأشخاص له:
(وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لكي تكون لي الحياة الأبدية).

١٣ ــ ورد في إنجيل متى ص ٢٦ عدد ١٨ قوله عن نفسه لتلاميذه:
(فقال اذهبوا إلى المدينة إلى فلان وقولوا له **المعلم** يقول أن وقتي قريب).

١٤ ــ وفي إنجيل مرقص ص ٩ عدد ٣٨ قول يوحنا له:
(فأجابه يوحنا قائلاً **يا معلم** رأينا واحداً يخرج شياطين باسمك وهو ليس يتبعنا).

١٥ ــ كما جاء في إنجيل مرقص ص ١٠ عدد ٣٥ قول يعقوب ويوحنا ابنَي زبدي:
(وتقدم إليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدي قائلين **يا معلم** نريد أن تفعل لنا كل ما طلبناه).

١٦ ــ وفي إنجيل لوقا ص ٥ عدد ٥ قول سمعان للمسيح:
(فأجاب سمعان وقال له: **يا معلم** قد تعبنا الليل كله).

١٧ ــ كما جاء في إنجيل لوقا ص ٨ عدد ٢٤ قول التلاميذ له:

(فتقدموا وأيقظوه قائلين يا معلم إننا نهلك).

١٨ ــ كما ورد في إنجيل لوقا أيضاً ص ٨ عدد ٤٥ قول بطرس له:

(قال بطرس والذين معه يا معلم الجموع يضيقون عليك ويزحمونك).

١٩ ــ وذكر أيضاً إنجيل لوقا في ص ٩ عدد ٣٣ قول بطرس له:

(وفيما هما يفارقانه قال بطرس ليسوع يا معلم جيد أن تكون ههنا).

سابعاً: إن الأناجيل المتداولة بين النصرانية وقد أطلقت على المسيح أنه إنسان وابن إنسان أكثر من سبعين مرة[1]، وأذكر منها على سبيل المثال: الآتي:

١ ــ جاء في إنجيل يوحنا ص ٨ عدد٤٠ قول المسيح لليهود:

(ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله).

٢ ــ وجاء في إنجيل لوقا ص ٢٣ عدد ٤٧ قول قائد المائة في حق المسيح:

(فلما رأى قائد المائة ما كان مجد الله قائلاً بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً).

٣ ــ كما ذكر إنجيل لوقا ص ٦ عدد ٢٢ قول المسيح لتلاميذه:

(طوباكم إذا أبغضكم الناس، وإذا أفرزوكم وعبروكم وأخرجوا اسمكم كشرير من أجل ابن الإنسان). ويعني نفسه.

٤ ــ كما جاء في إنجيل مرقص ص ١٤ عدد ٦٢ قول المسيح:

(فقال يسوع أنا هو، وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء).

٥ ــ وجاء في إنجيل متى ص ١٩ عدد ٢٨ قول المسيح لتلاميذه:

(فقال لهم يسوع الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر).

---

(١) يرجع في ذلك إلى قاموس الكتاب المقدس، للدكتور جورج بوست.

٦ ــ وذكر إنجيل متى ص ١١ عدد ١٩ قول المسيح:

(جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون هوذا إنسان أكول وشريب خمر).

٧ ــ وجاء في إنجيل لوقا ص ٢٢ عدد ٤٨ قول المسيح ليهوذا الذي سلمه:

(فقال له يسوع يا يهوذا أبقبلة تُسلِّم ابن الإنسان).

٨ ــ وفي إنجيل لوقا ص ١٧ عدد ٣٠ قوله:

(هكذا يكون في اليوم الذي فيه يظهر ابن الإنسان).

٩ ــ وجاء في إنجيل يوحنا ص ٦ عدد ٢٧ قول المسيح:

(اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان).

١٠ ــ وجاء في إنجيل متى ص ١٢ عدد ٣٢ قوله:

(ومن قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له).

١١ ــ وفي إنجيل مرقص ص ٩ عدد ١٢ قوله:

(وكيف هو مكتوب عن ابن الإنسان أن يتألم كثيراً ويزول).

١٢ ــ وفي إنجيل لوقا ص ٢١ عدد ٢٧ قوله:

(وحينئذٍ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحابة بقوة ومجد كثير).

١٣ ــ وفي إنجيل متى ص ١٣ عدد ٣٧ ورد قوله:

(فأجاب وقال لهم الزارع الزرع الجيد هو ابن الإنسان).

١٤ ــ وفي إنجيل لوقا ص ١٧ عدد ٢٢ ورد قوله:

(وقال للتلاميذ ستأتي أيام فيها تشتهون أن تروا يوماً واحداً من أيام ابن الإنسان ولا ترون).

١٥ ــ ورد في إنجيل لوقا ص ٩ عدد ٥٦ قول المسيح:

(لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص).

ثامناً: إن اسم المسيح في اللغة السريانية والكلدانية يعني (بارانوش) أي ابن الإنسان)[١].

---

(١) يرجع في ذلك إلى كتاب شرح الأسفار الخمسة للأستاذ إبراهيم الحوراني.

(٨)

مبحث (هل الله يكون إنساناً؟)

إن الله لا يكون إنساناً مطلقاً لأن صفة الألوهية يستحيل عليها أن تجتمع في إنسان مطلقاً، وهذا بصريح الأسفار المقدسة طبقاً للآتي:

١ ــ ورد بسفر هوشع ص ١١ عدد ٩ قوله عن الله:

(لأني الله لا إنسان).

٢ ــ ورد بسفر أيوب ص ٩ عدد ٣٢ قوله عن الله:

(لأنه ليس هو إنساناً مثلي فأجاوبه فنأتي جميعاً إلى المحاكمة).

٣ ــ وجاء في سفر صموئيل الأول ص ١٥ عدد ٢٩ قوله عن الله:

(لأنه ليس إنساناً ليندم).

٤ ــ وجاء في سفر العدد ص ٢٣ عدد ١٩ قوله:

(ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن إنسان فيندم).

٥ ــ وجاء في إنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ٣٣ قوله عن اليهود والمسيح:

(أجابه اليهود قائلين لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلٰهاً).

فصحح لهم المسيح فهمهم السقيم كما سبق، ذكرناه فيما سبق[١].

٦ ــ وجاء في سفر الخروج ص ٢٣ عدد ٢٠ قول الله لموسى:

(وقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش).

• • •

(١) انظر ثانياً في الفصل الثاني مبحث هل هناك مساواة بين الابن والآب في الجوهر من الباب الثاني عشر وهو هذا الباب الذي نحن بصدده.

الباب الرابع عشر

فــي

دعوة التوحيد في الكتاب المقدَّس

كما جـاء في العهـدين

القديم والجديد: (التوراة والإنجيل)

ويشتمل على المباحث الآتية:

(١) دعوة التوحيد في التوراة والأسفار الملحقة بها.

(٢) دعوة التوحيد في الأناجيل والرسائل الملحقة بها.

(٣) إن المسيح لم يَدْعُ لعبادة نفسه.

(٤) اختصاص الله بالألوهية واقتصارها عليه وحده، وأن المسيح رسول ووسيط فقط.

(١)

مبحث(دعوة التوحيد في التوراة والأسفار الملحقة بها)

أدلة الوحدانية وبراهين الأحدية كثيرة جداً في التوراة والأسفار الملحقة بها، ولنأت على بعض منها على سبيل المثال لا الحصر.

١ ــ جاء في سفر التكوين ص ١ عدد ١:

(في البدء خلق الله السموات والأرض).

٢ ــ وجاء في سفر الخروج ص ٢٠ عدد ٣ ــ ٥ قوله:

(لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تجسد لهن ولا تعبدهن، لأني أنا الرب إلّهك إلّه غيور افتقد ذنوب الآباء في الأبناء).

٣ ــ وجاء هذا المعنى أيضاً في سفر التثنية ص ٥ عدد ٧ ــ ٩.

٤ ــ ورد في سفر التثنية ص ٦ عدد ٤ ــ ٥ قوله:

(اسمع يا إسرائيل الرب إلّهنا رب واحد، فتحب الرب إلّهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك).

٥ ــ وجاء أيضاً في سفر التثنية ص ٦ عدد ١٣ ــ ١٥ قوله:

(الرب إلّهك تتقي وإياه تعبد وباسمه تحلف، لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم، لأن الرب إلّهكم إلّه غيور في وسطكم، لئلا يَحْمي غضب الرب إلّهكم عليكم فيبديكم عن وجه الأرض).

٦ ــ وورد في سفر التثنية ص ١٠ عدد ١٧ قوله:

(لأن الرب إلّهكم هو إلّه الآلهة ورب الأرباب الإلّه العظيم الجبار المهيب الذي لا يأخذ بالوجوه ولا يقبل رشوة).

٧ ــ ورد في سفر التثنية ص ١١ عدد ١٦ ــ ١٧ قوله:

(فاحترزوا من أن تنخدع قلوبكم فتزيفوا وتعبدوا آلهة أخرى، وتسجدوا لها فيحمى غضب الرب عليكم).

٨ ــ وجاء في سفر التثنية ص ٤ عدد ٣٩ قوله:

(فاعلم اليوم وردد في قلبك أن الرب هو الإلّه في السماء فوق، وعلى الأرض من أسفل، ليس سواه).

٩ ــ ورد في سفر التثنية ص ١٣ عدد ١ ــ ٥قوله:

(إذا قام في وسطك نبـي أو حالم حلماً، وأعطاك آية أو أعجوبة، ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلاً: لتذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها، وتعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبي، أو الحالم لأن الرب إلّهكم يمتحنكم، لكي يعلم هل تحبون الرب إلّهكم من كل قلوبكم، ومن كل أنفسكم، ووراء الرب إلّهكم تسيرون وإياه تتقون، ووصاياه تحفظون وصوته تسمعون وإياه تعبدون وبه تلتصقون، وذلك النبـي أو الحالم ذلك الحلم يقتل لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلّهكم الذي أخرجكم من أرض مصر وفداكم من بيت العبودية، لكي يطوحكم عن الطريق التي أمركم الرب إلّهكم أن تسلكوا فيها فتنتزعون الشر من بينكم).

١٠ ــ جاء في سفر أشعيا ص ٤٤ عدد ٦ قوله عن الله:

(أنا الأول وأنا الآخر ولا إلّه غيري).

١١ ــ وجاء في سفر أشعيا ص ٤٥ عدد ٥ ــ ٧ قوله:

(أنا الرب وليس من آخر، لا إلّه سواي، نطقتك بزنّار وأنت لم تعرفني، لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أنه ليس غيري، أنا الرب وليس من ربٍ آخر مبدع النور وخالق الظلمة، صانع السلام، وخالق الشر، أنا الرب صانع كل هذه).

١٢ ــ وجاء في سفر أشعيا ص ٤٥ عدد ٢١ ــ ٢٢ قوله:

(أليس أنا الرب ولا إلّه آخر غيري إلّه بارّ ومخلص ليس سواي، التفتوا إليّ وأخلصوا يا جميع أقاصي الأرض لأني أنا الله وليس آخر).

١٣ ــ وجاء في سفر الملوك الثاني ص ١٩ عدد ١٥ قول حزقيا:

(وصلّى حزقيا أمام الرب وقال: أيها الرب إلّه إسرائيل الجالس فوق الكروبين، أنت هو الإله، وحدك لكل ممالك الأرض، أنت صنعت السماء والأرض).

١٤ ــ وجاء في سفر أيوب ص ٩ عدد ٨ قوله:

(الباسط السموات وحده).

١٥ ــ وجاء في سفر صموئيل الثاني ص ٧ عدد ٢٢ قوله:

(لذلك قد عظمت أيها الرب الإلّه لأنه ليس مثلك وليس الله غيرك).

١٦ ــ ورد في سفر صموئيل الثاني أيضاً ص ٢٢ عدد ٣٢ قوله:

(لأنه من هو إلّه غير الرب ومن هو صخرة غير إلّهنا).

١٧ ــ وجاء في سفر أخبار الأيام الأول ص ١٧ عدد ٢٠ قوله:

(يا رب ليس مثلك ولا إلّه غيرك حسب كل ما سمعناه بآذاننا).

١٨ ــ وجاء في سفر أرميا ص ٤٩ عدد ١٩ قوله:

(لأنه من مثلي ومن يحاكمني ومن هو الراعي الذي يقف أمامي).

١٩ ــ وجاء في سفر ملاخي ص ٢ عدد ١٠ قوله:

(أليس أب واحد لكلنا، أليس إلّه واحد خلقنا).

٢٠ ــ وجاء في سفر ميخا ص ٧ عدد ١٨ قوله:

(من هو إلّه مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب).

٢١ ــ وجاء في سفر هوشع ص ١٣ عدد ٤ قوله:

(وإلّهاً سواي لست تعرف ولا مخلِّص غيري).

٢٢ ــ وجاء في مزمور ٧٢ عدد ١٨ قوله:

(مبارك الرب الله إلّه إسرائيل الصانع العجائب وحده).

٢٣ ــ وجاء في مزمور ٨٦ عدد ١٠ قوله:

(لأنك عظيم أنت وصانع عجائب، أنت الله وحدك).

٢٤ ــ وجاء في مزمور ١٤٨ عدد ١٣ قوله:

(ليسبحوا اسم الرب لأنه قد تعالى اسمه وحده).

٢٥ ــ وجاء في مزمور ٨٣ عدد ١٨ قوله:

(ويعلموا أنك اسمك يهوه وحدك العلي على كل الأرض).

٢٦ ــ ورد في مزمور ١١٣ عدد ٥، ٦ قوله:

(من مثل الرب إلّهنا الساكن في الأعالي الناظر الأسافل في السموات وفي الأرض).

٢٧ ــ وفي مزمور ١٨ عدد ٣١ ورد قوله:

(لأنه من هو إلّه غير الرب، ومن هو صخرة سوى إلّهنا).

(٢)

مبحث (ما جاء في الأناجيل والرسائل الملحقة بها)

أدلة الوحدانية وبراهين التوحيد للإلّه الواحد الفرد الأحد كثيرة في الأناجيل المتداولة والرسائل الملحقة بها، ولنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الآتي:

١ ــ جاء في إنجيل متى ص ١٩ عدد ١٦، ١٧ عن شخص تقدم للمسيح يسأله:

(وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية..؟ فقال له لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلَّا واحد ــ وهو الله).

وقد تكرر هذا المعنى في إنجيل مرقص ص ١٠ عدد ١٧، ١٨ ــ وفي إنجيل لوقا ص ١٨ عدد ١٨، ١٩.

٢ ــ جاء في إنجيل مرقص ص ١٢ عدد ٢٨ ــ ٣٢ قوله:

(فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً، سأله أية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي أسمع يا إسرائيل الرب إلّهنا رب واحد، وتحب الرب إلّهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل

قدرتك، هذه هي الوصية الأولى ــ وثانية مثلها هي: تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين، فقال له الكاتب جيداً يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد ليس آخر سواه).

٣ ــ وجاء في إنجيل لوقا ص ٤ عدد ٨ قوله:
(فأجابه يسوع وقال: اذهب يا شيطان إنه مكتوب للرب إلّهك تسجد وإياه وحده تعبد).

٤ ــ وجاء في إنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٣ قوله عن المسيح:
(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإلّه الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته).

٥ ــ وجاء في إنجيل متى ص ٢٣ عدد ٨ ــ ٩ قول المسيح وهو يعلم تلاميذه الوحدانية لله ويفهمهم مركزه بالضبط وهو الرسالة والتعليم:
(وأما أنتم فلا تدعوا سيدي لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعاً إخوة، ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات، ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح).

٦ ــ ورد في رسالة يعقوب ص ٢ عدد ١٩ قوله:
(أنت تؤمن أن الله واحد حسناً تفعل).

٧ ــ وجاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ص ٨ عدد ٦ قوله:
(لكن لنا إلّه واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به[١].

٨ ــ وقال بولس في رسالته إلى تيموثاوس ص ٦ عدد ١٥ ــ ١٦ قوله:
(الذي سيبيّنه في أوقاته المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك، ورب الأرباب الذي وحده له عدم الموت، ساكناً في نور لا يُدْنى منه، الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية. آمين).

---

(١) يلاحظ هنا أنه عبَّر بالألوهية للإلّه الآب الواحد وعبَّر عن المسيح بالرب الواحد ويعني كما قدمنا المعلم أو السيد.

٩ ــ وقال بولس في رسالته إلى أهل أفسس ص ٤ عدد ٦:

(إلّه وآب واحد لكل الذي على الكل وبالكل في كلكم).

١٠ ــ وقال بولس في رسالته إلى تيموثاوس ص ١ عدد ١٧:

(وملك الدهور الذي لا يغنىٰ ولا يرى الإلّه الحكيم وحده له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور. آمين).

(٣)
مبحث (أن المسيح لم يدع لعبادة نفسه)

١ ــ إن المسيح كما يحكي عنه العهد الجديد لم يدع لعبادة نفسه، ولو كان قد دعا لعبادة نفسه لاستحق القتل بموجب الأحكام الواردة في سفر التثنية ص ١٣ عدد ١ ــ ٥ ونصه:

(إذا قام وسطك نبـي أو حالم حلماً، وأعطاك آية أو أعجوبة، ولو حدثت الآية، أو الأعجوبة التي أسمعك عنها قائلاً: لتذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها، وتعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبـي، أو الحالم ذلك الحلم، لأن الرب إلّهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب إلّهكم ساكن قلوبكم ومن كل أنفسكم، وراء الرب إلّهكم تسهرون، وإياه تتقون، ووصاياه تحفظون، وصوته تسمعون، وإياه تعبدون، وبه تلتصقون، وذلك النبـي أو الحالم ذلك الحلم يُقْتَل لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلّهكم الذي أخرجكم من أرض مصر، وفداكم من بيت العبودية لكي يطوحكم عن الطريق التي أمركم الرب إلّهكم أن تسلكوا فيها فتنزعون الشر من بينكم).

٢ ــ وإذا قال قائل النصرانية: إن المسيح قتله اليهود فعلاً لهذا السبب لأنه دعا لعبادة نفسه إذ دعا نفسه إلّهاً، كان واجباً على المسيح قبول ذلك القتل برضا، لأنه كما حكاه عنه إنجيل متى ص ٥ عدد ١٧ قال:

(لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل).

فهو داخل تحت حكم شريعة التوراة، لكن الملاحظ أن المسيح لم يمتثل، ولم يقبل بانشراح نفس أو برضا.

(أ) بل إنه اندهش واكتأب وقال لهم: إن نفسه حزينة جداً حتى الموت، وكان يصلي لكي تعبر عنه تلك الكأس.

كما حكاه عنه مرقس في إنجيله ص ١٤ عدد ٣٣ ـ ٣٦.

(ب) (كما ظهر له الملاك من السماء يقويه، وإذا كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض).

وهذا ما حكاه عنه أيضاً إنجيل لوقا ص ٢٢ عدد ٤٣.

(ج) كما صرخ يسوع بصوت عظيم كما حكاه عنه إنجيل متى ص ٢٧ عدد ٤٦ بقوله:

(ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لماذا شبقتني، أي إلّهي إلّهي لماذا تركتني).

وتكرر ذلك في إنجيل مرقس ص ١٥ عدد ٣٣.

فكل ما سبق ذكره ينافي استسلام المسيح لحكم القتل الذي كان واجباً عليه قبوله بارتياح حسب حكم شريعة سفر التثنية السابق الإشارة إليه، إن كان قد دعا لعبادة نفسه حقيقةً.

٣ ـ وقد يقول قائل النصرانية: إن المسيح كان نبياً لكنه أعطى من المعجزات والآيات ما برهن على الدعوة الألوهية لنفسه، لكن يرد على ذلك بأن ما جاء في سفر التثنية يتضمن أن أي نبـي أتى وأقام البراهين، وجاء بالمعجزات ثم دعا لعبادة آلهة أخرى لم يعرفها اليهود ولم يعبدوها وجب قتلها، ولا شك أن المسيح كان غير معروف عند اليهود إلّهاً، ولم يكونوا يعبدونه منذ جاء موسى عليه السلام.

لذلك كان طبقاً لما جاء بحكم سفر التثنية مستحلاً للقتل، وكان هذا واجباً على اليهود بحكم شريعتهم وقد فعلوه.

وكان ترك الله إياه في محله: (إن كان قد دعا المسيح لعبادة نفسه) دون اندهاش من المسيح أو استغراب له بقوله: إلّهي إلّهي لماذا تركتني، لأنه يعرف السبب الحقيقي لهذا الترك، وهو استحقاقه للقتل بموجب شريعة سفر التثنية.

لكن حال المسيح الذي تحكيه تلك الأناجيل، كان غير ذلك، مما ينقض دعوى النصرانية بأن المسيح كان يدعو لعبادة نفسه.

(٤)

مبحث (اختصاص الله بالألوهية واقتصارها عليه وحده، وأن المسيح رسول ووسيط فقط

لقد أقر المسيح نفسه باختصاص الله وحده فقط بالألوهية، وأنه نبـي ورسول منه، ووسيط بين الله والناس باعترافه واعتراف بولس صاحب مجموعة الرسائل الغالبة الملحقة بالأناجيل طبقاً للآتي:

١ ــ ورد بإنجيل متى ص ٢٧ عدد ٤٦ قول المسيح:

(إلّهي إلّهي ــ لماذا تركتني).

٢ ــ وجاء في إنجيل يوحنا ص ٢٧ عدد ٤٦ قول المسيح لمريم:

(ولكن اذهبـي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبـي وأبيكم وإلّهي وإلّهكم).

٣ ــ جاء في رسالة بولس إلى أهل أفسس ص ١ عدد ١٧ قوله عن الله والمسيح:

(لكي يعطيكم إلّه ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته).

٤ ــ وجاء في إنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٣ قول المسيح عن الله وحصر الألوهية الحقيقية في الله سبحانه وتعالى وبين أنه هو مسيح ورسول مرسل من الله فقط:

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإلّه الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته).

٥ ــ ورد في رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ص ٢ عدد ٥ قوله:

(لأنه يوجد إلّه واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح).

فهنا يذكر بولس أن الإلّه واحد.

وأما يسوع المسيح فهو إنسان ووسيط بين الله والناس أي رسول.

• • •

الباب الخامس عشر

في

التوحيد دين الله من الأزل

(١) التوحيد في الإسلام.

(٢) التوحيد أصل الديانات السابقة جميعها.

(١)
مبحث (التوحيد في الإسلام)

التوحيد هو القاعدة الأولى في صرح الإسلام، وهو ركن الأركان في بنائه الشامخ.. فلقد بيَّن النبي ﷺ أن الدعائم التي يقوم عليها بناء الإسلام خمس وهي:

١ ـ شهادة أن لا إلَه إلاَّ الله، وأن محمداً رسول الله.

٢ ـ وإقام الصلاة.

٣ ـ وإيتاء الزكاة.

٤ ـ وصوم رمضان.

٥ ـ وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

وتعني كلمة لا إلَه إلاَّ الله أنه لا معبود بحق إلاَّ الله، لأن العبادة وهي غاية الخضوع والخشوع مع الرجاء في الثواب والخوف من العقاب، يجب أن تكون خالصة لله لا يُشرك فيها غيره.

وهو جلّ شأنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، فهو الحقيق بالثناء والحمد، والشكر، لأن كل ما في الوجود من خير وجمال مردُّه إليه، وهو مالك الملك المعز المذل، وهو الخالق، خلق كل شيء في السماء والأرض وما بينهما، وهو واجب الوجود وكل موجود يدين بوجوده، له جل شأنه:

﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1].

ولا تخضع القلوب وتتجه إلى شيء سواه، فهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي:

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾[1].

لهذا كان إخلاص العبادة لله، هو المنطق الطبيعي، والنتيجة الطبيعية للشعور بما يليق بعظمته كما يفهم من قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وٱلإِنْسَ إلاَّ ليعبدون، ما أُريدُ منهم من رِزْقٍ، وما أُريدُ أنْ يُطْعِمُون، إن اللَّهَ هو الرزَّاق ذُو القُوَّةِ ٱلْمَتِين﴾[2].

وإخلاص العبادة لله دون شريك، تعبر عنه كلمة التوحيد لا إلّه إلاَّ الله، فليس في الوجود معبود بحق غيره، فكل ما سواه مخلوق له محتاج إليه:

﴿يا أيها الناسُ أنتمُ الفقراءُ إلى اللَّهِ واللَّهُ هو الغنيُّ الحميد، إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جديد، وما ذلك على اللَّهِ بِعَزيز﴾[3].

وكلمة التوحيد لا إلّه إلاَّ الله، عند جمهور المفسرين، هي الكلمة الطيبة التي شبَّهها الله بشجرة طيبة حيث قال:

﴿ألم ترَ كيف ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السَّماء، تؤتي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذنِ رَبِّها، ويضربُ اللَّهُ الأمثالَ للناسِ لعلهم يتذكَّرون﴾[4].

أما كلمة الشرك أو الكفر أو الباطل فقد شبهها الله بشجرة خبيثة حيث قال:

﴿وَمَثَلُ كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ ٱجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأرضِ ما لها مِنْ قرار﴾[5].

وعن تلك الكلمة الطيبة كلمة التوحيد يقول النبـي ﷺ لأحد أصحابه:

«أفلا أخبرك بعمل أصله في الأرض وفرعه في السماء..؟ قال: ما هو يا رسول الله؟ قال: تقول لا إلّه إلاَّ الله والله أكبر والحمد لله عشر مرات في دبر كل صلاة، وذلك أصله في الأرض وفرعه في السماء».

---

(١) سورة الإخلاص: الآيتان ٣، ٤.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٣) سورة فاطر: الآيات ١٥ ــ ١٧.

(٤) سورة إبراهيم: الآيات ٢٤، ٢٥.

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٢٦.

والمتأمل لمعاني الله أكبر والحمد لله يجدها جميعها تلتقي في معنى كلمة التوحيد لا إلّه إلاَّ الله، فإن الإيمان بالله أكبر، وبأنه المستحق لكل حمد، وبأنه المنزَّه عن كل نقص، يقتضي ألاَّ يُعبد غيره سبحانه وتعالى. ومن سور القرآن التي تنتهي إلى معنىٰ كلمة التوحيد لا إلّـه إلاَّ الله سورة الفاتحة وسورة الإخلاص. منها أن القرآن الكريم بكل ما اشتمل عليه من معان لا يسعها بيان إنسان، يقوم على معنى كلمة التوحيد، ويفهم ذلك من قوله تعالى:

﴿كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لدُنْ حكيمٍ خبير، ألاَّ تعبدوا إلاَّ اللَّهَ، إنني لكم منه نذيرٌ وبشير﴾[1].

فَسِرُّ القرآن إذاً في كلمة التوحيد لا إلّه إلاَّ الله.

وكلمة التوحيد لا إلّه إلاَّ الله هي طابع الإسلام، وشعاره، فالإسلام هو دين التوحيد، والتوحيد هو أن تسلم لله قلبك، وإذا أسلم القلب أسلمت الجوارح، فهو إسلام الكيان الإنساني كله لله.

وكلمة التوحيد قالها كل نبـي لقومه منذ بداية رسالات السماء، ووجود ذرية آدم على ظهر الأرض إلى أن أكمل الله دينه، وأتمَّ نعمته على الناس جميعاً برسالة خاتم الأنبياء محمد ﷺ، قال تعالى في سورة الأنبياء:

﴿وما أرسلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلاَّ نُوحِي إليه أنهُ لا إلّه إلاَّ أنا فاْعْبُدُون﴾[2].

١ ــ فهي أساس دعوة نوح عليه السلام قال تعالى في سورة هود:

﴿ولقد أرسلْنَا نُوحاً إلى قومِهِ إنِّي لكمْ نذيرٌ مبين، أنْ لا تعبُدُوا إلاَّ اللَّهَ إني أخافُ عليكم عذابَ يومٍ أليم﴾[3].

٢ ــ وهي دعوة هود عليه السلام إلى قومه كما يفهم من قوله سبحانه في سورة هود:

---

(١) سورة هود: الآيتان ١، ٢.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٣) سورة هود: الآيتان ٢٥، ٢٦.

﴿وإلى عادٍ أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا اللَّهَ ما لكم من إلَهٍ غيرُهُ، إن أنتم إلاَّ مُفترون﴾[1].

٣ ـ وهي دعوة صالح عليه السلام إلى قومه كما يُفهم من قوله جلَّ شأنه في سورة هود أيضاً:

﴿وإلى ثمودَ أخاهم صالحاً قال يا قومِ اعبدوا اللَّهَ ما لَكُمْ من إلَهٍ غيرُهُ هو أَنْشَأَكُمْ من الأرض، واستعمَرَكُمْ فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إنَّ ربـي قريبٌ مجيب﴾[2].

٤ ـ وهي دعوة إبراهيم عليه السلام لقومه كما يبين من قوله سبحانه في سورة العنكبوت:

﴿وإبراهيم إذ قال لقومِهِ اعبدوا اللَّهَ واتَّقوهُ، ذلكُمْ خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون، إنما تعبدون من دون الله أوثاناً، وتخلُقون إفكاً، إن الذين تعبدون من دونِ اللَّهِ لا يملكون لكم رزقاً، فابتغوا عند اللَّهِ الرزقَ واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون﴾[3].

٥ ـ وهي دعوة شعيب عليه السلام كما يتضح من قوله تعالى في سورة العنكبوت:

﴿وإلى مدينَ أخاهُمْ شعيباً، فقال يا قوم اعبدوا اللَّهَ، وارجُوا اليومَ الآخر، ولا تعثَوْا في الأرض مفسدين﴾[4].

٦ ـ وهي دعوة يوسف عليه السلام إلى أهل مصر كما يظهر من قوله تعالى في سورة يوسف:

﴿يا صاحِبَـي السجـنِ أأربابٌ متفرقون خيرٌ أم اللَّهُ الواحدُ القهَّار، ما تعبدون من دونِهِ إلاَّ أسماءً سمَّيْتُموهَا أنتم وآباؤكم، ما أنزلَ اللَّهُ بها من سلطانٍ، إنِ الحُكْمُ إلاَّ للَّهِ، أمرَ ألاَّ تعبدوا إلاَّ إياه، ذلك الدينُ القَيِّم، ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون﴾[5].

---

(١) سورة هود: الآية ٥٠.

(٢) سورة هود: الآية ٦١.

(٣) سورة العنكبوت: الآيتان ١٦، ١٧.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٣٦.

(٥) سورة يوسف: الآيتان ٣٩، ٤٠.

٧ ــ وهي دعوة يونس عليه السلام كما هو واضح من قوله تعالى في سورة الأنبياء:

﴿وذا النونِ إذ ذَهَبَ مُغاضِباً، فظنَّ أنْ لنْ نقدِرَ عليه، فنادى في الظُلُماتِ أنْ لا إلَهَ إلاَّ أنتَ سبحانَكَ إنِّي كنتُ من الظالمين﴾(١).

٨ ــ وهي دعوة إلياس عليه السلام، كما هو ظاهر من قوله تعالى في سورة الصافات:

﴿وإنَّ إلياسَ لَمِنَ المرسلين، إذ قال لقومِهِ ألا تتقون، أتَدْعون بعْلاً وتذرون أحسنَ الخالِقين، اللَّهَ ربّكم وربَّ آبائِكُمُ الأوَّلين﴾(٢).

٩ ــ وهي دعوة موسى عليه السلام، وأول كلام تلقاه عن الله كما يفهم من قوله تعالى في سورة طه:

﴿فلما أتاها نودي يا موسى، إني أنا ربك فاخلَعْ نَعْلَيكَ إنَّكَ بالوادِ المقدَّس طُوى، وأنا اخترتُكَ فاستمِعْ لما يُوحى، إنَّني أنا اللَّهُ لا إلَهَ إلاَّ أنا فاعبدْني وأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْري﴾(٣).

١٠ ــ وهي رسالة المسيح عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل، كما يفهم من قوله فيما يحكيه القرآن عنه في سورة المائدة:

﴿ما قلتُ لهم إلاَّ ما أَمَرْتني به أن اعبُدُوا اللَّهَ ربِّي وربَّكم، وكنتُ عليهم شهيداً ما دُمْتُ فيهم، فَلَمَّا توفَّيْتَني كنتَ أنتَ الرَّقِيبُ عليهم، وأنت على كل شيءٍ شهيد﴾(٤).

١١ ــ وهي دعوة محمد ﷺ عندما تلقّى ختام رسالات السماء إلى الأرض، قال تعالى في سورة الأنعام:

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٨٧.

(٢) سورة الصافات: الآيات ١٢٣ ــ ١٢٦.

(٣) سورة طه: الآيتان ١١، ١٤.

(٤) سورة المائدة: الآية ١١٧.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ ولياً، فاطر السموات والأرض وهو يُطعِم ولا يُطعَم، قل إني أُمِرْتُ أن أكونَ أوَّل من أسلم، ولا تكونَنَّ من المشركين﴾[1].

ويقول سبحانه في تلك السورة أيضاً:

﴿قُلْ إنَّ صلاتي ونُسُكِي ومَحْيَايَ ومماتي لله رب العالمين، لا شريكَ له، وبذلك أُمِرْتُ، وأنا أولُ المسلمين، قل أَغَيْرَ اللَّهِ أبغي ربّاً، وهو ربُّ كلِّ شيءٍ﴾[2].

ويقول سبحانه في سورة الإخلاص:

﴿قل هو اللَّهُ أحد، اللَّهُ الصَّمَد، لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يَكُنْ لَه كُفُواً أحد﴾[3].

ثمرات كلمة التوحيد:

إن ثمرات كلمة التوحيد كثيرة لا حصر لها، وليس لطاقة إنسان مهما كان أن يعُدها، ويحصيها، بعد أن شبَّهها رب العباد في كتابه الكريم بالشجرة الطيبة التي تؤتي أُكُلَها كل حين بإذن ربها، ولكن لا بأس أن نذكر شيئاً من تلك الثمرات على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر.

١ ــ تحقيق كرامة الإنسان:

إن الكرامة أعظم ما تكون في ظل الإيمان بهذه الكلمة، وإن الإنسان يهدر قيمته وكرامته إذا خضع لمخلوق مثله، والخضوع للمخلوقات هو الذي جلب على المجتمع الإنساني البلاء والشقاء بالخضوع للسلاطين الظالمين، والملوك الطاغين، والزعماء المتكبرين والمستغلين، من رجال الدين، وما أكثر ما نهى القرآن عن ذلك كما يفهم من قوله تعالى في سورة الأعراف:

﴿إنَّ الذينَ تَدْعونَ مِنْ دونِ اللَّهِ عبادٌ أمثالكم فادْعوهم فَلْيَستجيبوا لكم إن كنتم صادقين﴾[4].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤.

(٢) سورة الأنعام: الآيات ١٦٢ ــ ١٦٤.

(٣) سورة الإخلاص.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٩٤.

وقوله تعالى في سورة الروم:

﴿الله الذي خلقكم، ثم رزقكم، ثم يميتكم، ثم يحييكم، هل من شركائِكم من يفعل من ذلكم من شيء، سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[1].

كما حمت كلمة التوحيد معتنقيها من السجود لحجر، أو شجرة، أو شمس، أو قمر، أو حيوان.

قال تعالى في سورة فصلت:

﴿وَمِنْ آياتِهِ اللَّيل والنَّهارُ والشَّمسُ والقمرُ، لا تَسْجُدُوا للشمسِ ولا لِلْقَمَر، واسجُدُوا للَّهِ الذي خَلَقَهُنَّ إنْ كنتم إيّاهُ تعبدون﴾[2].

٢ ـ الحرية:

وتتصل بالكرامة فهي في ظل الإيمان بكلمة التوحيد أعظم وأكرم، فمتى وقر في النفوس معنى التوحيد حال ذلك دون استغلال بعض الناس بعضاً، وخضوع بعضهم لبعض، لأن الجميع عباد الله، ليس لأحدهم فضل على الآخر إلاَّ بما يقربه إلى الله، ويدنيه من رضاه، وبذلك تتحقق المساواة في الحقوق والواجبات.

يقول سبحانه وتعالى في سورة الحجرات:

﴿إنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللَّهِ أتقاكم﴾[3].

ويقول النبي ﷺ:

«كلُّكُمْ لآدمَ وآدمُ من تراب، ليس لعربي فضل على عجمي إلاَّ بالتقوى».

٣ ـ الوحدة الإنسانية:

تحت ظل كلمة التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده تتوحد مشاعر الناس، ومنازع نفوسهم في خضوعهم لحكم الله وسلطانه، وفي ذلك تكون الوحدة الإنسانية، بعكس ما يكون من تفرق الناس حول آلهة مختلفة باطلة، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى في سورة يوسف:

---

(١) سورة الروم: الآية ٤٠.

(٢) سورة فصلت: الآية ٣٧.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٣.

﴿أَأَرْبابٌ متفرِّقونَ خَيْرٌ أمِ اللَّهُ الواحدُ القَهَّار﴾[1].

وقوله سبحانه في سورة الأنبياء:

﴿إنَّ هذه أمتكُم أمةً واحدةً وأنا ربُّكم فاعبدون﴾[2].

إنكار الإسلام لتعدد الآلهة:

وقد نعى القرآن كثيراً على مَن عدَّد الإلَه، فاتخذ إلَهين اثنين، أو اتخذ التثليث أو خضع للأصنام، أو عبد شيئاً من الكواكب كالشمس والقمر والنجوم، وحرَّك عقول المعددين للإلَه إلى النظر فيما يوجب وحدة المعبود وحدة كاملة.

قال تعالى في سورة الإسراء:

﴿قلْ لو كان معهُ آلهةٌ كما يقولونَ إذاً لابْتَغَوا إلى ذي العَرْشِ سبيلاً﴾[3].

ويقول سبحانه في سورة الأنبياء:

﴿لو كان فيهما آلهةٌ إلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتا، فسبحان اللَّهِ ربِّ العرشِ عمَّا يصفون﴾[4].

ويقول جلَّت كلماته في سورة المؤمنون:

﴿ما اتخذَ اللَّهُ منْ وَلَدٍ، وما كانَ معهُ من إلَهٍ، إذاً لَذَهَبَ كلُّ إلَهٍ بما خلق، ولَعَلا بعضُهم على بعضٍ، سبحانَ اللَّهِ عمَّا يصِفون، عالِمُ الغيبِ والشهادةِ فتعالى عمَّا يشركون﴾[5].

ويقول سبحانه وتعالى في سورة آل عمران:

﴿قُلْ يا أهْلَ الكتابِ تعالَوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم ألاَّ نعبدَ إلاَّ اللَّهَ، ولا نُشْرِكَ به شيئاً، ولا يتَّخِذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دونِ اللَّهِ، فإنْ تولَّوا فَقولوا اشهدوا بأنّا مُسلمون﴾[6].

---

(1) سورة يوسف: الآية ٣٩.

(2) سورة الأنبياء: الآية ٩٢.

(3) سورة الإسراء: الآية ٤٢.

(4) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(5) سورة المؤمنون: الآيتان ٩١، ٩٢.

(6) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٢)

مبحث (التوحيد.. أصل الديانات السابقة)

الأصل في الديانات السابقة جميعها هو التوحيد:

إن المتأمل في الديانات السابقة جميعها يجد أنها كانت ديانات تقوم على توحيد الخالق سبحانه وتعالى، لكنها انحرفت عن التوحيد إلى التعدد فانحدرت إلى ظلام الشرك والوثنية طبقاً للآتي:

١ ــ الديانة الهندوكية:

ويدين بهذه الديانة أغلب شعب بلاد الهند، وقد جاء في أحد فصول الفيدا المكتوب باللغة السنسكريتية القديمة ذكر الإلّه الواحد واسمه (برهما ــ باني) ومعناه رب الصلاة، مجيب الدعاء، فالله عند قدماء البراهمة واحد لا شريك له، سرى منه الروح في جميع الكائنات من جماد ونبات وحيوان، ونص هذا الفصل بسيط دون تعقيد ترجمته كالآتي:

(إن الله نور الشمس، ضوء القمر، بريق اللهب، وميض البرق، صوت الريح، أنا الأصل القديم لجميع الكائنات، مني الحياة لكل الوجود، معطي الصلاح، أول، آخر).

وعندما كثر الكهنة، جعلوا للديانة أسراراً خفية، وأسراراً ظاهرة، فكثرت الرموز والطقوس والشعائر، وأنشأوا ما لم يكن أصلاً في الديانة البرهمية ألا وهو الثالوث الهندي المعروف بدلاً من الإلّه الواحد طبقاً للآتي:

(أ) براهما ــ هو الإلّه الخالق.

(ب) فيشنو أو كريشنا هو القوة الحافظة أو الإلّه الحامي للخليقة.

(ج) سيفا هو القوة التي تفني وتعيد وتحول أي أنه الموكل بالخراب.

وقصَرَ الكهنة على أنفسهم، وعلى تلاميذهم معرفة الحقائق، وهو توحيد الله، وستروها عن الشعب، وتركوه يغوص في متاهات الشرك وتعدد الآلهة.

٢ ــ الديانة البوذية:

هذه الديانة ليست إلاّ مذهباً فلسفياً منشقاً عن الديانة البرهمية، مع بعض التعديلات

فيها، وأساس تلك الديانة هو النرفانا، ومعناها الإطلاق الطبيعي، أو التسامي، ولم يدَّعِ بوذا (مؤسسها) يوماً أنه إلّه أو ابن إلّه، لكنَّ الكهنة ابتدعوا الثالوث البوذي وهو:

(أ) الإلّه الخالق أو النرڤانا.

(ب) بوذا هو الابن من العذراء مايا الموكل بحساب الناس بعد البعث.

(ج) الروح القدس وهو الذي حلَّ على العذراء مايا فولدت بوذا.

٣ ــ الديانة الصينية:

كانت ديانة أهل الصين قديماً تقرر أن إلّه السماء أو عظيم السماء يحب الخير، ويكره الشر، ويجازي الناس على ما قدموا من عمل، وهو الإلّه الغير منظور، الرب العظيم، ومالك الأكوان ذو الفضل غير المتناهي، وليس له مكان، أو زمان، موجود في كل الوجود، أينما توجه الإنسان فهو معه، حاضر لا يغيب، الإلّه الذي لا يحابى، بل يجود بلطفه ورعايته على الإنسان الفاضل، ويحب استعمال الرأفة والرحمة، وأنه يعتني بالأرض وحضوره فيها دائم، وإن كان غير منظور.

وبمرور الأيام وتداول الأعوام تغيرت الأفكار، وأضافوا إلى الإلّه الواحد كثيراً من مظاهر الطبيعة، كالشمس والقمر والكواكب والنجوم والأرض والجبال والبحار والأنهار، ولما ظهر فيلسوف الصين كونفوشيوس خرج بمذهبه الذي يدعو إلى إصلاح المجتمع والفرد، ودعوة أهل الصين إلى العلم، ونشر روح الفضيلة والأخوَّة والحب والطهر والصبر والعزة والكرامة.

ولما كان أهل الصين يقدمون في شعائرهم القرابين للإلّه الأعظم وأرواح أسلافهم وقوى الطبيعة المختلفة، لذلك أقاموا المعابد، والتي كانت تبنى على شكل هيكل عظيم بداخله هياكل ثلاثة ترمز إلى مذابح ثلاثة، لكل معبود هيكل هي:

(أ) مذبح الإلّه الأعظم، وهو خاص بعظيم السماء وهو أقدم المذابح، وأعظمها وأكبرها لا نجد حوله أصناماً، أو تماثيل لأنه مذبح الإلّه غير المنظور.

(ب) مذبح الكواكب والأفلاك السماوية والأرضية، وتقدم فيه القرابين للشمس والقمر والكواكب والنجوم والأرض والتلال والجبال والأنهار، وما إلى ذلك من قوى الطبيعة.

(ج) مذبح الأرواح، حيث يعتقدون أن أرواح آبائهم وأجدادهم وملوكهم وتهديهم في تلك الحياة، وتقف معهم وقت الشدة والوفاء، لذلك يقدمون لها القرابين في ذلك المذبح زيادة في إرضائها، وليستهدونها في أمورهم الحاضرة والمقبلة، ويطلبون منها السعادة في حياتهم.

ويعزون إلى الفيلسوف الصيني فوفي، أنه هو الذي ابتدع الثالوث الصيني بعد أن كانت العقيدة والعبادة قاصرة على الإلّه العظيم إلّه السماء أو عظيم السماء، ورمزوا لذلك الثالوث بالعناصر الآتية.

(أ) تي ين ــ أو الإلّه المجهول غير المنظور.

(ب) تي سيز ــ أي الشمس والكواكب السيارة.

(ج) تشانج ــ أي أرواح الآباء والحكماء والملوك.

ومن الصين انتقلت هذه المبادىء إلى اليابان، حتى أصبحت العائلة المالكة في اليابان من الآلهة وأعظم الآلهة الإمبراطور.

٤ ــ **الديانة الكلدانية:**

الكلدانيّون هم معلمو الوثنية الحقيقية في الشرق، ومن أول الكلدانيين ظهر إبراهيم عليه السلام جد الأنبياء، الذي لم يرضَ عن عبادة الأصنام، فقام بتحطيمها، ثم هاجر من هناك إلى حاران ثم إلى فلسطين طبقاً لما حكته عنه الكتب المقدسة، ولقد جعل الكلدانيّون لكل واحد من الكواكب السيارة صنماً، وأكبر الأصنام الذي كان يرمز إلى الشمس هو المعتبر في عرفهم أعظم الآلهة، وأكبر أوثانهم، ومن أهم آلهتهم الثالوث الآتي:

(أ) بعل أو آمون إلّه الشمس.

(ب) عشتروت أو إيزيس إلّه الجمال.

(ج) هورروس أو تموز إلّه الخصب والبناء ويقام له عيد في شهر يوليو من كل عام.

٥ ــ **الديانة الفارسية ــ ديانة زرادشت:**

كانت هذه الديانة في أصلها ديانة توحيد، تدعو إلى عبادة الإلّه الواحد وهو

أهورامزوا. وتحارب الشرك وعبادة الأصنام والكواكب. ومعنى اسم أهورامزوا: أنا وحدي خالق الوجود أو الكون، وقيل إن ذي القرنين المذكور في القرآن الكريم كان مؤمناً وسلطاناً موحداً وهو المؤسس للإمبراطورية الفارسية منذ ٢٥ قرناً ويدعونه قورش أو كورش.

ثم تطورت العبادة (أي عبادة) الواحد الأحد إلى عبادة إلّهين فقط، أحدهما يسمّى أهورامزوا وهو إلّه الخير، العالِم بكل شيء، وثانيهما يسمى أهريمان وهو إلّه الشر، ثم انتهى الأمر بتلك الديانة إلى تقديس النار، يعبدونها لذاتها، فجعلوها موقدة في الهياكل، بحيث لا تخبو أبداً.

٦ ــ الديانة اليونانية:

يبدو أن اليونان كانت تدين بالتوحيد أساساً، وكانت تهتم بالأخلاق والفضائل، ثم انسلخت إلى الوثنية وتعدد الآلهة، لأنه عندما ظهر الفيلسوف سقراط، وتكلم عن أسرار الوحدانية وخلود الروح اعتبروه كافراً بالآلهة، وحكموا عليه أن يشرب كأساً من السم، فمات شهيد الجهر بالحقيقة حقيقة التوحيد.

واللاهوت اليوناني أساسه (زيوس أوزفس) الإلّه الأعلى، (فطاليس) أبو الفلسفة اليونانية وأول فيلسوف فيها يقول: (الكل مليء بالله) خلق الله الحياة من الماء. وتقول مدرسة (فيثاغورس): (إن الله واحد ومعطي نور السماء هو أب الجميع، هو الفكر أو القوة الحيوية للعالم، هو محرك كل شيء) ويدلل فيثاغورس على وحدانية الإلّه فيقول بمنطقه الرياضي: إنه ما من صفة تشمل العالم بما فيه من مادة وغير مادة إلاّ صفة العدد (le nombre) فالعدد إذاً هو الصفة الوحيدة المشتركة التي يتصف بها كل ما في الكون، ولما كان ما في الكون عبارة عن عدد متكرر، والأعداد عبارة عن تكرار (الواحد)، فالواحد إذن هو أصل الكون وعلته وحقيقته[1].

ثم جاء (أكترنوفنس) وقرر في فلسفته أنه لا يوجد غير إلّه واحد، هو أرفع الموجودات، ليس مركباً على هيئتنا، ولا يفكر مثل تفكيرنا، بل كله بصر وكله سمع وكله

(١) كتاب قصة الإيمان للشيخ نديم الجسر.

فكر، وأما إدراك كنه هذا الإلّه الواحد العظيم فيستحيل على عقولنا القاصرة، فما من إنسان يستطيع أن يعرفَ الله معرفة دقيقة، حتى لو شاءت المصادفة لإنسان أن يقول في وصف الله الحق كل الحق فهو نفسه لن يعرف أنه يقول الحق.

ولما جاء (بارمنيدس) ذكر في فلسفته عن الإلّه أنه وجود أزلي لا يتغير. . . ولا يفنى وليس له ماضٍ ولا مستقبل، بل يستوعب الأزل والأبد وهو لا يتحرك، ولا يتجزأ لأن الحركة صورة للتحول وهو كامل وليس وراءه وجود آخر. .

أما تلميذه (ميلسوس) فقد زاد على رأي أستاذه أن هذا الوجود غير متناهٍ وأنه (حياة عاقلة) وليس له مبدأ، لأنه ليس حادثاً، وما ليس له مبدأ ليس له نهاية، وبما أنه غير متناه فإنه لا يتحرك لأنه لا يوجد مكان بعده يتحرك إليه، وهو غير متغير لأنه لو تغير لأصبح أكثر من واحد، فهو واحد أزلي، أبدي، حي، عاقل، لا يتغير.

ولما جاء (أنا كساغورس) قرر في فلسفته أنه من المستحيل على قوة عمياء أن تبدع هذا الجمال وهذا النظام، اللذين يتجليان في هذا العالم لأن القوة العمياء لا تنتج إلاّ الفوضى، فالذي يحرك المادة هو عقل رشيد بصير حكيم.

وهكذا سارت الفلسفة اليونانية، حتى انتهى أمرها إلى أفلاطون بعد أن قضى الظلم والجهل على أستاذه سقراط، كما قدمنا، ويقول أفلاطون: إن الله هو مثلُ الخير الأعلى، وأن الذات الإلّهية تسر بالصلوات والذبائح وبقدر أكبر من ذلك تسر بالنفس الفاضلة، ولا يكون باراً ولا حكيماً إلاّ من تشبه بالفضائل وخلصت نيته في أعمال تُرضي الإلّه والبشر. . .

أما أرسطو أعظم الفلاسفة الأقدمين عند اليونان وتلميذ أفلاطون فكان من المؤمنين بوجود الله وذكر في فلسفته أنه المحرك الأول.

ولما استبد الكهنة بأسرار الوحدانية أباحوا لعامة الشعب الاعتقاد بتعدد الآلهة، وكان لكل معبود من معبوداتهم ـ منظور أو غير منظور ـ كهنة خصوصيون لخدمته[1]:

---

(١) كتاب الدين المقارن بحث في سائر الديانات العالمية للأستاذ محمود أبو الفيض المتوفى الحسيني.

١ ــ فأبولون: إلّه النيران كان مجمع الفضائل عندهم، ولعبادته اليد الطولى فيما ظهر في أخلاقهم من الشهامة والنبل وحب العلم والفنون، وهو إلّه العدل والنبوة والكهانة والشعر ومعلم الشعراء والحكماء وحامي القطعان والمواشي وإلّه السماء، ومؤسس المدن والأمصار، ولا يعبد إلاَّ بقلب نقي طاهر، ولقد كان أبولون هذا أصل معبودات جميع أهالي آسيا الصغرى وقتئذٍ، فهو مقسم الأنوار العلوية على العالم وإلّه الموسيقى في اعتقادهم.

٢ ــ أما جوبيتر فكان إلّه البحار.

٣ ــ ومينيرفا كانت آلهة الحكمة.

٤ ــ وديانا كانت آلهة الصيادين.

٥ ــ وباوكومس كان إلّه الخير.

٦ ــ وأسكولاب كان إلّه الطب.

٧ ــ وعطارد أوهر ماكيس كان ترجمان الإلّه جوبيتر.

٨ ــ ومارس كان إلّه الحرب.

٩ ــ وبوبنيون كانت آلهة الولادة.

١٠ ــ وسريزة كانت آلهة المحصولات.

١١ ــ مسيفيلة كانت آلهة الزراعة.

١٢ ــ ووستا آلهة الأرض.

١٣ ــ وبلوتو آلهة الثروة والغنى.

١٤ ــ وفينوس (الزهرة) كانت آلهة الجمال.

ومع كل هذه الوثنية الشديدة فإن اليونانيين كانوا يؤلهون الفضائل، وهي أمور معنوية تختص بالروح دون الجسد، وكانوا يشيّدون لها الهياكل الفخمة التي لا تقل في رونقها عن هيكل الآلهة الأخرى المجسمة أوالرمزية، فكان لكل من الأمانة والعدل والصدق والتقوى وغيرها من الفضائل هيكل خاص.

* * *

الديانة الرومانية:

إن المتفحص لأقوال الرومان يجد أنهم يعرفون الله الواحد الإلّه الحق، وهذه بعض من أقوالهم الدالة على ذلك، وعلى أدب النفس أيضاً..

١ ـ لو فعلت الخير لكي تجازى عليه فأنت أحمق، فإنك حينئذ تجهل أن الله واقف على ماذا كنت تستحق أو لا تستحق ممَّا تلتمسه، وعملك لن يغير من فكره..

٢ ـ إذا آمنت بعدل الله يجب التسليم بالخير، وأن لا تعامل الإلّه معاملة شاذة أو مناقضة للقوانين، فإذن يجب أن تصلي فقط، وتطلب كل ما فيه الخير لك وللناس.

٣ ـ محبة الله تأتي عن الخوف منه، فالذي يعرف الله لا شك يعبده ويحبه...

٤ ـ لو كنا من الطيور لشدونا مثلها، أو من الأسماك لسبحنا مثلها، ولكنا آدميون فليس لنا إلاَّ أن نفكر فيما هو الواجب علينا..

٥ ـ إن كنت تحب الإلّه فاقتد به، هذه هي العبادة.

٦ ـ النفس الطيبة لا تخاف الموت بل بالعكس تطلع إلى الوقت الذي تتحرر فيه من سجنها الأرضي، فالموت هو بدء الخلود في حياة جديدة.

٧ ـ للعدالة عين ترى كل شيء، فهناك مستقيم، وهناك معوج ولن تكون النهاية واحدة، إن تسرق أو تخطف أو تأسر، لا... لا... فإن في الآخرة حساباً، يقضي به الله رب الجميع، فيذهب الأشرار إلى جهنم التي تفتح أبوابها فتنساب أنهر من النار، وينتشر الظلام الحالك، حيث تغدو الأشباح وتعود.

٨ ـ ومن ترجمة صلاة لهم (أيها الإلّه الحق، هل خالفتُ وصاياك؟ هل أسأت استعمال القوة التي منحتني إياها؟ هل ثرت على حكمك؟ حقيقة أنا مريض ولكن هكذا أنت رحيم..).

وكَمَرضي مَرْضَى غيري كثيرون، فأنا متقبل ذلك بكل سرور.

ولقد تأثرت ديانة الرومان بديانة اليونانيين، فاهتمت بالأخلاق والفضائل حتى وصلت إلى حد تأليهها، وغالى في ذلك الرومانيون غلواً كبيراً حتى وصل الأمر إلى أنه لم يكن لهم إلّه معين بذاته..

من ذلك يتبين أنه لا دين قط إلاَّ وفيه عنصر من الحق، ولولا الكهنة وأضاليلهم التي كانوا يبثونها في إضعاف الحق في الأديان، توسلاً للصولة والسلطان، ولا سيما في أدوارها المنحدرة عندما يعتورها الوهن والاضمحلال، لبَقيت الحقيقة في كل دين واضحة جلية، تلك الحقيقة التي مهما حاول الكهنة والطغاة طمسها وإخفائها لكنها تظهر وتشرق رغم أنوفهم، هذه الحقيقة هي حقيقة التوحيد للإلّه الواحد الأحد. .

* * *

الديانة المصرية القديمة:

١ ــ تكشّف للعلماء في القرن التاسع عشر الميلادي حقيقة المصريين القدماء، ودياناتهم وشرائعهم ومدينتهم وتقاليدهم وعاداتهم بعد الرجوع إلى الوثائق التاريخية التي وجدت مكتوبة على أوراق البردي، ومن النقوش والكتابات التي وجدت على واجهات المعابد والهياكل والمقابر والمسلات والأعمدة وأغطية التوابيت، وما وجد في تلك التوابيت.

٢ ــ وجاء في مذكرات العالم الأثري مانيتون أن هناك أنبياء ورسلاً، قاموا بنشر دعوة التوحيد لله بين المصريين، وأخص هؤلاء الأنبياء نبـي المصريين إدريس عليه السلام، والذي سافر إلى بلاد الهند، ليستأنف الدعوة إلى وحدانية الله، لأنه كان على علم بكثير من لغات أهل الأرض، رغم أنه ولد بمدينة أدفو.

٣ ــ وعقيدة المصريين إذاً طبقاً لما تقدم ذكره كانت عقيدة وحدانية في الله، وكانت تنحصر في الآتي:

(أ) إن الله واحد لا شريك له في الذات والصفات.

(ب) كانت عبادتهم خالصة لله وطاعة واحتراماً وخوفاً منه، وهو خالق لا بداية له ولا نهاية، وعرفوه باسم آمون.

(ج) وكان المصريون القدماء يترنمون في أناشيدهم باسم الإلّه الواحد الذي له الأسماء الحسنى.

انحراف ديانة المصريين الوحدوية إلى الشرك بفعل الكهنة:

١ ــ انحرف الكهنة في مصر بديانة الوحدانية التي كان يعتنقها شعب مصر القديم، فاتخذوا من صفات الله، وهي **الوجود والحكمة والحياة** ثالوثاً، وسموه بالثالوث المصري، وكان يشتمل على عناصره آتون ــ آمون ــ رع.

٢ ــ ولم يكتف الكهنة بذلك بل استحدثوا على مرّ السنين أسماء وآلهة أخرى حتى صار الثالوث تاسوعاً وهو كالآتي:

(أ) الثالوث الأول ــ آتون ــ آمون ــ رع.

(ب) الثالوث الثاني ــ قيت ــ توت ــ شر ــ وقد اشتق من الثالوث الأول.

(ج) الثالوث الثالث ــ إيزيس، أوزوريس، سيت ــ وهو الثالوث الأخير من التاسوع، وهكذا: أصبحت عبادة المصريين بعد انحرافهم بفعل الكهنة موجهة إلى التاسوع المصري، كذلك دعواتهم كانت تصدر منهم تقرباً للتماثيل التي أقيمت لهذا التاسوع، ثم تغلغل الشرك في عقيدتهم تغلغلاً كبيراً، حتى صارت المدن مليئة بالأصنام التي ترمز إلى إلّه كل مدينة، تقدسه دون الآلهة الأخرى، وإن كانت مدينة طيبة دون سائر المدن مملوءة بالمعابد والتماثيل:

١ ــ فقد كان موطن أوزوريس في أبيدوس.

٢ ــ وبتاح في ممفيس.

٣ ــ وآمون في طيبة.

٤ ــ وهوروس في مدينة أدفو.

٥ ــ وهاتور في مدينة دندره.

ثورة أخناتون في سبيل الوحدانية:

١ ــ لما رأى أخناتون مدى انحراف الديانة المصرية إلى التعدد قام بثورته المشهورة ضد الوثنية، ودعا إلى توحيد الإلّه وعبادة الإلّه الواحد، وكاد يكتب لثورته النصر، لولا وقوف الكهنة وقتئذٍ في وجهه بالمعارضة القوية.

٢ ــ وبعد فشل ثورة أخناتون زاد عدد الآلهة، واستفحل حتى بلغ ما يقرب من المائة بين اسم لفلك، وصفة لكوكب، وعظمة لظاهرة طبيعية، وتقديس لحيوان أو طير.

٣ ــ وكانت بعض المدن المصرية تقدس ملوكها، وتعبدهم على أنهم آلهة، وكانوا يقيمون لهم الصلوات، ويقدمون لهم القرابين، ويرفعون إليهم البخور.

٤ ــ ظلّ المصريون على حالتهم من الشرك والوثنية حتى هاجمهم الفرس، واليونانيون، فهدموا كثيراً من معابدهم، وهياكلهم، وحطموا كثيراً من تماثيلهم.

٥ ــ لما فتح الرومان مصر، هدموا بقية الهياكل والمعابد، وأبطلوا كثيراً من العبادات المصرية، ثم انتهى الأمر بهم إلى إبطال الديانة المصرية القديمة في عهد الامبراطور ثيودور الروماني، والذي جعل النصرانية ديناً رسمياً للدولة الرومانية ومستعمراتها، وبذلك فرضت النصرانية الرسمية بثالوثها على مصر بوصفها مستعمرة رومانية.

٦ ــ واستمر حال المصريين على ذلك القهر الروماني حتى جاء العرب في عهد خلافة عمر بن الخطاب، ففتحوا مصر بجيش إسلامي كان يقوده عمرو بن العاص، ونشروا دعوة الإسلام التي أساسها الوحدانية لله، فدخل غالبية المصريين في الإسلام، وبذلك رجعوا إلى التوحيد أساس ديانتهم الأولى القديمة، قبل أن يفسدها الكهنة بالتعدد، والنصرانية بالتثليث.

* * *

الديانـة اليهوديـة:

هذه الديانة التي جاء بها نبـي الله موسى عليه السلام من عند ربه، عندما ظهرت له نار من شجرة تشتعل، وهناك خاطبه الله، وأمره هو وأخاه هارون أن يذهبا إلى فرعون، ليسمح بخروج بني إسرائيل من أرض مصر، بعد إقامتهم بها منذ أن دعاهم شقيقهم يوسف الصديق عليه السلام للإقامة فيها.

الله في التوراة:

١ ــ تقول التوراة في أسفارها إن موسى عليه السلام عندما رأى النار ظهر له أحد الملائكة، فسأله موسى عن اسم الله، فأجابه بأن اسم الله هو (يهوه) إلّه إسماعيل وإسحاق ويعقوب، ومن أسمائه آهيا وألوهيم، وكل هذه الأسماء تعطي معنى وصفات الله، القادر

الكافي، فاليهود كانوا يدينون بالتوحيد، وكانت توصف الذات الإلّهية بالوحدة والكمال. وقد ورد في سفر التثنية إصحاح ٦ عدد ٤ ما نصه:

(اسمع يا إسرائيل: الرب إلّهنا رب واحد).

٢ ـ ثم تغلبت المادة على الجانب الروحي عند بني إسرائيل وأصبح الدين والشريعة في عرف اليهود عبارة عن تشريعات، رسمت للمعاملات التي يمكن بها أن يستحلوا أموال غيرهم من الناس والأمم، وطقوس العبادة عندهم أصبحت صوراً من شريعة المعاملات، وصيغ الديون والسندات، والمطالبات وانتهاك الحرمات، واستعباد الشعوب واستحلال الحرمات.

وفي جملتها يمكن أن يقال: إن عبادة اليهود إما للاعتداء والعدوان على الغير، أو زيادة الرزق عن طريق السلب والنهب، حتى أصبحت قلوبهم وعقولهم فارغة إلاَّ من المادة وما يتفرع منها.

٣ ـ ثم مرت باليهود أطوار، تعرضوا لنقمة الله، جزاء ابتعادهم عن شريعته، حتى انقرضوا، لكن دخل في اليهودية قوم آخرون، ليسوا أصلاً من بني إسرائيل لكنهم تهوّدوا، وعلى سبيل المثال، القبائل التي كانت حول بحر الخزر في الاتحاد السوفيتي.

٤ ـ والمتتبع لأسفار التوراة والتلمود، يجد أن صورة يهوا إلّه شعب إسرائيل صورة بعيدة عن الوحدانية، يشترك معه آلهة كثيرون، تعبدها الأمم التي جاورت الإسرائيليين في أوطان نشأتهم، وكان تصور اليهود لهذا الإلّه في صورة مجسمة، ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل، وكان اعتقاد اليهود أن إلّههم (يهوا) هذا لا يريد من شعب إسرائيل أن يلتفت إلى الآلهة الأخرى، لأنه يريد أن يستأثر بشعب إسرائيل لنفسه بين سائر الشعوب، وأن يستأثر شعب إسرائيل به لأنفسهم بين سائر الآلهة، فاليهود لم يكونوا ينكرون وجود الآلهة الكثيرين، وكل ذلك كان في عهود تأخرهم.

أما في العبادات فقد انحرف اليهود عن أهدافهم في عبادة الإلّه الواحد الأحد، فأقاموا الهياكل، كما تقيم الأمم الوثنية الهياكل لأصنامها، وقدموا القرابين والذبائح، كما

كان يقدمها عبّاد الوثنية، ثم زادوا في إسفافهم حتى جعلوا الأوثان في بيوتهم وسموها الطرافين، وعبدوا بعض آلهة الأمم التي اختلطوا بها، مثل آلهة الآراميين، والكلدانيين، والمؤابيين أمثال البعل والبعليم والعشتاروت، ووضعوها في هيكلهم المقدس، ذلك الهيكل الذي بناه للعبادة نبـي الله سليمان عليه السلام، مع أن أهم الوصايا التي أوصاهم بها موسى عليه السلام عن الله سبحانه وتعالى الالتزام بعقيدة التوحيد، فقد جاء في التوراة ما يشير إلى ذلك عند إبلاغه قومه من اليهود وهو في الجبل بالوصايا الـتي يجب أن يسيروا عليها في حياتهم، ليكونوا مؤمنين، مثال ذلك النص المنسوب إلى الله في سفر الخروج من الإصحاح ٢٠ من عدد ٢ إلى عدد ٦ من العهد القديم في الكتاب المقدس وهو قوله:

(أنا الرب إلّهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تضع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلّهك إلّه غيور).

إلاّ أنه مع مرور الزمن اضمحلت عقيدة اليهود في التوحيد، ومالوا بطبعهم إلى الوثنية، فاستبدلوا بجلال الوحدانية، وسموّ تكريمها للواحد الأحد الخالق القديم، عبادة الحجر الذي لا يسمع ولا يبصر، وعبادة البشر الذي لا يغني شيئاً، فخرجوا بذلك عن التعاليم الإلّهية حتى سُمّوا في أسفار العهد القديم من الكتاب المقدس بالبيت المتمرد.

فقد ورد عنهم في سفر حزقيال بالإصحاح ٣ عدد ٩ قوله:

(قد جعلت جبهتك كالماس أصلب من الصوان فلا تخفهم ولا ترتعب من وجوههم، لأنهم ببيت متمرد).

وهذه الروح الوثنية التي كانت متسلطة على اليهود جعلتهم لا يرعون لنبـي الله موسى، ولا لأخيه هارون عليهما السلام حرمة، بل انحرفوا إلى عبادة الأصنام في حياة هذين النبيين الكريمين دون أي حياء، وقد ورد ما يشير إلى ذلك بسفر الخروج في الإصحاح ٣٢ من عدد ٧ إلى عدد ٩ في النص المنسوب إلى الله مخاطباً لموسى عليه السلام خلال صعوده إلى الجبل لمناجاته قوله:

(فقال الرب لموسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر، زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم به، صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا به، وذبحوا له، وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب، وإذا هو شعب صلب الرقبة).

وعبادة اليهود للعجل المسبوك على شكل الحيوانات، تمثل ديانة التوتمية في تقديس الحيوانات.

ولما توفي موسى وهارون عليهما السلام، تمادى اليهود في عصيان أوامر الله، والانسياق إلى عبادة الأصنام، فجلبوها من الأمم المحيطة بهم، وأقاموها في أنحاء شتى بمدنهم في المرتفعات وعلى الطرق، بل أقاموا لبعضها سدنة وكهنة يقدمون لها النذور، ويحرقون لها البخور، ولم يستمعوا لنصح أنبيائهم لهم، حتى لقد هدّدهم الله بالقتل في قوله لهم:

(وأضع جثث بني إسرائيل قدّام أصنامهم وأذري عظامكم حول مذابحكم).

انظر سفر حزقيال في الإصحاح ٦ عدد ٥ من العهد القديم في الكتاب المقدس.

شغف اليهود بعبادة العجل:

ثم إن شغفهم بالعجل وتقديسهم له أدى بهم إلى أنه كان لا يخلو عند اليهود معبد ملكي من وجوده فيه، أو وجود صورته فيه، وقد أشار إلى ذلك سفر الملوك الأول في الإصحاح الثاني عشر عدد ٢٥ ــ ٣١ في قوله:

(وبنى بريعام شكيم في جبل أفرايم وسكن بها... فاستشار الملك وعمل عجلي ذهب، وقال لهم: كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم، هو ذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر، ووضع واحداً في بيت إيل وجعل الآخر في دان، وكان هذا الأمر خطية، وكان الشعب يذهبون إلى أمام أحدهما حتى إلى دان).

وفي معبد أورشليم كان حتى عصر الملك حزقيا ملك يهوذا (القرن الثامن قبل الميلاد) توجد حية معدنية تعرف باسم (نحشتان) وهي تمثل الإلّه وترمز إليه، وكان خادم المعبد يبخرها، ويزعمون أنها ترجع إلى عهد موسى عليه السلام، فقد ورد في الإصحاح الثامن عشر من سفر الملوك الثاني عدد ١ ــ ٤ قوله:

(وفي السنة الثالثة لهوشع بن إيلة ملك إسرائيل ملك حزقيا بن آحاز ملك يهوذا. . . وعمل المستقيم في عيني الرب حسب كل ما عمل داوود أبوه، هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السواري وسحق حية النحاس التي عملها موسى، لأن بني إسرائيل كانوا تلك الأيام يوقدون لها، ودعوها نحشتان).

كما كانوا يقدسون صوراً ترمز إلى الإلّه وتعرف باسم ترانيم، يزعمون أن بيت النبي داوود كان عامراً بها.

فقد ورد في سفر صموئيل الأول بالإصحاح ١٩ عدد ٩ ــ ١٣ قوله:

(وكان الروح الردي من قبل الرب على شاول، وهو جالس في بيته، ورمحه بيده، وكان داوود يضرب باليد، فالتمس شاول أن يطعن داوود بالرمح. . . فهرب داوود ونجا تلك الليلة. . . فأخذت ميكال الترانيم ووضعته في الفراش، ووضعت لبدة المعزى تحت رأسه وغطته بثوب).

بل إنهم عبدوا النار، وبنوا المرتفعات التي في وادي ابن هتوم، ليجيزوا أبناءهم وبناتهم في النار (لمولك) الذي كان وثناً من أوثان الفينيقيين، وإلى هذا أشار سفر أرميا في الإصحاح ٣٢ عدد ٣٤، ٣٥ فيقول:

(بل وضعوا مكرهاتهم في البيت الذي دعي باسمي لينجسوه، وبنوا المرتفعات للبعل التي في وادي ابن هتوم، ليجيزوا بنيهم وبناتهم في النار لمولك، الأمر الذي لم أوصهم به، ولا صعد على قلبي ليعملوا هذا الرجس ليجعلوا يهوذا يخطىء).

فكانوا يضعون الأطفال فوق ذراعي الصنم مولك الممدودتان فتهبطان به بعد إيقاد النيران تحته، وبذلك قتل اليهود كثيراً من أطفالهم بهذه العبادة الحقيرة، وهم بذلك تشبهوا بالمجوسية في تقديسهم للنار.

ثم نقل اليهود عبادة الأصنام إلى البيت المقدس في أورشليم (مدينة القدس حالياً) فملأوا بها مقاصير العبادة وحجراتها، وإلى هذا يشير سفر حزقيال في الإصحاح ٨ عدد ١٠، ١١ فيقول:

(فدخلت ونظرت وإذا كل شكل زَحّافات وحيوان نجس وكل أصنام بيت إسرائيل

مرسومة على الحائط على دائرة، وواقف قدامها سبعون رجلاً من شيوخ بيت إسرائيل. . . وكل واحد مبخرته في يده وعطر عنان البخور صاعد).

ثم تطرق الحال ببعضهم إلى أن عبدوا الشمس، وسجدوا لها، وقد نص على ذلك سفر حزقيال في الإصحاح ٨ عدد ١٦ في قوله عن أحد أماكن الصلاة: (عند باب هيكل الرب نحو خمسة وعشرين رجلاً ظهورهم نحو هيكل الرب، ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس نحو الشرق).

وهذه العبادة تمثل عقيدة الصابئة في عبادتهم للكواكب والنجوم.

ثم عبدوا البعليم، والبعل، وعشتاروت، وإلى هذا يشير سفر القضاة في الإصحاح الثاني عدد ١١، ١٢، ١٣ فيقول:

(وفعل بنو إسرائيل الشرَّ في عيني الرب، وعبدوا البعليم، وتركوا الرب إلّه آبائهم، الذي أخرجهم من أرض مصر، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم، وسجدوا لها وأغاظوا الرب، تركوا الرب، وعبدوا البعل وعشتاروت).

كما شاعت عبادة الإلّه تموز، وهو إلّه من أصل كلداني، شاعت تلك العبادة بين جميع أسباط اليهود، حتى غدت معترفاً بها من القيادة الدينية الرسمية (وهو مجمع الكهنة)، الأمر الذي شكا منه نبيهم حزقيال، حين آلمه أن يسمع البكاء حزناً على تموز من داخل الهيكل، فقد ورد بسفر حزقيال في الإصحاح الثامن عدد ١٤، ١٥ قوله:

(فجاء بـي إلى مدخل باب بيت الرب الذي من جهة الشمال، وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز، فقال لي أرأيت هذا يا ابن آدم عُدْ تَرَ رجاسات أعظم من هذه).

ومن بين المفاسد اليهودية أيضاً والتي جعلت نبيهم أرميا يتميز غيظاً ما شاهده في عهده من تعدد الآلهة اليهودية، حتى كان لكل مدينة من مدنهم إلّهها، فقد ورد عنه خطاب لسكان مملكة يهوذا في الإصحاح الثاني عدد ٢٨ في السفر المسمى باسمه قوله لليهود:

(فأين آلهتك التي صنعت لنفسك، فليقوموا إن كانوا يخلصونك في وقت بليتك،

لأنه على عدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا).

ولم يكتفوا بذلك بل إنهم عبدوا (كوشان رشعتايم) ملك آرام، وإلى هذا يشير سفر القضاة في الإصحاح الثالث عدد ٨ فيقول:

(فحمى غضب الرب على إسرائيل فباعهم بيد كوشان رشعتايم ملك آرام، فعبد بنو إسرائيل كوشان رشعتايم ثماني سنين).

كما عبدوا عجلون ملك موآب ثماني عشرة سنة، فيقول عنهم سفر القضاة في الإصحاح الثالث المشار إليه عدد ١٤:

(فعبد بنو إسرائيل عجلون ملك موآب ثماني عشرة سنة).

وأخيراً انتهى الأمر بفريق من اليهود إلى عبادة بعض البشر، فعبدوا كاتب الشريعة (عزرا) الذين زعموا عنه أنه كان يحفظ التوراة عن ظهر قلب بعد رجوعه من الأسر في بابل.

قال تعالى في القرآن الكريم:

﴿وقالتِ اليهودُ عُزيرٌ ابنُ اللَّهِ وقالتِ النَّصارى المسيحُ ابنُ اللَّهِ. ذلك قولُهم بأفواهِهِم يُضاهِئون قولَ الذينَ كَفروا مِنْ قبل قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفِكون) [سورة التوبة: الآية ٣٠].

الديانة النصرانية أو المسيحية:

كانت النصرانية في بداية أمرها ديانة وحدانية، فكان المسيح عليه السلام يبشر بدعوة التوحيد للإلّه الواحد، وفي حال تصحيحه للعقيدة اليهودية ارجعها لفكرة الثواب والعقاب واليوم الآخر، وأن الناس جميعاً سيحاسبون على ما قدمت أيديهم من الحياة الدنيا، ويلقون جزاء وفاقاً على كل كبيرة وصغيرة من أعمالهم. انظر إليه في إنجيل متى إصحاح ١٢ عدد ٣٦، ٣٧ في قوله:

(ولكن أقول لكم إن كل كلمة باطلة يتكلم بها الناس، سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين، لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان).

لكن يلاحظ على دعوته أنه كان يحصرها في إصلاح اعوجاج المجتمع اليهودي،

لا سواه في إطار من الاعتراف بفكرة تفوق العنصر الإسرائيلي، وأنه الأولى والأحق بهداية الله دون نظر إلى باقي الأجناس، ومن ذلك ما رواه إنجيل متى في إصحاحه الخامس عشر عدد ٢٢ ــ ٢٤ عندما اعترضت سبيله امرأة كنعانية، ليست من بني إسرائيل حينما كان في طريقه إلى صور وصيداء مستغيثة متوسلة إلهه أن يشفي ابنتها المجنونة فلم يأبه لها، ولم يجبها بكلمة وطلب منه تلاميذه أن يصرفها وذلك في قوله:

(فأجاب، وقال لم أرسل إلاّ إلى خراف بني إسرائيل الضالة).

بل إنه نسب إليه بمراجع النصارى أيضاً أنه قال عن اليهود إنهم البنون، وغيرهم من باقي الأمم بأنهم الكلاب، انظر إليه في عدد ٢٥ ــ ٢٦ من ذلك الإصحاح السابق ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب).

ولما مضى عصر السيد المسيح وحوارييه، جاء بعده عصر بولس[1]، الذي أضاف إلى عقيدة الألوهية التي كانت لدى العبرانيين من ذرية إبراهيم تفسيراً آخر بأن البنوّة لإبراهيم عليه السلام، لا تتوقف على بنوّة الجسد، بل إنها بنوّة روحية تشمل الغرباء عن العنصر اليهودي، أي أن النصارى من رعايا الأمم غير اليهودية وإن لم يكونوا أبناء إبراهيم من الجسد، فهم باعتناقهم للنصرانية يصيروا أبناء إبراهيم في الروح، وبهذا المفهوم الجديد للنصرانية في صيغتها الحديثة التي استحدثها بولس اكتسحت كثيراً من البلاد، وأضافت إلى معتنقيها مناطق شاسعة في أوروبا وحوض البحر الأبيض المتوسط.

ولما اتصلت النصرانية من سريان دعوتها بمفهومها البولسي **بالأمم الأجنبية وفي مقدمتها الأمة المصرية**، شاعت فيها عقيدة الثالوث المجتمع من الآب والابن والروح القدس، وأن المسيح هو الابن من هذه الأقانيم الثلاثة، ذلك أن الوثنية والفلسفة الإغريقية سرعان ما تسللتا إلى تلك العقيدة السمحة، ففي القرنين الأولين من ميلاد المسيح، كان الاعتقاد بإلّه واحد لا شريك له، هو أساس الديانة النصرانية، طبقاً لما ذكرناه آنفاً، ولكن بعد أن اعتنقت هذه الديانة شعوب شتى من الوثنيين اليونان والرومان والمصريين، وكلها شعوب قد تأصلت فيها، وعمقت جذور الوثنية، نشأت طوائف وفرق

(١) يمكن للباحث أن يرجع إلى باب بولس الرسول في كتاب النصرانية والإسلام للمؤلف.

ترى كل منها في العقيدة رأياً يخالف الأخرى، وكانت شخصية المسيح نفسها موضوع الخلاف ومحوره في عقيدة تلك الطوائف.

فمن قائل بأن المسيح ليس إلاَّ رسولاً من عند الله فقط وليست له منزلة أكثر من شرف السفارة بين الله وخلقه كسائر الأنبياء.

بينما يرى فريق آخر أن للمسيح علاقة بالله من نوع خاص، فهو في منزلة أشرف وأعلى من مجرد الرسول، لأنه من الله بمنزلة الابن، فقد خلق من غير أب، ولكن ذلك لا يمنع أن يكون المسيح مخلوقاً لله لأنه هو كلمته.

ويرى فريق ثالث أن المسيح ابن لله له مثل أبيه، صفة القدم والدوام السرمدي.

وإذا كانت الهيئات الوثنية التي نشأ فيها المؤمنون الجدد بالنصرانية لها تأثيرها في هذا الانحراف الخطير، فإن الأرجاس التي علقت بالنصرانية منذ البداية في منبتها الأصلي لا تقل عن ذلك تأثيراً أو خطورة، فقد كان اليهود يعتقدون منذ البداية، أنهم كشعب مختار ينتمون أيضاً إلى عنصر إلَهي[1]، فقد جاء في الإصحاح السادس من سفر التكوين عدد ١، ٢، ٤ النص الذي أوَّله اليهود على أنفسهم وذلك في قوله:

(وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض ووُلد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسناوات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. . . . . وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم).

فلما جاء المسيح عليه السلام وحاول جهده أن يصحح الصورة الفظَّة التي رسمها الكهنوت اليهودي لله كان دائماً: (ليؤكد رحمته ولطفه وبره) يدعوه مجازاً بالأب الذي في السماء، انظر إليه كما حكاه عنه إنجيل متى من الإصحاح السادس عدد ٩ ــ ١٣ في قوله:

(أبانا الذي في السموات: ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، ليكن مشيئتك كما في

---

(١) بحث المسيحية توحيد لا تثليث للأستاذ زاهر الزغبي بمجلة الأزهر، الجزء الثاني، السنة الحادية والخمسون ــ شهر صفر سنة ١٣٩٩هـ.

السماء، كذلك على الأرض، خبزنا كفافنا، أعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير، لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد) وكما جاء في إنجيل لوقا بإصحاحه السادس عدد ٢٦ قوله:

(فكونوا رحماء كما أن أباكم رحيم)[١].

وفي خضم هذه الفوضى العقائدية التي اشتد فيها الخلاف إلى درجة هدّدت ما تضمنه الدين الجديد من مبادىء سامية، ومثل أخلاقية رفيعة، بالضياع والزوال، قام في مصر داعية جريء قوي الحجة ساطع البرهان، ينقد بجرأة وبأسلوب فصيح لاذع رؤساء كنيسة الاسكندرية، فيما يبثونه بين النصارى، ويروجون له من دعوى ألوهية المسيح، وكان هذا الداعية هو آريوس الذي أخذ على عاتقه أن ينقذ النصرانية، من أن تسلك نفس الطريق الخطر الذي ضلّت فيه وضاعت من قبل اليهودية، وكان رأي آريوس:

١ ــ إن الإلّه واحد، وليست هناك أية وجوه للاقتران، أو التشابه بين ذات الله، وطبيعة المسيح الذي هو مجرد بشر.

٢ ــ وأن الله كان، بينما لم يكن المسيح إلاّ بعد أن خلقه الله وصنعه، كما يخلق ويصنع كل ابن أنثى من بني الإنسان في أوانه ووقته المقدور المحدد.

٣ ــ إن تغبيرات المسيح الواردة في الأناجيل والتي يصف فيها المسيح ربه بالآب، هو من قبيل التعبير المجازي، ولا يعني سوى الحب والرحمة.

ولقد ازداد أتباع آريوس وكثر مشايعوه في أقاليم مقدونيا وفلسطين وفي مصر، حتى إن كنيسة أسيوط اعترفت بتلك المبادىء الآريوسية اعترافاً مطلقاً، وأوشكت على الانفصال كلية عن كنيسة الاسكندرية، التي كانت تعتنق فكرة تأليه المسيح وتعتبره ابناً حقيقياً لله.

وبعد أن استشرى الخلاف واتسع بين الفئات النصرانية المختلفة، وأوشكت الفتنة الدينية أن تقع، رأى قسطنطين قيصر الدولة الرومانية دعوة رجال الدين، وزعماء الطوائف في جميع الامبراطورية إلى مؤتمر عام، والذي اجتمع في بلدة نيقية كما قدمنا آنفاً بالباب الأول، وعلى العموم فقد تقررت عقيدة الثالوث رسمياً في الديانة النصرانية في ذلك

(١) انظر تفسير الكنيسة النصرانية للفظ الله الآب بالباب الأول في هذا الكتاب.

المؤتمر ٣٢٥ ميلادية بعد القضاء على دعاة التوحيد، وعلى رأسهم آريوس وشيعته، وقامت الدولة الرومانية بفرض تلك العقيدة على جميع مستعمراتها وأقاليمها، ومن ضمنها مصر التي كانت تابعة لها، ومع ذلك فإن الخلافات بين الطوائف النصرانية لم تنحسم بهذا المؤتمر، بل إن التعقد الذي أصاب العقيدة عند النصارى وجعلها تبتعد عن إمكانية الإدراك والفهم فجَّر الصراع الشديد بينهم، مما أدّى إلى الاضطهاد والعداوة فيما بينهم، فراح نتيجة لذلك الملايين من النصارى ضحايا تلك الخصومة العاتية، بالإضافة إلى صنوف التعذيب والتنكيل بأفظع ما عرفت الإنسانية من صور القسوة الوحشية.

وفي سبيل الفوز في هذا التطاحن الديني راح رجال الدين ورؤساء الطوائف النصرانية يتقربون إلى الأباطرة الرومان، وَوُلاتِهِمْ، وينافقونهم ليستعينوا بهم على خصومهم، وذهبوا آنذاك إلى حد تزييف التعاليم الإلّهية وتحريفها، على نحو يصادف هوى ومطامع ذوي السلطان، حتى يتقربوا إليهم ويضموا نصرتهم.

ولم يأت القرن الخامس الميلادي، حتى كان العالم كله يعاني فوضى في الأخلاق وبلبلة في الفكر وفقراً في الروح.

فاليهودية بسبب جمودها وانسلاخها عن روح الوحي الإلّهي تحجرت إلى أنانية عنصرية، خصَّت نفسها بكل مضامين الخير وسلبته عما عداها من العالمين، والنصرانية بسبب انحرافها إلى معركة عقائدية قاسية قد دمرت مثلها وروحانيتها، وداخلها الكثير من الأباطيل والأراجيف التي دُسَّت إلى التعاليم الصحيحة، فشوهتها، مما أفقدها القدرة على مواصلة التقدم نحو هدفها المنشود في تكوين مجتمع فاضل، تنظم شؤونه بوحي الله وهدايته، ويسوده الحب والإخاء والمساواة والإيثار والرحمة، وتحولت من دين حق تُبنىٰ مقوماته الرئيسية على المبادىء والمثل الرفيعة، إلى دين يدور حول محور واحد، ويعتمد على ركيزة واحدة، هي شخصية الداعية الذي حولوه إلى إلّه، وبدلاً من أن تتطور من خلاله العقيدة والإيمان بالله، هبطتا إلى درك من المفاهيم يرفضه كل من العقل والفطرة.

وفي نفس الوقت الذي كانت فيه العقول والنفوس تواقة إلى المثالية والكمال في الفكر وفي القول وفي الأخلاق، كان العالم كله يعاني من الفوضى في كل مجال من مجالات الحياة.

فالوثنية الدينية كانت لم تتزحزح بعدُ عن عرش أمجادها في أنحاء شتى من العالم المعمور، بل إنها تسللت إلى حيث خالطت العقيدة الدينية في قلوب اليهود والنصارى.

وكانت شريعة الغاب، هي القانون الأساسي في كيان المجتمعات، ونظم الحكم، وكان نظام الطبقات هو المسيطر في كل مجتمع قائم آنذاك يضمن لقلة ضئيلة التمتع بكل ما أتيح للأحياء من مباهج واستمتاع، بينما لم يبق للغالبية العظمى من البشر إلاَّ التعاسة والقسوة والشقاء، وفي مثل هذه المجتمعات لا يمكن أن تتحقق عدالة اجتماعية، أو مثالية أخلاقية، أو استقرار فكري، ومن ثم كانت هناك ضرورة ملحة تقتضي ثورة إصلاحية شاملة، تقوض كل القيم الفاسدة من أساسها، وتشيد من جديد عالماً آخر، تتحقق فيه للإنسان كرامته، ويجد فيه المثالية في الأفكار والمبادىء والأخلاق، تقتنع بها العقول وتمتلىء بها الأرواح وتتشبع بها النفوس.

ولما كان من غير المجدي أن تجيء الثورة الإصلاحية لتعالج العيوب والمفاسد السائدة في العالم معالجة جزئية أو محلية، بل كان يتحتم أن تكون هذه الثورة عامة شاملة من حيث أسسها ومبادئها، حتى تناسب العالم كله، وحتى تتيح للبشرية البائسة نمطاً من التنظيم القويم وتنشلها من وهدة الفوضى، والارتباك اللذين يعوقانها عن أن تنطلق، بعد أن تم نضجها واستواؤها، لتبني صرح أمجادها، ولتحقق كيانها، ولتستغل كافة إمكانياتها وقدراتها في زيادة غير محددة لجميع الآفاق والمجاهل، حيث يتيح التوسع الفكري والعلمي أن يزداد الإنسان به معرفة بربه وبذاته وبعالمه، وأن يعرف كيف ينتفع بكل ما يحويه هذا الكون من خيرات لا تحصى، فيتحقق له ما ينشده وما يريد له الله من سعادة وهناء ومتعة، وكانت كل الظروف والعوامل متوفرة لهذه الثورة، الإصلاحية العالمية المنشودة.

ولكن في أي مكان يا ترى يمكن أن تظهر هذه الثورة الكبرى التي ينشدها العالم؟ إن عناصر الرجعية والتعصب والفساد الديني والاجتماعي، قد تركزت وتحصنت في المنطقتين العامرتين في العالم وهما دولة الأكاسرة في فارس، والامبراطورية الرومانية الشرقية، وفي هاتين الدولتين الكبيرتين، كانت أية محاولة للإصلاح كفيلة بأن يقضى عليها، وهي لا تزال وليدة في مهدها.

وفي وسط هذا العالم القلق المضطرب المتشوق للإصلاح، كانت شبه الجزيرة العربية بقعة يسودها الهدوء والتماسك الاجتماعي وحماية النفس وحرية الرأي بين سكانها، بما يناسب ظروفهم وبيئتهم، فكانت البقعة الوحيدة التي يمكن أن تقوم فيها دعوة الإصلاح الديني والاجتماعي وفي حاضرة هذه الصحراء من بلاد العرب في مكة المكرمة ومن قبيلة من أشرف قبائل العرب وأشدهم بأساً وجاهاً، وهي قريش، ومن أعرق بطون هذه القبيلة وأعلاها شرفاً وأنقاها نسباً، لأنه يتصل بإسماعيل وإبراهيم عليهما السلام، جاء محمد بن عبد الله رسولاً من رب العالمين مكلفاً بالدعوة إلى دين الإسلام، وهو الرسالة الإلَٓهية التي عناها الله، بأن تقضي على الفوضى العارمة السائدة، حتى لا تذهب بالإنسانية في غيابات الجاهلية البهيمية، وكان لا بد لهذه الرسالة الإلَٓهية حتى تنجح أن تكون شاملة عامة غير موقوتة أو محلية وأن تتوافر لها في البداية البيئة المناسبة، حتى تنضج وتتكامل تعاليمها ومبادئها.

• • •

الباب السادس عشر

دين الإسلام
هو دعوة كل الأنبياء والمرسلين

(١) مبحث: الإسلام بمعناه العام.

(٢) مبحث: الإسلام بمعناه الخاص.

(١)
مبحث (الإسلام بمعناه العام)

الدين لغة يعني الجزاء والمكافأة والحساب ومن معانيه الخضوع والطاعة والإسلام بمعناه العام يعني الانقياد التام لأحكام الله، باتباع أوامره واجتناب نواهيه، أي إخلاص العبادة لله.

والإسلام بمفهوم القرآن المشرق: اسم للدين الإلّهي الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل، وانتسب إليه أتباعهم، ويتناول إطلاقه جميع الأديان التي أمر الله تعالى رسله أن يبلغوها للناس، لأنه روحها الكلي، وإن اختلف بعضها عن بعض في بعض التكاليف والأعمال. وبمعناه الخاص: هو دين الله الذي أوحى بتعاليمه في أصوله وشرائعه إلى النبي محمد ﷺ، وكلفه بتبليغه للناس كافة ودعوتهم إليه.

ولقد نشأ اسم الإسلام منذ اللحظة الأولى لنشأته في جو الإطلاق، فاسم الإسلام مطلق فيما يتعلق بالمكان، فهو لا يشير من قرب ولا من بعد إلى مكان معين من الأرض في المشرق أو المغرب.

وهو مطلق فيما يتعلق بالزمان، فهو لا يشير من قرب ولا من بعد إلى زمن معين في الماضي أو في الحاضر أو في المستقبل.

وكما هو مطلق فيما يتعلق بالمكان، وفيما يتعلق بالزمان، فإنه مطلق بالنسبة للجنس البشري، فالجنس البشري لا يقيده، فهو لا يشير إلى جنس معين من بني البشر، بل هو مطلق بالنسبة للأشخاص، لا يحده فلان أو فلان، وهو مطلق بالنسبة للجنس والمذهب، ولا يحده شخص أو جنس أو مذهب.

وعن المعنى اللغوي يقول ابن الأنباري العالم اللغوي عن المسلم:

هو من خلص في عبادته لله، من قولهم سلم الشيء لفلان أي خلص له.

متي يصبح الإنسان مسلماً؟

ينضوي الإنسان تحت راية الإسلام، عندما تصح عقيدته، وتخلص من كل شائبة من شوائب الشرك والنفاق وذلك:

(أ) بشهادة التوحيد وإخلاص إيمانه وعمله لله تعالى من أي دين كان.

(ب) وإقراره بالرسالة للنبي محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

١ ــ يقول سبحانه وتعالى:

﴿إنَّ الدِّينَ عندَ اللَّهِ الإسلامُ﴾(١).

٢ ــ ويقول تعالت كلماته:

﴿وَمن يبتغِ غيرَ الإسلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ منه، وهو في الآخرةِ من الخاسرين﴾(٢).

٣ ــ وقال تعالى:

﴿ومَنْ أحسنُ ديناً ممَّن أَسْلَمَ وجهَهُ للَّهِ وهو مُحْسِنٌ، واتَّبَعَ مِلَّةَ إبراهيمَ حنيفاً، واتخذ اللَّهُ إبراهيمَ خليلاً﴾(٣).

٤ ــ ويقول جل جلاله:

﴿ما كانَ محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم، ولكنْ رسول اللَّهِ، وخاتم النبيين، وكانَ اللَّهُ بكلِّ شيءٍ عليماً﴾(٤).

٥ ــ ويقول سبحانه وتعالى مقرراً وحدة الدين الذي أوصى به إلى رسله جميعاً في الآيات الآتية:

(أ) ﴿قولوا آمناً باللَّهِ، وما أُنزِلَ إلينا، وما أُنْزِلَ إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربِّهمْ، لا نُفَرِّقُ بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون﴾(٥).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٣) سورة النساء: الآية ١٢٥.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٢٦.

(ب) ﴿قلْ آمنَّا باللّهِ، وما أُنْزِلَ علينا، وما أُنْزِلَ على إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما أوتِـيَ موسى وعيسى والنبيون من ربِّهمْ لا نُفَرِّقُ بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون﴾[١].

(ج) ﴿شَرَعَ لكم من الدِّين ما وَصَّى به نوحاً، والذي أَوحَيْنا إليك، وما وَصَّيْنا به إبراهيمَ وموسى وعيسى أن أقيموا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فيه﴾[٢].

٦ ـ وعقيدة الإسلام وشريعته لم يبتدعها محمد ﷺ، ولكن الله أوحى إليه أحكامها كاملة في قرآنه وسنَّة نبيه ﷺ. **قال تعالى:**

﴿وما كان لبشرٍ أن يُكَلِّمَهُ اللّهُ إلاَّ وَحْياً أو مِنْ وراءِ حجابٍ أو يُرسلَ رسولاً، فيوحِي بإذنِهِ ما يشاءُ إنه عليٌّ حكيم. وكذلك أوحينا إليك رُوحاً من أَمْرِنا، ما كنتَ تدري ما الكتابُ ولا الإيمانُ، ولكنْ جعلناهُ نوراً نهدي به مَن نشاءُ من عبادِنا، وإنكَ لَتَهْدِي إلى صراطٍ مستقيم، صراطِ اللّهِ الذي له ما في السموات، وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾[٣].

٧ ـ وقال تعالى آمراً رسوله محمداً ﷺ بالإسلام:

﴿إنما أُمِرْتُ أن أَعبُدَ ربَّ هذه البلدةَ الذي حرمها وله كلُّ شيء، وأُمِرْتُ أن أكونَ من المسلمين، وأن أتلُوَ القرآنَ، فَمَنِ اهتدى فإنما يهتدي لِنَفْسِهِ، ومَنْ ضلَّ فَقُلْ إنما أنا من المنذرين، وقُلِ الحمدُ للّهِ سيُريكُمْ آياتِهِ فتَعْرِفُونَها، وما ربُّكَ بغافل عما تعملون﴾[٤].

وقال تعالى أيضاً:

﴿وأُمِرْتُ لأنْ أكونَ أولَ المسلمين﴾[٥].

* * *

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٤.

(٢) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٣) سورة الشورى: الآيات ٥١ ـ ٥٣.

(٤) الآيات ختام سورة النمل: ٩١، ٩٢، ٩٣.

(٥) سورة الزمر: الآية ١٢.

أما بالنسبة للرسل صلوات الله وسلامه عليهم، فإليك ما حكاه القرآن عنهم وعن أتباعهم:

١ ــ نوح عليه السلام ــ قال تعالى حاكياً عنه في مناقشته لقومه:

﴿فإنْ تولَّيْتُمْ فما سألتكم من أَجرٍ إنْ أَجْرِيَ إلاَّ على اللَّهِ، وأُمِرْتُ أن أكونَ من المسلمين﴾(١).

٢ ــ إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام ــ قال تعالى حاكياً عنهما عندما كانا يرفعان القواعد من البيت الحرام بمكة المكرمة:

﴿ربَّنا واجعلْنا مسلِمَينِ لكَ ومن ذُرِّيتِنا أُمَّةً مسلمةً لك﴾(٢).

٣ ــ لوط عليه السلام ــ قال تعالى عنه وعن قومه الذين سبق عليهم القول بالهلاك بسبب فعلهم السيء في قريتهم:

﴿فأخرجْنا مَنْ كان فيها من المؤمنين، فما وَجَدْنا فيها غيرَ بيتٍ من المسلمين﴾(٣).

٤ ــ ويوصي يعقوب عليه السلام وهو المدعو إسرائيل بنيه بالإِسلام ــ قال تعالى حاكياً عنه:

﴿يا بَنِيَّ إنَّ اللَّهَ اصطفى لكمُ الدينَ فلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون﴾(٤).

٥ ــ ويجيب أبناء يعقوب أباهم قائلين عندما سألهم عن الدين الذي سيتمسكون به من بعده فيقولون: إنه الإِسلام ــ قال تعالى مصوراً ذلك المشهد:

﴿أَم كُنتُمْ شهداءَ إذ حَضَرَ يعقوبَ الموتُ إذ قال لِبَنيهِ ما تعبدون مِنْ بعدي قالوا نعبدُ إلَهَكَ وإلَهَ آبائِكَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ إلَهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾(٥).

٦ ــ يوسف عليه السلام ــ قال تعالى عنه:

---

(١) سورة يونس: الآية ٧٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٨.

(٣) سورة الذاريات: الآيتان ٣٥، ٣٦.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٣٢.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٣٣.

﴿ربِّ قد آتيتَني من المُلْكِ وعَلَّمْتَني من تأويلِ الأحاديث فاطِرَ السمواتِ والأرضِ أنتَ وَلِيِّي في الدنيا والآخرةِ تَوفَّنِي مسلماً وأَلْحِقْني بالصالحين﴾[1].

٧ ــ ويوصي موسى عليه السلام قومه وهم اليهود بالتوكل على الله إن كانوا مسلمين ــ قال تعالى حاكياً عنه:

﴿وقال موسى يا قومِ إنْ كنتُم آمنتُمْ باللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوكَّلُوا إنْ كُنْتُم مسلِمين﴾[2].

٨ ــ وقد أجاب السحرة بالإسلام عندما آمنوا بموسى عليه السلام وهددهم فرعون بالقطع والصلب ــ قال تعالى عنهم:

﴿قالوا إنَّا إلى رَبِّنا مُنْقلِبُون، وما تَنْقِمُ مِنَّا إلاَّ أنْ آمنّا بآياتِ رَبِّنا لمَّا جاءَتنا، ربَّنا أَفْرِغْ عَلينا صبراً وتَوفَّنا مسلِمين﴾[3].

٩ ــ وحتى فرعون عندما أدركه الغرق ذكر أنه آمن وأنه من المسلمين ــ قال تعالى عنه:

﴿وجاوزنا ببني إسرائيلَ البحرَ فأَتْبعَهُمْ فرعونُ وجنودُه بَغْياً وعَدْواً، حتى إذا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قال آمنتُ أنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ الذي آمنتْ بهِ بنو إسرائيلَ وأنا من المسلمين﴾[4].

١٠ ــ وقد أرسل سليمان عليه السلام كتابه إلى ملكة سبأ بواسطة الهدهد يدعوها إلى الإسلام. قال تعالى عنه:

﴿اذهبْ بكتابـي هذا فألقِهْ إليهم ثم تَوَلَّ عنهم فانظُرْ ماذا يَرْجِعُون، قالتْ يا أيُّها الملأُ إنِّي أُلقِيَ إليَّ كتابٌ كريمٌ، إنَّه مِن سليمانَ، وإنَّه بسم اللَّهِ الرحمنِ الرحيم، ألاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وأتوني مُسْلِمين﴾[5].

١١ ــ وقد أجابت ملكة سبأ دعوة سليمان إليها بالإسلام عند زيارتها له ــ قال تعالى:

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠١.

(٢) سورة يونس: الآية ٨٤.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٢٥، ١٢٦.

(٤) سورة يونس: الآية ٩٠.

(٥) سورة النمل: الآيات ٢٨ ــ ٣١.

﴿قالتْ ربِّ إني ظَلَمْتُ نفسي، وأَسْلَمْتُ مع سليمانَ للَّهِ ربِّ العالمين﴾(١).

١٢ ــ ويقول الحواريُّون أنصار المسيح عيسى عليه السلام بأنهم مسلمون ــ قال تعالى:

﴿وإذ أوحيتُ إلى الحَوَاريينَ أَنْ آمنوا بـي وبرسولي، قالوا آمنا واشهدْ بأننا مسلمون﴾(٢).

قال تعالى:

﴿فلمَّا أحسَّ عيسى منهم الكُفْرَ قالَ مَنْ أنصاري إلى اللَّهِ قالَ الحَوَارِيُّونَ نحنُ أنصارُ اللَّهِ آمنَّا باللَّهِ واشهَدْ بِأنَّا مُسلِمون﴾(٣).

١٣ ــ وأهل الكتاب سواء من اليهود أو النصارى كانوا مسلمين قبل أن يتهودوا أو يتنصروا ــ قال تعالى:

﴿الذين آتيناهُمُ الكتابَ من قبله هم به يؤمنون، وإذا يُتْلَىٰ عليهم قالوا آمنَّا به إنه الحقُّ من رَبِّنا إنَّا كنَّا مِن قبله مُسلِمين، أولئك يُؤتَونَ أَجرَهُمْ مرَّتين بِما صَبَروا ويدرَؤون بالحسنةِ السيِّئةَ وممَّا رَزَقْناهُمْ يُنفقون﴾(٤).

١٤ ــ وقد زعم بعض أهل الكتاب أن إبراهيم عليه السلام كان يهودياً، وزعم البعض الآخر أنه كان نصرانياً، إلاَّ أن القرآن كذَّبهم جميعاً، وأتى بالقول الفصل في ديانته بأنه كان حنيفاً مسلماً وأن النبـي محمداً ﷺ هو أولى الناس به وكذلك الذين آمنوا به ــ قال تعالى:

﴿ما كانَ إبراهيمُ يهوديّاً ولا نَصْرانيّاً ولكنْ كانَ حَنيفاً مُسْلِماً، وما كان من المشركينَ، إنَّ أَوْلى الناسِ بإبراهيمَ لَلَّذِينَ اتبعوهُ، وهذا النبـيُّ، والذين آمنوا، واللَّهُ وليُّ المؤمنين﴾(٥).

---

(١) سورة النمل: الآية ٤٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ١١١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٢.

(٤) سورة القصص: الآيتان ٥٢ ــ ٥٤.

(٥) سورة آل عمران: الآيتان ٦٧، ٦٨.

١٥ ــ وقد اتجه القرآن إلى النبـي محمد ﷺ فأمره بإجراء المباهلة بينه وبين أهل الكتاب المسرفين في شأن المسيح عيسى عليه السلام، وهم النصارى وهي سهلة هينة لو كانوا صادقين، فلم يقدروا عليها، ثم تحدى التاريخ في كل ما قصه في شأن المسيح بقوله جلَّ شأنه:

﴿إنَّ هذا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ، وما مِنْ إلَهٍ إلاَّ اللَّهُ وإنَّ اللَّهَ لَهُوَ العزيزُ الحكيم﴾(١).

وبعد ذلك اتجه القرآن إلى النبـي ﷺ فأمره أن يوجه إليهم جميعاً دعوة المنتصر في حقه، القوي في برهانه، الحريص على خير خصمه وسعادته، مناشداً إياهم ما يقربهم إليه، ويخفف من غطرستهم وغلوائهم، فإن تولوا فما عليهم إلاَّ أن يشهدوا لنا بأننا مسلمون ــ قال تعالى:

﴿قُلْ يا أهلَ الكتابِ تعالَوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم أنْ لا نعبُدَ إلاَّ اللَّهَ، ولا نُشْرِكَ بِهِ شيئاً، ولا يتَّخِذَ بعضُنا بعضاً أرباباً مِنْ دونِ اللَّهِ، فإنْ تولَّوا فقولوا: اشهَدُوا بأنَّا مُسْلِمون﴾(٢).

١٦ ــ وقد أخذ الله العهد والميثاق على المسلين أن يصدق بعضهم بعضاً في الحق ودعوة الناس إليه، وأنه من غير المعقول إطلاقاً، بل من المستحيل عليهم أن يأمروهم بعبادة غير الله من الملائكة والنبيين، لأن في ذلك تكفيراً لهم بعد أن كانوا مسلمين ــ قال تعالى:

﴿ما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الكتابَ والحُكْمَ والنُبُوَّةَ ثمَّ يقولَ للنَّاسِ كُونوا عِباداً لي مِن دونِ اللَّهِ، ولكنْ كُونوا رَبَّانِيِّينَ بِما كُنتُم تُعَلِّمونَ الكِتابَ وَبِما كُنْتُمْ تَدْرُسون، ولا يأمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذوا المَلائكةَ والنَّبِيِّينَ أَرْباباً، أَيَأْمُرُكُمْ بالكفرِ بَعْدَ إذْ أَنْتُم مُسْلِمُون﴾(٣).

هل يوجد في أسفار اليهود والنصارى ما يشير إلى الإسلام؟

نعم وهو ما يشير إليه سفر أيوب والذي كان قبل موسى عليه السلام باعتراف أهل الكتاب، ففي إصحاح ٢٢ عدد ٢١ من ذلك السفر يوجد النص الآتي:

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٣) سورة آل عمران: الآيتان ٧٩، ٨٠.

(تعرف به وأسلم).

وإذا رجعنا إلى الأصل العبراني لهذا النص نجده كالآتي:

(تعرف به وشلام). ومعناه في ترجمته الحرفية الدقيقة إلى اللغة العربية (تعرف به وكن مسلماً).

(٢)
مبحث (الإسلام بمعناه الخاص)

وببعثة الرسول محمد ﷺ صارت كلمة الإسلام علماً ودلالة على الدين الذي جاء به من عند الله، وكلَّفه بتبليغ تعاليمه في أصوله وشرائعه للناس كافة ودعوتهم إليه.

١ ــ قال تعالى في سورة المائدة:

﴿اليومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينكُمْ وأَتْمَمْتُ عَليكُمْ نِعمَتِي ورَضِيْتُ لَكُمُ الإسلامَ دِيناً﴾[1].

٢ ــ وقال جل جلاله في سورة الأنعام:

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أنْ يهديه يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسلام، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعلْ صَدْرَهُ ضيِّقاً حَرَجاً كأنَّما يصّعَدُ فِي السماءِ، كَذلكَ يَجعلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤمِنون﴾[2].

٣ ــ وقال تعالت كلماته في سورة الزمر:

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدرَهُ للإسلامِ فهو على نُورٍ مِن رَبِّهِ، فَويلٌ لِلقاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، أولئكَ فِي ضلالٍ مُبين﴾[3].

٤ ــ وقال سبحانه وتعالى في سورة الصف:

﴿وَمَنْ أَظلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرى عَلى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إلى الإسلام﴾[4].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.

(٣) سورة الزمر: الآية ٢٢.

(٤) سورة الصف: الآية ٧.

٥ ـ وقال جلَّ جلاله في سورة **آل عمران**:

﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمون﴾[1].

٦ ـ وقال سبحانه في سورة **هود**:

﴿أمْ يَقُولونَ افتراهُ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرياتٍ وادعوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِين، فإلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ، وَأنْ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمون﴾[2].

٧ ـ وقال جل جلاله في سورة **الأنبياء**:

﴿قُلْ إنَّمَا يُوحَى إليَّ أنَّمَا إلَهُكُمْ إلَهٌ واحدٌ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُون﴾[3].

٨ ـ وقال تعالى في سورة **النحل**:

﴿يَوْمَ نَبْعَثُ في كُلِّ أمةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَجِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلَى هؤلاء، وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شيءٍ، وهدًى ورحمةً وبُشْرَى للمسلمين﴾[4].

٩ ـ وقال جل شأنه في سورة **النحل** أيضاً:

﴿قُلْ نَزَلَّهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وهدًى وبُشْرى لِلْمُسْلِمين﴾[5].

١٠ ـ وقال جلَّ جلاله في سورة **الحج**:

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، مِلَّةَ أَبِيكُمْ إبْراهِيمَ، هُوَ سَمَّاكُمْ المُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ، وَفِي هذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُوا شُهَداءَ عَلى النَّاسِ، فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ، وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ، هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِير﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(٢) سورة هود: الآيتان ١٣، ١٤.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٨.

(٤) سورة النحل: الآية ٨٩.

(٥) سورة النحل: الآية ١٠٢.

(٦) سورة الحج: الآية ٧٨.

١١ ــ وقال جلَّ شأنه في سورة النمل:

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شيءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمين﴾[١].

١٢ ــ وقال سبحانه في سورة فُصِّلت:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إلى اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمين﴾[٢].

١٣ ــ وقال جل جلاله في سورة الزخرف:

﴿يا عِبادِ لا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ ولا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمين﴾[٣].

١٤ ــ وقال تعالت كلماته في سورة القلم:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيم، أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون﴾[٤].

١٥ ــ وقال جل جلاله في سورة آل عمران ينعى على أهل الكتاب اختلافهم وابتعادهم عن الإسلام:

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغياً بَيْنَهُم، وَمنْ يَكْفُرْ بآيات اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ، فَإِنْ حَاجّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَني وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ، فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلّوا فَإِنَّما عَلَيْكَ البَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ﴾[٥].

تـمَّ الكـتاب بعـون الله تعـالى

والحمد لله تعالى في الأولى والآخرة

---

(١) سورة النمل: الآية ٩١.

(٢) سورة فصلت: الآية ٣٣.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٦٨، ٦٩.

(٤) سورة القلم: الآية ٣٤ ــ ٣٦.

(٥) سورة آل عمران: الآيتان ١٩، ٢٠.

المـــراجع

١ ـ القـرآن الكـريم.

٢ ـ الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، والأسفار والرسائل الملحقة به.

٣ ـ كتاب سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس للأستاذ عبد الله العلمي الغزي الدمشقي أستاذ دروس تفسير القرآن والتهذيب الديني الإسلامي في الجامع الأموي بدمشق سابقاً.

٤ ـ كتاب الكنز الجليل في تفسير الإنجيل للدكتور وليم أدي.

٥ ـ كتاب محمد نبيّ الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن للمؤلف.

٦ ـ كتاب الإنجيل والصليب للأب عبد الأحد داوود الآشوري العراقي.

٧ ـ كتاب السنن القويم في تفسير أسفار الكليم لمترجمه إبراهيم الحوراني.

٨ ـ كتاب النصرانية والإسلام، عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة للمؤلف.

٩ ـ كتاب (الله... طرق إعلانه عن ذاته) للأستاذ عوض سمعان.

١٠ ـ دائرة معارف لاروس الفرنسية (أنسكلوبيدية) القرن التاسع عشر في موضوع التوحيد والتثليث.

١١ ـ كتاب كهنوت الأبدية للكاردينال منبتع الإنجليزي.

١٢ ـ كتاب قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست.

١٣ ـ كتاب الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي تحقيق الأستاذ أبو الفضل إبراهيم، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٤ ـ كتاب فتح الملك العلام في بشائر دين الإسلام لمحمد أفندي حبيب.

١٥ ــ قاموس الراغب.
١٦ ــ مجلة الأزهر، ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٣٩٢ والمحرم سنة ١٣٩٣، أبحاث في تفسير سورة الإخلاص لفضيلة عالم الإسلام الكبير الأستاذ الشيخ مصطفى الحديدي الطير.
١٧ ــ كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبـي طالب كرم الله وجهه.
١٨ ــ كتاب تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب تأليف العارف بالله الشيخ محمد أمين الكردي الأربيلي.
١٩ ــ كتاب شرح أسماء الله الحسنى للإمام المتصوف أبـي القاسم عبد الكريم القشيري، تحقيق الأستاذ أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلواني، طبعة مجمع البحوث الإسلامية، سلسلة البحوث الإسلامية.
٢٠ ــ كتاب الإسلام نور الأكوان (المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة) للأستاذ محمد زكي الدين النجار بطهطا، وكان نصرانياً قبل إسلامه.
٢١ ــ كتاب الدين المقارن، تأليف الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي.
٢٢ ــ كتاب قصة الإيمان، تأليف الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس، الشام.

• • •

الفهـــرس

• • •